

عبود الأول والأخير وقصص أخرى

أحمد على نصار



دار فينكس للنشر والتوزيع بالتعاون مع دار الفراغة

الطبعة الأولى

الكتاب : عبود الأول و الأخير

المؤلف: أحمد على نصار

المقاس : ١٥ x ٢٠

رقم الإيداع :

٢٠١٩ / ٢٠٧٤٩

الترقيم الدولي :

٨ - ٧٦ - ٦٦٦٨ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رئيس مجلس الإدارة

شريف أحمد محمود

رؤية فنية

محمد عادل عبد الغنى

العنوان : ١ شارع فاروق محمود من شارع ترسا - المحولات -
المطبعة - الهرم
التليفون : ٠١٠٣٣٣٤٤٨٨١ - ٠٢٣٥٩٢٣٣٢٩

Email : info@its-phoenix.com

صفحتنا علي الفيس بوك فينكس للنشر والتوزيع

<https://www.facebook.com/itsphoenix2>

ان الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

إهداء ..

إلى والدتي

و

مصطفى عفيفي

وأيضاً

إلى من يسكن على جانب آخر من هذا العالم
يتحدث لغة غير لغتي ويعتق ديانة غير ديانتني
ولكنه يشبهني .. تماماً كما عرفته .

كلمة

من الحكم المصرية القديمة يقول لنا الحكيم بتاع حُتب " : إن قانون السماء والأرض هو أن تتعلم عن طريق الألم والمعاناة ، فقد بدأ الناس حياتهم كالوحوش، ولم يتعلموا كيف يصبحون آدميين إلا من خلال تجارب مؤلمة وطويلة " . وتلك التجارب هى التى تصنع الإنسان ، وتصنع الحياة ، والحياة فى حد ذاتها فن عظيم ، لا يجيده إلا الفنان الذى يعلم ماذا يريد ، وماهى الطريقة التى سيأخذ بها ما يريد ؟ وكان فى الماضى القليل من يتقن هذا الفن ، يتقنه على حساب كل شئ وأى شئ ، الصداقة ، العشرة ، الشرف ، الكرامة ، الكل يهون فى سبيل الفن . والآن القليل أصبح كثير ثم أصبح كثير جدا ، والنتيجة الكثير من

الفنانين ، ليسوا على شاشة السينما والتلفزة ، بل فى الواقع ، فى مسرح الحياة ذاتها ، وكما قال شكسبير : " ما الدنيا إلا مسرح كبير . " وهكذا أصبح الجميع يُقدم عرضه الفنى والجميع يُصنف ، وكأنها الحقيقة ، حتى ذابت الحقيقة ، والفن فى موكب واحد ، موكب الحياة ، وهذا يناقض رأى الكاتب الإنجليزى " اللورد تشستوفيلد " الذى كان يقول : " إذا أردنا أن نعرف حقيقة الشخص الذى يتحدث إلينا فلننظر فى وجهه لأنه قد يستطيع السيطرة على لسانه فلا ينطق بما لا يريد له البوح به ، أما الوجه فإنه لا يستطيع غالباً أن يسيطر عليه " . أما الآن فأصبح الكل تحت السيطرة ، الوجه واللسان ولغة الجسد ؛ ليظهر العرض فى صورة مثالية تستحق التصفيق من الجميع

أحمد

فِي أَمَلٍ ؟
إِيَّاهُ فِي أَمَلٍ
أَوْقَاتٍ بِيَطْلَعُ مِنْ مَلَلٍ
وَأَوْقَاتٍ بِيَرْجِعُ مِنْ شَيْءٍ حَنِينٍ
لَحْظَةً تَا يَخْفَفُ زَعْلُ ..

فَيُرَوِّزُ

عبود الأول والأخير ..

القاهرة ٢٠٠٧

كان قد تعود هذه الحياة وهذه التقلبات وهذه المفاجئات، وهذا التحرر من سطوة رأس المال في أى وقت وفى أحلك الظروف ،عندما ينتابه إحساس ولو بسيط بالمهانة ، وليست أحاسيسه هذه تكبرُ أو تعالى بقدر ماهى مسألة مبدأ ، فبقدر ماتمنح يدا العاطى بنفس القدر الذى تمنحه وقتك وجهدك ، إنه تبادل للخدمات ولا أحد خير من الآخر، وبقدر الإحترام المتبادل تصبح المعاملة مثالية ، إنها ليست علاقة عبد بسيده .فزمن الرقيق قد ولى،والتصدى لهذه الظاهرة أمر واجب ،بل إنه حتميا في علاقه الرئيس بمرؤوسيه ورب العمل مع عماله ، وحتى الحاكم مع شعبه ،ولهذا كان يجب أن يترك العمل عندما بدأت تنهار هذه النظرية في عمله الجديد .

لا بأس لا بأس ، فقد اعتدت مثل تلك الأمور ، فمازال الكثير على الشعوب العربية حتى تتفهم النظرية الحديثة للعمل،ولعل أوروبا سبقتنا في فهم هذه النظرية بكثير ،حتى أصبحت منهجًا وطريقة لإعلاء مستوى الإنتاج ، فالكل يساعد في إنتاج سلعة أو تقديم نوع من الخدمات تحت إشراف صاحب رأس المال ، وليس تحت سيادته وسطوته ، والنتيجة حتمًا لابد أن تكون رائعة ومرضية للطرفين .ومن الغد علينا برحلة بحث جديدة ، وقد تعودناها من حين لحين بسبب هذا القصور في عقلية

صاحب رأس المال ، كم هى عبء ثقيل هذه الرحلة !إنك تعرض نفسك على هؤلاء أصحاب العقول المتأخرة ، وكأنك إمراة تعرض نفسها في سوق النخاسة ، وإدفع يا من تروق لك البضاعة ، وإستلهم روح الخبير الفاحص ، ما رأيك ..؟ نور عبد الحميد ..دارس للهندسة يعرض نفسه في خدمتك ،ولا عزاء للعلم .الكل يخضع تحت وطأة الـ money،ومن أجل لقمة العيش تنهار المعانى .أتحدى إن كان واحداً منهم قرأ لـ اوسكار وايلد أو سمع عن صموئيل بيكيت أو سيمون دى بوفوار أو موباسان ، ولكنه العبث ، وما أقسى على النفس أن تخضع لنظرية الحاجة !ولكنه شئ لا بد منه ، مادام لم ينقص إيمانك بالمبدأ ، فالحياة فى الأساس مبادئ وعليك معرفة مبادئك حتى تجد حياتك ، وإن كان للحاجة نظرية وللمبادئ نظرية ، وإن كان تلاقيهم أشبه بالمستحيل ، وإن كان عليك بالمضى قدماً فى طريق الحاجة .فلا تنسى المبادئ يا عزيزى ، دائماً المبادئ ، وعلينا من الغد برحلة البحث عن وظيفة أخرى ،ولنبداً كالعادة بالطريق المؤدي إلى وسط البلد ، حيث زخم الحياة كله تجمع فى هذا الحيز ، بيع ، شراء ، الآف الأصوات تنادى ، مكاتب سياحة ، إعلانات رحلات الصيف بسعر إستثنائي بمناسبة مهرجان التسوق .مطلوب سكرتيرة حسنة المظهر لمكتب هندسي تجيد التحدث بالإنجليزية .لافتات عبثية (المستشار الإعلامى لمعهد التنمية البشرية يعلن عن بدء دورته الصيفية /تعلم كيف تتعامل مع الآخرين /تعلم كيف تبني مستقبلك /تعلم كيف تصبح ناجحاً فى حياتك العملية) . ليتهم يعلمون ، فلا فائدة من الخداع ، إلا أن كان الثمن

هو الفائدة من هذه الدورات الوهمية ، مساكين الذين
يهرعون مُصدقين تلك الكذبة .إن التعامل مع الآخرين
يحتاج لموهبة ، وبناء المستقبل يحتاج لرأس مال ،
والنجاح فى الحياة العملية يحتاج لأسلوب مدعوم بفن
وجهد ، فلا جدوى من محاضرات لن تمنح الموهبة ولا
رأس المال ولا الأسلوب .

-.-.-.-.-.-.-.-.-.-

اليوم الأول :

الثامنة والنصف صباحا ..

"وحتى تجد المكانة التى تليق بمهندس فعليك بسند
قوى"

رحلة جديدة للبحث عن وظيفة أخرى وعذاب آخر ،
وعقول أخرى ، عقول تستطيع فهم النظرية الحديثة بين
الرئيس والمرؤوس ، وليتهم يفهمون ، كم من مرة قطعنا
هذا الطريق بحثاً عن نظرية الحاجة ، الحاجة التى لا
يشوبها أي نوع من التنازلات، وكلما وجدت بارقة أمل ،
شيئاً فشيئاً تكتشف تأخر العقول ، ويظهر التخلف الراسب
في المجتمعات العربية فوق السطح . نظرية السيد والعبيد
، التابع والمتبوع ، وأبداً لن تكون من زمرة العبيد، أو تابع
لرأسمالى حقير جاهل . وها هو الطريق المؤدى لـ وسط
البلد، منذ متى وأنت تجتاحه ؟ منذ كثير ، سنوات أصبح
إحصائها من الأشياء المرهقة ، المؤسفة ، المؤلمة ، ربما
سبع سنوات ، أو لعلم ثمانية ، الحقيقة أنهم تسع ، تسع
سنوات عجاف باحثاً عن نظرية عبثية ربما لا يكون لها
وجود إلا فى مخيلتك ، وزد عليهم سنة أخرى كاملة بعد
التخرج من كلية الهندسة لا تفعل شئ سوى إنتظار وظيفة
الحكومة ، أو أى إعلان فى الصحف عن شركة واحدة
تطلب مهندس بلا جدوى ، فلا الحكومة تريد ولا القطاع

الخاص يحتاج ، وأنت تبحث عن مبدأ المساواة فى عمل يحترم نظريتك . هل أصبحت أفلاطونياً النزعة أو دون كشتوتيا تحارب طواحين الهواء بسيف من خشب ؟ فلا أمل ولا مهرب من الواقع ، فالحياة هى هى ، وهذا الطريق الذى ألفت سيره هو هو ، لم يتغير شئ فيه ولن تتغير الحياة بكل هذا القبح فيها ، وهذا العبث فيها، وهذه القوانين التى عفا عليها الدهر فيها . وحتى تجد المكانة التى تليق بمهندس فعليك بسند قوى، يدعمك ويدفعك بإسمه وتاريخه إلى وظيفة مرموقة ، حكومية كانت أم شركة خاصة . لا يهم ، الذى يعيننا أنها مرموقة وفى صميم سنوات الدراسة ولكنه العبث ، من أين لك الدعم ؟ إنها الوساطة ياعزيزى . وتلك نظرية أخرى ، حتى العائلة التى دفعتك دفعا لهذه الدراسة رغماً عنك أقرت بخطئها نادمة، وغالبها اليأس وهى التى كانت ترى بعيونها أن المستقبل مضمون ، والوظيفة تنتظر ك مباشرة والمنصب قادم لا محالة . أما رأيتم المستقبل والوظيفة والمنصب ! كاتب فى مخبز آلى ، ومنه إلى كاتب فى معرض سيارات ، ثم تتلفك الأيام لتلقى بك فى بار بباخرة سياحية ، مجرد مساعد بارمان . وما تحصل عليه أنت ، تحصل عليه أضعاف أضعافه هذه الراقصة اللولبية التى أجزم بأنها لا تترك أحضانها فارغة كل ليلة إلا من ثرى أو مغفل من أصحاب العقول المتأخرة ، ولتحيا الحرية فى أحضان ورق البنكنوت ، ومن ليالي الملهى إلي حامل حقائب فى فندق خمس نجوم ومنه إلى مصنع ملابس واقفاً طوال اليوم على ماكينة التغليف ، وضجيج الماكينات حولك وعليك أن تنتهى فى اليوم من تغليف مئات القطع ، حتى

لتكاد أن تهوى على الأرض من فرط الوقوف بلا شفقة .
ثم تبعث بك الأيام إلى مهنة سكرتير فى معهد لتعليم
الرقص لأبناء وبنات الـ **first-class** ومنه تتلفك
نانسى ، واحدة من تلك الطبقة وتبدى إعجاباً شديداً بك
وبوسامتك، وتمنحك من وقتها وحنانها الكثير والكثير ،
حتى يُخيل لك أنها أحبتك بصدق . وتخرج معك وتدعك
تقود سيارتها وتغدق عليك بهدايا، وتذهب بك الى النادي
واضعاً يدها فى يدك، وكأنها تتحدى العالم والفوارق
بحبها لك ، ثم تكتشف أن كل هذا مجرد مسرحية سخيفة ؛
لئُشعل نار الغيرة فى قلب حبيبها . لقد صنعت منك
ماريونت تحركه كما تشاء، وجسراً تعبر به إلى قلب
حبيبها ، وكان على أثر هذه العلاقة غير المتكافئة أن يدفع
حبيبها الألف لمدير المعهد، حتى يطردك لتصبح عاطلاً
من جديد ، وما أن رق قلب نانسى لهذا الحبيب ، حتى
طردتك هى الأخرى من حياتها شر طردة ، مصطحبة
بإهانات وعبارات غايةً فى القسوة . لتبدأ رحلة بحث
جديدة وتجدها بعد ثلاثة أيام فقط ، وكان من مجاملات
القدر أنه لم يدعك طويلاً فى هذه الرحلات الشاقة ،
فأقصى مدة بحث لم تتجاوز الأسبوع ، ولتنتقل بعدها إلى
عملك الجديد كفرد أمن فى إحدى الشركات لتترقى بعدها
سريعاً، وتصبح دائماً بصحبة صاحب الشركة ،
ستكون **BodyGuard** لرجل الأعمال الشهير ، وفيما
يبدو أن أعماله كانت مشبوهة ، قد إتضح هذا جداً من هذه
اللقاءات المريبة فى أماكن تتسم أكثرها بالغرابة . ولكن ما
شأنك أنت ، إن نظريتك ومبادئك تقوم على أساس
الاحترام المتبادل بينك وبين صاحب العمل ، وهذه

العلاقة تفرضها عليك ثقافتك وتعليمك .ودائمًا للتأكيد ، أنت في مبادلة ولست بخادم ، صاحب العمل يحتاج خدماتك وأنت تحتاج لماله .وكانت كل الشواهد تؤكد أنه يتاجر في الممنوعات ، ولكن الرجل يعاملك هذه المعاملة المثالية ، ويهبك أكثر مما تستحق .وهذا ما تريده ، إلي أن جاء اليوم الذى طلبك لتقابل واحدًا من هؤلاء في مكان لا يصلح أن ينيثق منه إلا عمليات مشبوهه ، وكل ما أردت أن تعرفه وهو حق لك ، ماذا تحوى هذه الحقيبة المطلوب أن تأتي بها؟ ربما كان فيها ما يؤدي بك إلى مصير مؤلم ، قد يكون هيرويين أو كوكايين أو ما شابه من هذه الأشياء التى تقضى على مستقبلك ، وما إن سمع السؤال حتى تقلص وجهه وظهرت على سيمائه ألوان الطيف، وصرخ فيك لأول مرة صرخة عنيفة أمره "إنطلق "بعدها كلام جارح أدي إلى إنهيار نظريتك في أن تستكمل معه العمل برغم معاملته المثالية في السابق ، وبرغم عطاياه وإغداقه المفرط ، ولكنك صاحب مبدأ .مبدأ في المعاملة المثلى وليس في التدخل في شئون العمل وأسراره .إن هذا المغفل لو كان صرح لى بالحقيقة ، لم أكن أرفض، ربما أخذت حذرى أكثر حتى أجلب له هذه الحقيبة في أمان ، ثم من يدرى ، ربما كان مراقب من الشرطه ، وتضيع عليه الحقيه وما فيها والتى أثق أنها تُقدر بالملايين ، لذا كنت سأضع خطة لجلبها بعيدًا عن المخاطر، وهذا لا يمنع من أن أطلب نوعًا من المكافأة لإخلاصى .إنها العلاقة المثالية في العمل "الإخلاص المتبادل "أعطني ما أستحق أعطيك إخلاصًا ، ولكنه أحمق ، لم يستطع أن يفهمنى ، وإنهال بكلام جارح ، يتصور فيه أننى خادمه مع

العلم أنه يعرف جيدًا أنني أحمل شهادة في الهندسة ، ولكنني فضلت أن أنسحب من العمل بعد سماع هذه الإهانات ، ولكن أعتقد أنه لا يزال في جيبي ورقة أستطيع أن ألعب بها فيما بعد ، ربما ومن يدري ؟.

إنقضى نهار اليوم الأول كله في بحث لم يفرز عن شئ ، حيث إنه كان قد صادف يوم الإجازة لمعظم المكاتب والمحال ، ولا يبقى إلا أن نجلس على المقهى حتى ينتهى اليوم ولنبدأ في الغد من جديد . إنه المقهى المفضل دائماً من عناء بحث شاق ، تعرفت عليه منذ تسع سنوات ، هو نفس الزمن الذى خرجت فيه للحياة ؛ باحثاً عن النظرية والمبدأ والحلم والأمل ، باحثاً عن حرية مطلوبة ، عن حق مهذور . لقد سمعت ذات مرة أحد الكُتاب المشاهير يقول : "إن الآمال لا تموت مهما نال منها الزمن، فهي دائماً تُبعث من جديد "، لعله يهذى . إن الأمل الذى يذهب لا يعود ، والدليل أنظر حولك أو حاول أن تسير في الشارع أيتها الكاتبة المشهور ، ستجد أن الآمال لم يعد لها وجود بين هذا الجيل ، وقد محا أثرها من كل القواميس التى عرفوها أو حتى التى لا يعرفوها . إن هذا القادم هو أقوى دليل على صدق كلامى ، إنه "محمد عبود " عامل المقهى ، أو كما نحب أن ندعوه دائماً بـ "عبود "، والذى لا تعرفه أيتها الكاتبة أنه خريج كلية الآداب قسم إعلام ، يهوى كتابة الشعر والمقال ، ولكنه لا يملك شيئاً سوى أن يكتب الأشعار والمقالات، ولا يجد من يقرأها إلا أنا . إنه

صديقي ،جمعتنا هموم مشتركة ، آمال وآلام مشتركة ، إن أقوى روابط للصدقة تلك التي يجمعها هم واحد وحزن واحد ، لم يكن لعبود أي واسطة تُحقق حلمه الأعظم في أن يلتحق بعالم الصحافة ، ولم يكن له أي أحد يساعده في تحقيق حلمه البسيط ، أن يجد عمل يناسب درجته العلمية ، ولكنه العبث .لم يجد عبود سوى المقهى ليعينه على أعباء الحياة ، واكتفى من أحلامه أن يكتب أشعارًا ، وأقرأها أنا ، إنني قارئه الوحيد .وهو سعيد بذلك ، على الأقل وجد من يقرأه ، من يحس به .إن أشعاره دائمًا تجسد فترات زمنية من حياته ، ومع ذلك لم يتقاعس عبود عن تحقيق حلمه ، بل بعث كل أشعاره ومقالاته للصحف والمجلات ، دون جدوى ، إنه العبث ، دائمًا العبث ، ها هو قادم بإبتسامته الهادئة .

=طبعاً قهوة كالعادة يا أستاذ نور؟

-أكيد يا عبود وهل في غيرها .

=منذ أسبوع كتبت قصيدة عن حال العرب.

-أسمعني عن حالهم الذي يرثى له .

=ليس الآن ، طبعاً أنت معنا الى آخر الليل؟

-طبعاً ..كالعادة في رحلة جديدة للبحث عن عذاب جديد.

=ووجدت ؟

-اليوم إجازة معظم المكاتب والمحال كان مغلق.

=ربنا يوفقك ، في الغد إن شاء الله تجد أفضل ممن قبلها.

-يارب يا عبود ، وبالييت لو فتحت التلفاز لنسمع أخبار

العالم العبثي.

=هههه ، أأمر .

(موجز لأهم الأنباء.. (وجه عابس لمقدم الموجز لا يبشر إلا بأخبار عبثية جديدة ..هات ما عندك .إليكم موجز لأهم الأنباء) :إيران تستعد لإتخاذ الخطوة الأخيرة في برنامجها النووي .أبو مازن يدعو إسرائيل إلى عدم إضاعة فرصة السلام .وزير الشؤون الإستراتيجية الإسرائيلي ليرمان يدعو لحملة واسعة ضد الفلسطينيين واغتيال قادة حماس .تعاطف الشارع العربى بعد الحكم بالإعدام للرئيس المخلوع صدام حسين في قضية الدجيل)

•
ها هو العالم القبيح يطل علينا بأخباره العبثية من جديد ، كيف تبدو هذه الحياة من خلف ستار دموي ، إغتيالات ، إحتلال ، برامج نووية ، إعدام ، عنف ..كثير وكثير من العنف ، ألم تقم هذه الدنيا على أسس الرحمة والحب والعدالة والمساواة ؟ ولكن أين الرحمة والحب والعدالة والمساواة ، أين المعيار والقانون؟ ، لا شئ ، لا شئ ، فالقوة معيار والسلاح قانون والواسطة أسلوب ومبدأ .أما أن الألوان لهذا العبث أن يفنى ، ثم ما قيمة القوانين إذ لم تسرى على الغنى والفقير !وما قيمة المبادئ والمثل إذ لم تجد من يتبناها فعلا لا هتافات !وما قيمة دراسة الهندسه لكاتب في مخبز آلى !إلى متى الزيف والرياء ؟ إلى متى نكابر عن إعلان الحقيقة بلا أدنى رتوش !ألم يعد النفاق دليل النجاح !ألم نعترف داخلنا أننا أصحاب الأقنعة اليومية !ألم نتحول إلى وحوش وأصبحت الأرض كغابة ، أو حلقة لمصارعة الثيران والبقاء للأقوى !متى نعلن أننا أصبحنا سلالة شرعية للشيطان نحمل جيناته الوراثية ونزرعها جيل وراء جيل ، ألا من الأجدى أن نذهب

لمدينته الغراء ، وأما الأرض فالحيوانات أولى بها . أما أن الألوان لهذا العبث أن يفنى ، أيها الشيطان الرجيم ، لقد أحلت علينا لعنتك ، وتحققت الغواية ، ومن الأجدى أن تكون القيامة الآن وليس غداً ، حيث ينتهى هذا الهراء ، وإن كان لها أساس ، فلما التأخير؟ وما بعد ذلك من بعث وحساب ، جزاء وعقاب ، فناء الأرض ، فماذا يفيد البناء من الأساس ؟ وما فائدة التعمير مادام الزوال قادم في ساعة ! يقال أنها لا ريب فيها ، وما فائدة أنبياء يعلنون ثوراتهم على الظلم ، على الجهل ، على الأخطاء ، في حين أن هناك قدرة من فوق سبع سموات وحدها تتكفل بالفساد وإنتهاء هذا الزيف . هل كان الإرتداد صعب ..؟ أم القصة من الأساس ليس لها وجود ، هل هو العبث مرة أخرى ؟ ولكن حينما يمتد الى هذه المنطقة المحظورة ، فما جدوها إذن الحياة ! أين العدالة المهدهة ؟ هذا الاسم المشتق من صاحبها، أهى مؤجلة إلى يوم الميعاد ؟ هل كان تاريخ الأرض هو أكبر وأقوى نظرية للعبث؟ هل ينقص هذا التاريخ الأدلة والبراهين حتى تنتفى الأدلة المؤكدة للعبث ، وما الدليل والبرهان؟ روايات نسمعها ، كتب مقدسة ، مؤلفات ، هل هذا هو الدليل والبرهان ؟ فالروايات تُحرف بفعل الزمن ، والمؤلفات إنتاج بشري وحتى الكتب المقدسة من الذى قام بنسخها لتصل لنا الآن من خلف مئات الأعوام ، أنفسهم أصحاب المؤلفات ، ألم تُحرف على أهوائهم ؟ ثم من أين الإجابة عن سؤال إحتار فيه الكثير ، حتى اتفقوا على شئ واحد إنها المشيئة والقدر ، وليس لك حق التدخل في هذا ، ثم ما هو قبل الوجود ، ما شكل العدم الذى كان ؟ سؤال بلا إجابة ، وفيما يبدو

— • — • — • — • — • — • — •

اليوم الثاني :

التاسعة صباحًا

"ما أجملك يا عبود نفضت عن نفسك غبار الأمل
ورضيت الواقع دون ضجر"

النضال الأليم مستمر ، والشارع الرئيسي هادئ راكد ،
وما عليك إلا اجتياحه بحثًا عن النظرية والمبدأ ، وإن لم
يُظهر جدوى ، فالشوارع الخلفية والجانبية تتكفل برحلة
الغد ، وكالعادة لافقات جديدة تعلن عن حاجتها لوظائف
شاغرة ، (مطلوب سكرتيرة لرجل أعمال بمرتب مغرى)
(مطلوب أنسات للعمل في مركز تجميل) ، (المخدمات
-جميع طلباتك متوفرة -طباخ ، بستاني ، عاملات
نظافة ، جليسة أطفال -كل ما تحتاجه لبيتك متوفر لدينا -
مع تحيات الإدارة ، أ /نبيل توفيق . (الأكيد أن للأنسات
فرصة أوفر في سوق العمل ، والأكيد أيضًا أن بعضهن
بعد ترك العمل لن يحملن لقب أنسات ، ولذلك حكمة إنك
تعطى بيد في نفس الوقت الذى تأخذ فيه بيدك الأخرى ،
تبددت الحقائق بلا شك وأصبح المحظور مباحًا في إطار
معين ،إطار مطلوب أنسه حسنة المظهر، وقد يحدث
العكس عندما يكون الطالب سيدة عاطلة عن الجمال ،
عملية تبادلية تحت ستار خطير، ستار العبادة ، ومدام
العمل عبادة ، فإذهبي يا أنسه ، فربما هذا كان أحد المبادئ

الجديدة حتى تجد لك مكان فوق هذه الأرض ، ونهاية الشارع الرئيس على وشك ولا بارقة أمل و مرور اليوم الثاني على وشك دون جدوى ، فلنسمع قصيدتك المؤجلة من الأمس يا عبود ، فلا أمل اليوم ولا جدوى ، ربما قد يحمل الغد بشرى .

-كيف الحال يا أستاذ نور ، لعلك وجدت ؟
=أبداً يا عبود ، لعل المكسب الوحيد من هذا اليوم سماع قصيدتك ، ولكن ألحقني بقهوتك أولاً ..فالعيب اليومي يفقد توازن العقل إذا ما فكر فيه طويلاً.
-ثواني وأحلى فنجان قهوة يكون أمامك.
=ولا تنسى القصيدة.
-طبعاً .

ما أجملك يا عبود نفضت عن نفسك غبار الأمل ورضيت الواقع دون ضجر ! وإما أن تفعل ذلك، وإما أن تكون صاحب مبدأ لتجد نفسك حائراً بين الحقيقة والعيب في رحلة جدلية ، قد تُسفر عن نظريات جديدة إذا أفصحت عنها قالوا عنك تهذى.

= تفصل يا أستاذ نور أحلى قهوة لأعلى زبون.
- متشكر يا عبود ، هات ما عندك وأسمعني وصفك عن حال العرب .

= حال العرب يحتاج ديوان لا قصيدة يا أستاذ نور ،ولكن كما تقول أنت دائماً إنه العيب ، وضعت عنوان لها (ميلودراما عربية)احترت كثيراً ولم أجد أفضل منه ،اسمع :

أما زلنا نفاخر بأمجادنا القديمة !
حضارتنا القديمة
أيامنا القديمة
أما زلنا نبكى على اللبن المسكوب !
أما زلنا نحلم بأن تتكاتف الشعوب !
لنُحرر القدس وتثور لبغداد
وتساند بيروت
أما زلنا نعقد المؤتمرات !
ونقف أمام الميكروفونات
وندلى بأخطر القرارات
ثم نلقيها في أقرب سلة للمهملات
أما زلنا نشجب ونندد ونبكى !
ألا يخرج منا صلاح الدين
أو جيفارا
أو حتى غاندى
أما زلنا عملاء للطاغية الأعظم ، ألا ننأر !
ألا نصون لكرامة في كل يوم تُهدر
ألا توجد بيننا من تقوم بدور جان دارك
عندما ذهب عصر الرجال
وانتهى بلا شك
ألا نرتجف لما حدث في قانا وحانون
ألم يعد يعنيننا أن نصبح في عالم مجنون
إندهس فيه القانون
فهنيئاً لزعماء وملوك العرب
إملئوا بطونكم واسكنوا قصوركم
واسمعوا الموسيقى والطرب

فلا شيء يُعنى شيئاً
لا أطفال ولا نساء في مجازر يومية
ولا للقومية العربية
يكفينا إليسا وهيفاء ونانسي
يكفينا أن نرقص ونهذى
ونصوت لستار أكاديمي
حتى ينتصر بطلنا الجديد على منافسيه
بطلنا في الرقص والغناء والسخف الشيطاني
ثم نهتف له هتاف الشعب للمانحين
ونودعه توديع الفاتحين
ونصفق لأمجاده التي أحرزها
في أساسيات رقص الرجال
فهذا يكفي
حتى نصبح نحن العرب أبطال
يكفينا أن نهلل ونصفق لإعدام صدام
وكان العالم بعده سينعم بالسلام
يكفينا أن نثور نهارة
على الرسومات الدانماركية
ثم نذهب ليلاً ونشتري
الزبد الدانماركية
الجبين الدانماركية
السمن الدانماركية
يكفينا أن نناقض أنفسنا
في اليوم آلاف المرات
يكفينا أن نصفق
عندما يتحقق الحلم

وتصبح إسرائيل

من النيل إلى الفرات .

-الله يا عبود !تصفيق حار جدًا تستحقه بجدارة، إننا فعلاً هكذا ، نهل ونشجب ونندد، كله كلام في الهواء ، الشيزوفرينيا التي يعاني منها المجتمع منذ زمن ، تتناقض شديد يا عبود بين الفعل والكلمات التي نتقوه بها .وآه لو يعلمون ما خطورة الكلمة إذا كانت خالصة من القلب ومطابقة للفعل ، الأنبياء جاءوا لأجل كلمة والثورات قامت بكلمة ، الدنيا كلها تجمعت من أجل إعلاء كلمة واحدة ، هذا الخلق منذ بدايته وإلى الآن جاء بسبب كلمة (يعبدون)، ولكن هل الكلمة بكل جلالها كفيلة أن تغير هذا العالم العبثي الآن ؟

=مممكن يا أستاذ نور لو كنا نملك قلوب ثابتة على المبدأ وإصرار الأنبياء ، أو ثائراً كالحسين .لم أنسى هذا المقطع منه والذي أحببته من كثرة ما رددته على مسامعي في أول تعارفنا ، ألا زلت تذكره ؟

- طبعاً .ومن ينسى يا عبود ، (مفتاح الجنة في كلمة ، دخول النار على كلمة ، وقضاء الله هو كلمة ، الكلمة لو تعرف جريمة زاد مزخور، الكلمة نور ، وبعض الكلمات قبور ،وبعض الكلمات قلاع شامخة ، يعتصم بها النبل البشرى ، الكلمة فرقان بين نبي وبغي ، بالكلمة تنكشف الغُمة ، الكلمة نور، ودليل تتبعه الأمة ،عيسى ماكان سوى كلمة ، أضاء الدنيا بالكلمات وعلمها للصيادين ، فساروا يهدون العالم ، الكلمة زلزلت الظالم ، الكلمة حصن الحرية ، إن الكلمة مسئولية ، إن الرجل هو كلمة، شرف الله هو الكلمة .)

= لم ينقص إيمانك إذن يا أستاذ بالمبدأ وبالكمة ورغم كل هذا العبث .

- ولا تنسى النظرية يا عبود ، فمن أجلها سيكون في الغد رحلة بحث ثالثة ، أتركك الآن.

= ستمر غداً ؟

- في حين لم أعر على النظرية ستجدي عندك في نفس الميعاد .

اليوم الثالث :

التاسعة والنصف صباحًا

"إن هذا التفاوت الضخم أكبر دليل على عبثية الحياة "

ويتجدد اللقاء وإن كان قد خاب آمالنا في الشارع الرئيس ،
فالأمل في الشوارع الخلفية والجانبية لم ينقص ،ولذا
فالبحث مستمر ، والقدر له سخريته ، والشمس ترسل
أشعتها الذهبية ، والوجوه كثيرة ، والنظرات من حولك
أكثر، البائسة ، والفرحة ، والهادئة، والحزينة، والمشعة
من ثنايها أمل مفقود ، وعيناك أنت يا نور لازالت تتسع
لمعاني جديدة في الحياة ؟ ، أم أرهقتها قسوة التجارب ،
هل طال الانتظار ؟ أم هو السراب ؟ أم طال بك زمن
اليأس ، إلى متى هذا الهراء ، إلى متى تصارييف الأقدار
خاطئة ، مخيبة للآمال ، إلى متى عثرات الحظ ، إلى متى
هذا الجنون ..؟ .وها هو باكورة جنون اليوم، إعلان عن
وظيفة (مطلوب عامل نظافة لمطعم آكلات شعبية بمرتب
مجزى بـ (...../أي مرتب مجزي هذا الذى يمنح لعامل
نظافة ، إن كمثل هؤلاء البؤساء لاينظرون لأبعد من
أقدامهم ، يكفي أن يظل الواحد منهم على قيد الحياة مجرد
لقيمات وشربة ماء وسكنة -أي سكنة -حتى ولو كانت
حظيرة للمواشي ، مجرد مأوى ، والأحلام لا تعرف
طريق لهم ، فالغاية وجبة عشاء كل يوم ، وحتى هذا غير

مضمون ، لقد رأيت كثيرًا من هؤلاء الذين يقضون عشايتهم نوم ، ورأيت الذين يضيقون بكثرة أموالهم وينفقوها في لاشئ ، منتهى العبث ، منتهى الأنانية ، لا أحد يفكر في الآخر .إن هذا التفاوت الضخم أكبر دليل على عبثية الحياة ، إنه الجنون ذاته ، ولا أعتقد أن مبادئك يانور تتماشى مع مبادئ عامل نظافة في مطعم أكالات شعبية ، إذن غيره ، ورقة عبثية أخرى ، فيما يبدو أنه يوم العبث الأعظم)مطلوب مدير لمول تجاري ذا خبرة لا تقل عن ٢٠ عامًا (، ومن أين نأتى بخبرة عشرين عامًا ، ثم الذى لديه كل هذه الأعوام من الخبرة ، لا أعتقد أنه يبحث عن بناء مستقبل من جديد ، لا بد من في عمره إستقرت حياته إستقرار طبيعي ، ولكنها الخبرة .وماذا بعد ذلك ، لعل في الشارع المقابل نجد مطلبنا ، فلا أمل هنا فيما يبدو ، وليستمر الكفاح اليومي هناك في هذا الشارع ، ولعل المأساة اليومية تنتهي في نهاية هذا المقابل والذى لم يعد غيره اليوم والأفق الأحمر على وشك أن يتوارى . وثمة جملة متجلية من بعيد قرأتها قبل ذلك كثيرًا))فرصة عمل ((لعل ما تحتها السبيل والمطلب والرجاء فقد هُلكنا بحثًا عن المبدأ المفقود ، وفيما يبدو أنه لا بالسبيل ولا بالمطلب، ولا بالرجاء))شركة مساهمة كبرى تطلب لأحدث معارضها مندوبى مبيعات يشترط إجادة اللغة الإنجليزية ويفضل وجود سيارة (، ألا يشترط نوع السيارة ولونها حتى تُستفى كل الشروط وإن كانت عادية أو أتوماتيك ..شروط معوقة لوظائف الفائز بها أغلب الظن أنه لا يحتاجها أشد الحاجة ، أو ربما قد فُصل الإعلان لشخص محدد كما الحال في مسابقات الوظائف

الحكومية ، إنهم يضعون شروط غاية في الغرابة حتى تنطبق على أشخاص محددة، قاموا بتفصيل الإعلان خصيصاً لهم حتى تتم الصيغة القانونية على أكمل وجه ، حتى إن واضعى الإعلان ليكادوا أن يقولوا " :ويشترط على المتقدم للوظيفة أن يكون اسمه محمد واسم والده سليمان ، فلا أمل في هذه الفرصة وليكن في غيرها الأمل والعزاء " ولكن ما هذا الضجيج وما كل هذه الأصوات الهاتفة ؟ لعلها مظاهرة ، ولكنها واقفة بلا حراك والتهافتات غير منتظمة كما يحدث عادة في المظاهرات ، ربما معركة ولكن ثمة ابتسامات ظاهرة من بين الجموع ولتقترب شيئاً ، ربما فرصة عمل ، فلقد أصبح العمل في هذه الأيام فرصة ، وعليك إقتناصها، أبداً أبداً .إنها مطربة نصف مشهورة ، إنها راقصة أكثر منها مطربة ، راقصة فيديو كليب ، ولكن مجرد مرورها بسيارتها في أحد شوارع وسط المدينة ، يحدث كل هذا الإنفلات ، وكل هذه الضجة ، وكل هذا التعطيل المرورى ، إنها مظاهرة بكل المقاييس ، إلى هذا الحد إختلت عقول الناس، إلى هذا الحد وصل بهم العبث ، لو كان داعية إسلامية وفقه في الدين مر مثل هذا المرور لما وقفوا له هكذا ، وما تعطلت الحياة هكذا ، ولكنه العبث ، زمن العبث ، وصدق نزار حين قال " :في هذا الزمن الذي باع كُلُّ أنبيائه ؛ ليشتري مكيفاً للهواء ، ليقتني جهازَ فيديو، وقصيدة الشعرُ بحداء ، في هذا الزمن المُدجج بموسيقى الجاز ، وسراويل الجينز، وشيكات)الأميركان إكسبرس (في هذا الزمن الذي يعتبر سيلفستر ستالوني أعظم من الإسكندر المقدوني، ويصبح فيه مايكل جاكسون أكثر شعبية من

السيد المسيح "، صدقت يا نزار . هذا الزمن الذي أصبحت فيه مُغنية تظهر نصفها عارية أكثر شعبية من داعية إسلامية و فقيه في الدين ، ولكن من المسئول عن هذه الظاهرة ، عن تفشى هذه الظاهرة ، هل الحكومات ؟ هل رأس المال ؟ هل الناس ؟ هل الإنحدار الأخلاقى ؟ هل الآخر ؟ هل الطبيعة ؟ تعددت الأسباب ولكن يظل أهمها هو الناس ، الناس دائماً هم السبب الرئيسى للكوارث الأخلاقية ، فالتغيرات دائماً ما تقوم إلا لإحتياجات الناس ، إحتياجاتهم العبيئية ، من الأجدى العودة إلى نقطة البحث التى تركناها، فالعبث لن ينتهى طالما هناك ناس تلتف حول راقصة وتهتف بإسمها .وها فرصة جديدة)الشركة العالمية للطباعة الهندسية تطلب آنسه تجيد العمل على الكمبيوتر وخاصة برنامج الأتوكاد (، ألم أقل أن للأنسات حظ أوفر !ومادام العمل عبادة ، فإذهبى يا آنسه . بلا شك أن هذا اليوم إنتهى سدى ، ومن غرائب القدر هذه المرة ، إنه لا يوجد في وسط المدينة أى بارقة أمل ،وكانت هذه المنطقة في السابق هى دائماً الملاذ والملجأ ، ماذا جرى ؟ وإن كانت المنطقة الأكثر حركة ونشاط بهذا الكساد، فماذا تنتظر من المناطق الأخرى ؟ .فالواضح أن فترة العبث ستطول هذه المرة ، واليوم إنتهى ملامحه ولا بشير قد لاح ، وإليك يا عبود نذهب ، ولكن لنمر على المكتبة أولاً ، فخير عزاء الليلة في قراءة كتاب ، لعلنا به ننسى العبث الأرضى قليلا ، ولتكن القراءة الليلة سلوانا وملاذنا .

وها نفس الشحاذ القابع منذ زمن أمام ساحة المكتبة ، لقد أصبح بغرابة هيئته سمة من سمات الشارع ، إنك تراه قابعا بحُلته الكاملة ورابطة العنق المتهرئة ، وكأنه نبيل

من طبقة النبلاء انحدر به الحال وأدارت عنه الدنيا وجهها، حتى أصبح شحاذًا .كم رأيته دائماً صامخاً صامتاً ناظرًا للسماء ، وكأنه يتأمل الملكوت وهذا النظام الكوني العبثي، الذي ألقى به في نهاية المطاف لمهنة الشحاذة ، وهو لا يمد يده كأي شحاذ ، إنه فقط يحدجك بنظرة طويلة ، نظرة عميقة رأت الدنيا قبل ذلك بأعوام كثيرة ، نظرة تؤكد أنه ابن عز ضل طريقه للشحاذة ، قالوا عنه أنه سليل أسرة شديدة الثراء أنفق كل ميراثه على المجون والعريضة ، وقال آخرون أنه كان ثائرًا خطيرًا وسجين سياسي لفترة طويلة، ذاق ألوان من العذاب في السجن حتى ذهب عقله ، وقال بعض آخر أنه كان أستاذ في الجامعة يُدرس الكيمياء ، وتزوج من امرأة جميلة وصل بحبها إلى درجة القداسة إلى أن إكتشف أنها على علاقة آثمة مع صديق عمره ، فقتلها وقتله وسار هائمًا على وجهه إلي أن انتهى به الحال شحاذًا . اختلفت الحقائق والأقوال عنده ، ولا أحد من القائلين يُجزم أن روايته هي الحقيقة ، هو وحده الذي يحمل الحقيقة ويعيش بها ، وربما يتعذب بها هذا العذاب الذي جعله دائماً صامخاً ناظرًا للسماء، وكأنه يتأمل الملكوت وهذا النظام الكوني العبثي الذي ألقى به في نهاية المطاف لمهنة الشحاذة ، وفيما يبدو أن واجهة المكتبة تغيرت بشكل جذري ، أصبح للأدب العالمي والكتب العلمية والفلسفية نصيب وافر من العرض على غير العادة، بالإضافة إلى كتب في الفن التجريدي والسيرالي ، وكتب في الدراسات السياسية . إن السبب بلا شك في هذا التحول هو راجي ابن صاحب المكتبة وهو دارس للهندسة أيضًا ، إنه زميل جامعة وكلية واحدة ولكنه كان

أكبر عامان ، ورأى من وجهة نظره أن العمل في المكتبة مع والده أجدى من العمل في الهندسة ، قال لي يوماً : مافائدة الهندسة في بلد تسير بعشوائية ليس لها مثيل ؟ لعله على حق ، وقام بتولي الإدارة بناءً على رغبة والده ، وعمل على توسيع شامل حيث اشترى محال مجاور وضمه للمكتبة ، كنت أشهد هذه التطورات أثناء مرورى الدائم في البحث عن مبدأ ، أقصد وظيفة . وها تجلت حسن إدارته بتغطية رائعة من الأدب العالمي النادر والكتب العلمية والفلسفية وأيضاً الدراسات السياسية، بعدما كانت مقتصرة المكتبة على الأدب العربى وبعض الروايات المعروفة من الأدب العالمي، وبعض الكتب القليلة عن السينما والمسرح ، رائع حقاً يا راجى ! يبدو أنك أنشأت المكتبة من جديد ، ولندخل إذن . إن المؤشر رائع من خلال هذه الواجهة وفتاح للشهية في أن تلتهم الكثير والكثير من هذه الكتب ، وكالعادة لحظة الاختيار العسيرة ، ثرى ماذا تنتقى من بين تلك الأرفف المعلقة ، كتاب في السياسة ، أم في السير الذاتية ، أم في علم النفس ، أم في الأدب ، أم في تاريخ الحضارات ، عنوانين مثيرة للقراءة بلا شك ، وهى حيرة في الاختيار بلا شك ، إذن من الأجدى أن يكون الانتقاء عشوائى حتى تتخلص من الحيرة ، وليكن ما يكون . فقط إغمض عينيك واسحب ما تجود به الأرفف ، وقطعاً لن تندم ، فالمقدمات تؤشر بالخير ، وها نتيجة المغامرة " :كوخ العم توم " هاربيت ستاو ، رواية وعمل أدبى له سمعة رائعة كما قرأت عنها يوماً ، وقد تتلخص أهميتها ونبل أفكارها في الدفاع عن الإنسانية المعذبة، المتمثلة في نظام العبودية وعدم

المساواة بين البشر ، وجعلت من تحرير العبيد قضية مقدسة ، بل قيل إنها كانت التمهيد لإلغاء نظام الرق في أمريكا ، رواية ممتعة حقًا ، لم تُخيب المغامرة ، وبالقطع لن يكون هناك ندم مع هذا العمل الأدبي العظيم ولكن مازال هناك وقتًا نذهب فيه لعبود .

دائمًا مبتسم يعبود لزبائن المقهى ، تُرى هل تتقصص دور الرجل السعيد أم إنها سعادة حقيقية تلوح ملامحها فوق،صفحة وجهك ، أم إنه الرضا باقدارك خيرها وشرها ، بلا ريب أنت ممن يجيدون التأقلم مع الواقع ، والواقع أن سعادتك هذه المتجلية دومًا هي مدعاة للتأمل حتى وإن كانت مشهد تمثيلي عظيم من فنان محترف، فلا المحترف نفسه بإمكانه توصيل نفس الإحساس لنفس المشهد لهذه السعادة في عرضه المسرحي ، والذي غالبًا ما يكون يوميًا ، قد تجده يومًا أقل إحساسًا في توصيل المشهد ، وقد تجده يومًا آخر إحساسه أعلى من المفترض أن يكون ، وقد تجده يومًا آخر يتوازي إحساسه مع الإحساس المطلوب في المشهد . أما أنت يابلال إيقاعك وإحساسك بالمشهد ثابت ، دائمًا ثابت ،لقد تفوقت على محترفي الأداء التمثيلي ، لعلها الحاجة للعمل هي التي تبرز تلك المواهب ، أم إنه من طول تقمص هذا الدور سبغ عليك ملمحه حتى غداً وكأنه قطعة من وجهك .

- لعل الأخبار خير يا أستاذ نور .
- أبدًا يا عبود ، اليوم كالأمس .
- لا تيأس ، غداً لناظره قريب.

- أين غدًا هذا ، تأخر كثيرًا كثيرًا.
- دع أملك بين يدي الله ، لعل الفرج آتٍ ، وتأكد أن لا أحد يعلم من أين يأتيه الخير.
- غريب أنك انت الذى تقول هذا الكلام يا عبود !
- ما وجه الغرابة في ذلك ؟
- أين الحلم الأعظم الآن لخريج كلية الآداب قسم إعلام ؟
- فهمت قصدك ، إننا لا نصنع أقدارنا يا أستاذ نور ، سمعت منذ فترة حديث قاله الشيخ في خطبة الجمعة، يقول عن ابن مسعود رضي الله عنه ،قال :حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم) -إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه في أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك، فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع : يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها (من فحوى الشق الأول من الحديث يبدو منه إننا لا نختار ما الشكل والطريقة التى سنكون بها ، فالاختيار قد تم من قبل المجئ ، إذن فلماذا نكابد ونلعن ! ولكن ما يميزنا نحن عن باقي المخلوقات هذا الصبر، وتلك القوة في تحمل المحن والسير على أشواك الحياة حتى نزول المعوقات ، والله لا يضيع أجر الصابرين ، ثم

- من يدري يا أستاذ نور ، فبين طرفة عين وإنتباهتها يُغير الله من حال إلي حال ، وله في ذلك حكم .
- صدقت يا عبود ، أتفق معك في معظم ما قلت ، ولكن إلى أن تأتي المعجزة وتتغير الدنيا، كما تقول من حال إلي حال ، كم صرخة ألم وحسرة سيعلمها قلبك ! كم دمة ستزرفها عيناك ! كم حلم سيموت داخلك ! كم لحظة سعادة ستضيع ! قد تلوح لك لكنها ستذوب قبل أن تقترب لها ، ربما تأتي المعجزة وتتغير الدنيا كما قلت ، ولكن عندما تأتي ستكون بلا قيمة ، ما قيمة المعجزات مع النفوس المنكسرة يا عبود ؟
- تسمح لي . لم تعد الأستاذ نور الذى أعرفه ! لقد تبدلت.
- كل شئ يتبدل يا عبود ، الحقائق تصبح أكاذيب ، الحب والمشاعر في لحظة تتقلب لزيغ ، فما بال بتسع سنوات ، إن دقيقة واحدة كفيلة بأن تُغير نتيجة الحروب ، تصعد بدولة وتهوى بأخرى ، وتسألني الآن تبدلت مع سنوات ضاع حبك وأملك في مستقبل رسمته لك العائلة ، وفي زمن قياسي تلاشت الآمال وتجلت حقيقة واحده ، أندري ما هي يا عبود؟
- ما هي يا أستاذنا ؟
- العبث .
- دائماً العبث ، هاها ، أستاذك الآن ، طلبات الزبائن لا تنتهي ، ولحديثنا بقية طبعاً.
- وافتح لنا التلفاز ، ولا تنسى القهوة.
- أكيد.

-.--.-.-.-.-.-.

اليوم الرابع :

العاشرة والنصف صباحًا

"كانت الكلمات تخرج بلا ترتيب مسبق وفي عفوية"

صباح منذر بكسل ، ولكن لا وقت للكسل ، لا وقت للإحباطات ، لا وقت للدموع ، فالفرص تنتظر تطرق أبوابها الموصدة -هاهاهاهاها -هراء ، عبث ، أيام سفيهه بل ريب ، ولكن لا يوجد حل آخر ، لنري !

باقي من رحلة الأمس بعض الشوارع الجانبية ، ولنختم بعدها بشارع قصر النيل ، تلك الأيام منذ ثمان سنوات كنت ضمن فئة من العاملين في أحد الشركات علي مقربة من هنا ، تمر علي هذا الشارع مفعماً بالأمال وبعاطفة نبيلة ملئت في النفس شوقاً ، وفي القلب أمنية وفي العين رغبة ملحة أن تراها ، أن تحدثها ، أن تسرح في رقتها وهي تتلقف منك طلبك للوجبة التي تكتبها علي الكيبورد ، ومما زاد من إعجابك لها إتقانها للإنجليزية وهي تتلقف طلبات الزبائن الأجانب ، والذين يتمركزون بكثافة في المنطقة ، ولمحت اسمها المكتوب علي اللوحة المعدنية الصغيرة المعلقة في اليونيفورم الخاص بها (غادة صلاح) . وأحببت تلك الغادة ، وتركزت فيها كل المشاعر وكل الآمال ، وأصبحت كل الأشياء ممكنة وكل الأشياء بسيطة ، وبريشة الأحلام رسمت حلماً وردياً معها تقتسماً فيه الحب والدموع بالكفاح المسطر فوق جبين الفقر ، ترتفع به إلي عالم العشاق ، أكنت مغالياً في عواطفك يا نور ؟

وابتسمت الفتاة للمرة الأولى بعد أيام طويلة ، شهرين أو ثلاث كانت تُصدر لك وجه خالي من التعابير (بوكر فيس) ، وهنا تجرأت وانتظرت بعد خروجها من المطعم وكانت متجهة إلي موقف الباص القريب من الميدان ، ولأول مرة تحدثنا حديث غير حديث أصناف الأطعمة والمشروبات التي تقدمه ، ووجدت في ابتسامتها تشجيعاً ظاهراً فاستفاضت الكلمات منك شارحاً لها ظروفك وآمالك وجموح عواطفك إليها ، كانت الكلمات تخرج بلا ترتيب مسبق وفي عفوية ، أنت نفسك إندهشت بعدها بقدر هذه الأيام السابقة التي انتظرت فيها أن تتجرأ من صمتك المتوارى خلف ستار الخجل ، وربما لمحت فيك صدق المشاعر وحسن النوايا فاستطعت إقتناص منها ميعاداً آخر في يوم إجازتها . وفي هذا اليوم كان الحديث أعمق من الطرفين ، وبمشاعر دافئة وعيون حانية حدثتك عنها وعن أسرتها ، أسرة متوسطة مهتمة بالعلم والثقافة ، فالأب موظف في إحدى شركات التأمين يهوي العزف على العود ، والأم أمينة مكتبة في جامعة عين شمس، لها أخ وحيد يكبرها بعام يعمل محاسب في إحدى مكاتب المحاسبة ، وهي حاصلة علي بكالوريوس إقتصاد وعلوم سياسية ، سألتها عن موقف العائلة من عملها في مطعم مهما كان شهرته العالمية لخريجة إقتصاد وعلوم سياسية ، جادت عليك بابتسامة عانقت تلابيب الوصل ، وقالت :

- معظم العاملين معنا خريجي كليات مرموقة والأسرة عندنا متفهمة الواقع وحال البلد.

- ولتُشحق الأمل الكبيرة علي عتبات الواقع.

- ما تقصد بالأمال الكبيرة ؟

- مكانك الطبيعي في وزارة الخارجية، وربما الغد كان يحمل لك منصب سفيرة، مثلما كان يحمل لي منصب مهندس.

قالت في هدوء شملني معها:

- ليس العيب فينا إنه النظام، النظام يا عزيزي.

- أحلم بإنهيار الأنظمة، كل الأنظمة.

- وماذا بعد الإنهيار؟

- تتصحح الأمور.

- أتجيد الفهولة؟

- لا علاقة لي بها.

- إذن لا تحلم.

- يائسة من الإصلاح لهذا الحد؟

- قل واقعية لهذا الحد.

وانتهى اللقاء و شفق الغروب يلوح من سماء، كم مررت تحتها ولكنها أصبحت سماء جديدة كالمتبذلة في ثياب العيد، لها لون الورد و عطر الياسمين و طعم السكر، وتجدد اللقاء كاليقظات من أيام غفلت كثيرًا عن حلاوة الدنيا المستترة في طيات الواقع الأليم، أحببتها لا شك، وأصبح لا معني للحياة بدونها، عرفت نجوي الخيال والشوق الي الحبيب وقرأت أزاهر الشعر وجذبك الحب إلي عالمه الوردي، فتطايرت صورة الواقع التي كانت تحاصرك لبعض الوقت، وإستسلمت للسعادة الوهمية، ومضي الوقت في رحاب هذا الحب النظيف والأحلام الغضة تنهال علي مخيلتك، تجمعك بمئية النفس تلك الغادة اسما وصفة بأرض جديدة، لا تعثرها سمات الأرض ولا

يسكنها أناسها ، لها شمس أخرى وقمر آخر وسماء غير السماء ، منحتك الفاتنة القدرة علي الحلم من جديد ، ولكن سرعان ما صحت منه في إحدي اللقاءات ، ونحن نسير علي شاطئ النيل حينما قالت في بساطة:

- متي ستتقدم للعائلة؟

وقلت كالهارب من الحقيقة :

- بالطبع ليس الآن.

- لما بالطبع كل ما نحتاجه خاتم الخطوبة لست مطالباً بأكثر من ذلك الآن.

وقع الكلام كان كالمطرقة فوق رأسك وقلت :

- أعلم ذلك ولكن أفضل أن أكون لدي ما أقدمه من مستقبل واضح الملامح.

- ومتي سيكون لديك؟

- قريباً .

- أخشى القريب أن يكون بعيداً.

- معنا الإرادة وحبنا.

- الحب وحده لا يكفي.

- الحب يصنع المعجزات.

- الحب لن يبني لنا بيتاً ولن يشتري خاتم الزواج.

- واقعية أنت أكثر من اللازم .

- وأنت حالم أكثر من اللازم.

انقلبت الحقيقة وحشاً ذا مخالب قاسية تنهش الخيال والأحلام الوردية ، وتزامنت هذه الفترة مع تركك للعمل عندما إنهارت نظريتك المثلي مع صاحب الشركة؛ لتمضي الأيام في بحث جديد وجدته بعد خمس أيام في

مقهي للإنترنت، كان صاحب الفضل في الالتحاق به الصديق عبود ، مكان صاخب تحول بالأيام إلي روتيننا وبأيام أخرى إلي ملل ، كنت تتألم من داخلك بالعبث في ثقتها بك . إن الممكن الذي تريده هو مستحيل في زمانك ، فما بال لو حُلِّمت بالمستحيل فهو الجنون ذاته ! تعكر صفو الأيام ، وبانت عيونك يا عادة فاترة ولهفتك فاترة ولمسة يدك فاترة وكأنك فقدت الحب والإرادة ، وأصبح اللقاء مجرد لقاء والحديث مجرد كلام ، أيا أيها الحب اللعين ألا تُكرم قلوبا ذاقت مرارة الأيام ومرارتك ! كانت واقعية وعاجزة عن مجارتك في الخيال وكنت خياليًا وعاجزًا عن مجارتها للواقع فكان الصدام ، وها هي الشمس تنطفئ معلنة عن رحيلها ، فبهيات أن تُغير القُبْح المتزامن مع الفقر الشنيع ، تسلل في قلبك الشك في قدرة الحب والإرادة علي صناعة المعجزة حتي أصبح يقينا ، الهزيمة في أحط صورها .

تعاضم الانهيار حين جاءت اللحظة الحاسمة لتعلن لك أن لا بد من الفراق ،كنت تترقب هذه اللحظة، بلا ريب من جراء الفتور الذي صاحبها في اللقاءات الأخيرة ، كان إحساسك دليلك وهو أصدق الحاكمين ، وزلزلك هزة عنيفة برغم علمك المسبق بتلك اللحظة، وأنت تتابع طلاقات كلماتها الأخيرة :

- تقدم عريس مناسب والعائلة وافقت.

- وأنت ؟

- لم أجد مبرر لرفضه أمامهم.

- وما بيننا أليس بمبرر؟

- ماذا بيننا ؟

- الحب .
- لم تفعل شئ لأجله .
- وماذا فعلت لأجله ؟
- إنتظرتك وخيبت ظني .
- أنتذكري أننا إتفقنا علي الحب والإرادة ؟
- إلي متي ولم تتقدم خطوة ؟
- بين طرفة عين وإنتبهاتها يُغير الله من حال إلي حال .
- إسمعني يا نور ، مبادئك كانت تصلح في زمن آخر ،
زمن الفرسان والنبلاء ولكننا في زمن حامل الإبتدائية
يمتلك مرسيدس وفيلاً في الرحاب وحامل الدكتوراه يستقل
المترو ، نحن في زمن أصبح فيه المبدأ والضمير عبء
ثقيل والفضيلة محنة ، بينما الفهلوة والمصلحة قانونا حياة
، لست علي استعداد أن أبقي أجمل سنوات العمر مجرد
عاملة في مطعم ، حتي لو تظاهرت بالرضا والمصالحة
مع النفس ، في حياتنا أشياء نحبها وأشياء أخرى نريدها
، وأغلب الأشياء التي نحبها تتعارض مع الأشياء التي
نريدها ، لعلك فهمت .

كان فارق الزمن بين نشوة اللقاء الأول وتعاسة اللقاء
الأخير عامًا وشهرين ، أصبحت بعدها الأرض رمال
متحركة تغوص فيها إلي حيث لا مستقر ، ومرت أيام
بعدها لم تكن تستطيع أن تتصور المفاجأة وأيام أكثر لم
تكن تستطيع أن تصدق ، كانت غزوة قاسية في عقر القلب
وأفنعت نفسك بأن الضربة التي لا تُكسر تقوي .
وكان لإنفراد الزمن بك وفرض سلطانه بأن أخذك علي
بُعد ثمان سنوات ، لم تذق فيها حبًا كحبها ، برغم التجارب

— • — • — • — • — • — •

اليوم الخامس :

الثانية عشر ظهرًا

"تعددت اللقاءات بحكم العمل المشترك"

((الشركة الوطنية المصرية للحفر والإنشاءات تطلب سائق درجة أولى تريلا ، لشركة جديدة سكرتيرة تجيد الكمبيوتر ،مطلوب موظفين مبيعات بمرتب مغري يشترط سيارة ، جريدة الحياة تطلب محررين بخبرة أو بدون))

جريدة الحياة ، منذ سبع سنوات وربما أكثر وجريدة الحياة تطلب محررين بخبرة أو بدون ، ومنذ أكثر من خمس سنوات كنت هناك بعدما قرأت مثل هذا الإعلان ، وذهبت وكلك مفعم بلألئ السعادة وأوهام الإعلان المزيف والجريدة المزيفة، والتي مكثت فيها ثلاث شهور وأسبوع لم يصدر فيها عددًا واحدًا علي الرغم من أنها جريدة أسبوعية كما يدعي مدير التحرير، جلست ليلة قرأتك للإعلان تجمع ما كتبت في السابق من خواطر سياسية، ومقالات اجتماعية وكتبت مقال عليهم تحدثت فيه عن إشكالية نظام التعليم في مصر، والذي لا يتناسب مع عصر العلم .وفي الصباح كنت أول المتقدمين في مقر الجريدة القديم في جزيرة بدران قبل أن يُنقل إلي شارع عبد الخالق ثروت بعد ثلاث سنوات ،وكان لزامًا أن تدفع

مع الـ **Application** ورقة نقدية فئة العشرون جنيها ، وكان ذلك أهم ما في الموضوع ، ولكن كان هناك أيضًا شئ مهم : (سلمي بدير) ، واحدة من المتقدمين والذي كان عددهم إحدى عشر بعد لقاء اليوم الأول من الأيام الثلاث للتدريب ، وهذا الشعور الجماعي الذي إنتابنا تجاه مدير التحرير بأنه شبه مجنون أو يعاني مرض جنون العظمة ، عزف أغلب المتقدمين عن المجئ في اليوم التالي ماعدا أربع، كنت أنا وسلمي منهم ورجل تجاوز الأربعين يهودي فعل الكتابة وامرأة أخرى عملت في أكثر من جريدة صغيرة في محافظة القليوبية ، تشبثنا أنا وسلمي بالفرصة الزائفة بحماس الشباب وصدقنا الوهم ، حين طلب منا مدير التحرير موضوع نجره مع شباب الجامعات حول تعميم الإمتحانات بطريقة الـ **open book**، مع إعطائنا تفويض بخاتم الجريدة وتوقيعه لدخول الجامعة وأتمننا الموضوع بحوارات مع الطلبة وأساتذة الجامعة ، وقضينا تقريبًا أربع ساعات سويًا من التاسعة صباحًا حتي الواحدة ظهرًا ، دعوتها علي الغذاء بشراء بعض ساندويشات الفول إلتهمناها في نهم ونحن نجلس بالقرب من حديقة الجيزة ، تحدثنا عن أشياء كثيرة عن جنون مدير التحرير ، عن طموحاتها في أن تعمل صحفية في جريدة أخبار اليوم حلمها العظيم ، عن عائلتها وبيتها القديم في حي شبرا ، عن شهادة الحقوق التي حصلت عليها والتي كانت تتمني أن تستبدل بإعلام أو حتي آداب قسم إعلام لولا أن خانها المجموع ، وحادثتها عن طموحك في أن تنتمي لبلد تحترم الجامعيين وتمنحهم فرص حقيقية ، ولو في بلاد الثلج أو بلاد تركب الأفيال ، بلد تعترف بالمواطن كقيمة

غالية، لا كشئ رخيص وتتعامل معه بآدمية .تناقشنا في أمور كثيرة في الفن والسياسة وغيرها ، وضحكنا كثيرًا في هذا اليوم ، وكانت فتاة مرحة خفيفة الدم ، ربما لا تتمتع بالجمال ورقة الملامح ولكنها مقبولة الشكل وتحمل في طياتها أنوثة لذيذة ، وكانت قصيرة القامة بشكل لافت لكنه قصر يكسبها كثير من المرح وخفة الدم ، ولها طريقة خاصة في الكلام ، تتكلم بطريقة سريعة كطلاقات رصاص ، وفجأة تسكت كأنها تضغط علي فرامل سيارة لتسألك عن رأيك فيما قالت ، تعددت اللقاءات بحكم العمل المشترك ، وكان لقاؤها من الأشياء المبهجة في هذه الفترة ، كانت إذا إنطلقت في الحديث لا تسكت إلا بإنتراع الضحك منك ، مبهجة كانت، وفيها من الحيوية والحماس ما يُحمس من تحادثه حتي لو كان غارقًا في الخمول ، حتي أنها تردد كثيرًا جملة سعاد حسني في فيلم "خلي بالك من زوزو" ، وهي تقول " :يا أستاذ أي كلام يتقال بحماس لازم يتسمع بحماس . "

كنت تشعر أنها تؤأمك أو صديقك، شعور أنها رجل مثلك أكثر منه شعور أنها فتاة ربما لهيئتها وطريقة كلامها وملابسها ، وشعرها القصير الذي ينم عن صبيانیه ، لكن أبدًا لم يحدث أن شعرت معها بإحساس الرجل بالمرأة ، مع ذلك كنت تحب أن تراها ولا تشعر باليوم أنه بدأ إلا عندما تجدها أمامك تلقي عليك كلماتها السريعة كطلاقات رصاص ، وتسمع رنة ضحكتها الحلوة . وطوال الثلاث شهور في الجريدة إقتربت منها واعتادت رؤيتها واعتادتُ الحديث والضحك معها ، أعترف أنني لم أعرف الضحك ، ولا البهجة طوال هذه الفترة إلا معها وبها ، وعندما

جاء اليوم الذي إكتشفنا خديعة الجريدة، التي جمعتنا وأن لا هناك عدد واحدًا صدر وأن المواضيع التي ننجزها تتراكم فوق مكتب مدير التحرير ، وأننا لم نقبض مرتب فعلي طوال الثلاث شهور ، قررنا سويًا ترك هذه الجريدة الوهمية بعد توبيخ مدير التحرير وأخذ مرتبنا منه ولو بالتهديد ، تشاجرنا معه وعلت صوتها وهددته بإبلاغ النقابة، بل بتقديم بلاغ للنائب العام بإتهام الجريدة بالنصب وعدم إعطاء رواتب للعاملين فيها ، ولم تترك الجريدة إلا بعد أن أخذنا مرتب ثلاث شهور عمل ، صحيح كان مرتب متواضع جدًا ، ولكن رنة ضحكتها الحلوة تعالت، وهي تقول :

- كان يحسبنا مغفلين وشباب ناعم .

وقلت في إعجاب :

- اليوم اكتشفت فيك شئ جديد.

- ألا وهو ؟

- يكمن بداخلك فتوة كفتوات الحسينية.

- فعلاً ، أنا في الحق فتوة وبمائة رجل أيضاً.

- بدأت أخشاك.

- ليس لهذه الدرجة ، ثم إنك نسيت أنني خريجة حقوق.

- آوه ، كيف غابت عن ذهني هذه المعلومة !

- تذكرها دائماً .

- وماذا ستفعل بعد أن أصبحت الآن عاطلة؟

- لن أغلب ، بالفعل بدأت أبحث عن عمل جديد لنا منذ الأمس.

- ووجدت ؟

- مجلة جديدة اسمها "ابتسامة" قريبة من ميدان لبنان
تطلب محررين ومراسلين.
- الساعة تقترب من الخامسة الآن، لا أعتقد أن بإمكانك
الذهاب اليوم.
- غداً الساعة العاشرة سأنتظرك في موقف الميدان لنذهب
سويًا.
- هكذا قررت من تلقاء نفسك أني وافقت؟
- وهل تجرؤ علي الرفض !
- هاهاهاها من ذا الذي يقدر علي رفض أوامر الفتوة.

وفي صباح اليوم التالي الساعة العاشرة كانت تنتظرك في
المكان المحدد بمظهرها الصبياني، وفي يدها عبوة من
البسكويت تلتهم منها ، شاطرتك نصفها وهي تقول في
مرح:
- صحت متأخرة وهذه النتيجة أفطر في الشارع،
كالحرفيين وعمال النظافة ، أيعجبك هذا يا سي نور؟
وقلت ساخراً:
- لا يليق بك هذا الفعل الشنيع ، وعلي مقربة منك المطاعم
الفاخرة يا سموك.

- وحياتك جيبي ليس فيه غير أجر المواصلات للعودة .
وتقدمنا لمجلة "ابتسامة" وكان مقرها أكثر فخامة من
جريدة الحياة وديكورات مبهرة جعلتنا نهاب المكان ،
طلبت منّا إحدي الموظفات بملئ الـ **Application**
والإنتظار لاجتماع الذي ستعقده معنا سكرتيرة التحرير،
وبعد نصف ساعة انعقد الاجتماع ووجدنا شابة لا تتجاوز
الخامسة والعشرين ، هي سكرتيرة التحرير تحدثت معنا

بمرح عن سياسة المجلة بإنها مجلة للضحك، ليس لها علاقة بالسياسة ولا الفن ولا التحقيقات والحوارات ، فقط كل ما يتعلق بالضحك في خبر في قصة كوميدية في حادث طريف في نكتة ، واستطردت نحن نهتم جداً بالنكت وبالأذات النكت الجديدة والقفشات الكوميدية في إصدارات المجلة، ولهذا من سيكون معنا لابد أن يتمتع بحس كوميدي عالي وساخر لأبعد حد ، حتي بالنسبة للمراسلين هم من يأتون لنا بالأخبار الطريفة والمسلية والمضحكة من كافة المحافظات والجامعات والنوادي وإلخ وإلخ

...
لا أعرف لماذا شعرت بخيبة الأمل وتفاهة المجلة ، عندما قرأت عديدين سابقين لها ونحن جالسين ننتظر الاجتماع ،كلها نكت سخيفة وأخبار أسخف لا تمت بصلة للصحافة ، إنهم يريدون مهرجان أو بهلوان يقفز فوق السطور بدل من الحبال ، وخرجنا من الاجتماع وأنا ساخط علي هذا الهراء وعلي ضياع الوقت ، وكنت أعتقد أن سلمي تشاركني الرأي ولكن فوجئت بحبها للفكرة وقالت:
- يا عم نور المثل يقول (أرقص للقرود في دولته).
وقلت في نفور:

- هذا انحدار في مستوي الصحافة بدلاً من أن نناقش قضايا هامة، أو نكتشف أقلام جديدة في الأدب شعراً وقصة نكتب نكت وأخبار طريفة ومسلية ، إنهم يريدون منولوجست لا صحفي .

- إذا كانوا يريدون نكت نؤلف لهم النكت ، كل شئ حولنا في المحروسة هو نكتة في حد ذاتها ، أليس خريج هندسة مثلك لا يجد عمل في تخصصه نكتة ، والمطرب فلان

الفلاني الذي يبصم علي عقود حفلاته بدل التوقيع؛ لأنه جاهل ويتقاضى الملايين نكتة ، أليس إنجازات الحكومة الموجودة فقط في خيالهم المشر نكتة ، أليس فتاة جامعية وحلوة ودمها خفيف مثلي لم تجد لها عريس حتي الآن نكتة ، يا عزيزي نحن أصلا في نكتة كبيرة .

رفضت الفكرة جملةً وتفصيلاً واصفاً إياها بالتهريج السخيف والإستخفاف بمهنة نبيلة، كالصحافة وتحويلها إلي مجرد مصدر للضحك والظرافة ، وتمسكت سلمي بالوظيفة مؤكدة أنه طالما لا شئ حقيقي في هذه البلد، وأن التهريج هي من سماته فسأهرج ولكنه تهريج بمقابل ، بمرتب يا أستاذ .

تباعدت بيننا الأيام ولكنها لم تنقطع ، كان بيننا إتصالات هاتفية ، وأحياناً كثيرة كنت ألقاها صدفة في وسط المدينة ، فأدعوها إلي المقهي نجلس نتحدث حديثها المرح الحلو، ونحتسي أكواب القهوة والشاي ، وقد عرفتها علي عبود حتي إنها توسطت مرة لنشر قصيدة ساخرة له في المجلة ، مرت أيام أكثر تحولت بالزمن إلي سنوات ، تنقلت هي من المجلة إلي جريدة ثم إلي جريدة أخرى إعلانية ، كانت فيها أقرب لمندوبة إعلانات منها إلي صحفية ، وانشغلت أنت في البحث عن النظرية والمبدأ في مجتمع لا يعترف بنظريات أو مبادئ ، وغابت هي حتي عن الصُدف التي كنت تقاها فيها بوسط المدينة ، ذابت في الأيام ، ومنذ عام تقريباً وجدت اسمها في جريدة "المصري اليوم "تحت تحقيق عن أطفال الشوارع، فردت له الجريدة صفحة كاملة ، دوامت بعدها علي قراءة

اليوم السادس :

الواحدة ظهراً .

"رغم أن المقابلة لم تستغرق إلا خمس دقائق "

(مطلوب لمنتجع سياحي موظفين استقبال يشترط إجادة اللغة الإنجليزية والحاسب الآلي ، للإستعلام .)
إعلان جديد قرأته صباح اليوم وعقدت العزم علي خوض تجربة جديدة ملتصقاً الوسيلة والرجاء .
فور دخولك المكتب منحك الموظف ورقة لكتابة بيانتك عليها طالباً منك صورة شخصية بالصدفة كانت في الحافظة آخر واحدة باقية من مجموعة، استُخدمت في مقابلات سابقة ، ملئت الورقة بالبيانات وألصقت فوقها الصورة ، وبعد ساعة من الانتظار جاء دورك ودخلت إحدى الغرف، حيث مكتب من طراز قديم يجلس عليه مدير المنتجع ، وهو رجل سمين يخنقي وراء كرش ضخم ونظارة طبية ، سمح لك بالجلوس بإشارة من يده بطريقة فيها عدم اكتراث وعجرفة مبالغ فيها ، وبيده الأخرى يتفحص ورقة كانت ورقتك التي كتبتها للموظف.
سألك بصوت أجش أمر يغلفه الغرور:
- علاقتك بالحاسب الآلي جيدة ؟
- ربما أكثر من جيدة .
- وما أخبار اللغة الإنجليزية؟

- علي ما يرام .
- إذن سنكمل المقابلة بالإنجليزية .
- وهو كذلك .

- what is your expertise ?

- I worked for a while in a plastic factory ,
as a secretary in a dancing institute , as a
personal body guard to a company director
and as a barman and so on
do you know what are the qualities of a
receptionist in a touristic resort ?

- I think he receives the guests and writes
their data

- How do you see yourself in five years?

- Actually I don't plan for the future but in
any case , I'm ambitious and optimistic .

- حسنًا تفضل .

خرجت وأنت تحمل نفور عظيم وانطباع سيء من هذا
الرجل الذي يختفي وراء كرشه الضخم ونظارته الطبية ،
رغم أن المقابلة لم تستغرق إلا خمس دقائق إلا أنه استطاع
بجدارة أن ينفرك منه ، ومن الوظيفة إذا كان الثمن رؤيته
الدائمة .

انتظرت وقتًا وصل إلي ساعتين لإعلان نتائج المتقدمين
وكانوا قد تجاوزوا المئة .

خرج الموظف أخيرًا وفي يده ورقه وبدأ يقرأ المقبولين ،
وكانوا إثني وعشرين مقبول ، لم تكن معهم ، ولعلك

حمدت الله علي ذلك ، فلم يكن أن تتصور بإمكانك تحمل رؤية هذا المتعجرف يومياً حتي ولو لم تتعامل معه مباشرة .

خرجت من المقابلة متجهاً إلي المقهي ، إلي عبود ، لعل الحديث معه يعود بك إلي نفسك القديمة كما اعتدت منذ سنوات ، عندما تنغلق النوافذ الكونية ويُحجب نور الشمس عن العيون، فلا تري إلا ظلاماً فيهديك هو بنور رضاه وتدينه.

- مرحباً يا عبود .
- مرحباً بالأستاذ نور طالت غيباتك ، قاربت أسبوعاً لم تمر علينا.
- مضي وقتاً افتقدتك فيه بشدة.
- تأخذنا الدنيا من أحبابنا لكننا لا ننساهم .
- وها أنا أجدد العهد يا عبود هاربا من الأيام إليك.
- ولي الشرف يا أستاذ ، ولكن ماذا في الأيام؟
- تلك الأيام المؤلمة تسير في سرعة سلحفاة مريض، فلا هو يصل ولا هو يتوقف عن السير .
- السير محلك سر إذن!
- صدقت القول، ماهي شكل الحياة عندما يتحرك كل ما فيها أمامك، صعوداً وهبوطاً إندفاعاً وتراجعاً جنوباً وعبثاً ، وأنت تشاهد كل هذا العبث وأنت واقف مكانك مندهشاً مذهولاً ولكن محلك سر .
- بدأت تجد نفسك يا أستاذ نور.
- كيف ؟

- الدهشة في حد ذاتها بداية للمعرفة ، هكذا قال أرسطو ،
أى أن الذى لا يندهش لا يسأل ، فإذا سأل عرف ، وحتى
الفيلسوف سقراط ذات مرة لاحظ أن أحد تلامذته لا يسأل
ولا يتكلم :فقال له :تكلم حتى أراك ، أى حتى يعرفه .
- أي معرفة يا عبود في بلد الجهل .
- المعرفة كالعدوي تُصيب من يقترب منها ، وأهم
مشكلاتنا أننا أصبحنا نخاف الاقتراب ، نخاف التجارب ،
نخاف الغد وأصبحنا نجح إلي الماضي ، دائماً إلي
الماضي ، سيرة السبع آلاف سنة التي نصرها لنفسنا ،
الماضي الذى كان، بناء الأهرام ، بناء الحضارة ،وأغفلنا
أن الحضارة تتطور ككل الأشياء ، لم تعد نقش علي
الحجارة .أصبح الجرافيك والرسم بالكمبيوتر ، لم تعد
الرسم علي المعابد ، أصبح أحدث الكاميرات الرقمية ،
أصبح اللاب توب والأجهزة اللوحية ، أصبح القلم
الإلكتروني بديل عن الريشة ، ونحن لا زلنا نقول كنا وكنا
وفي الواقع وبمقاييس العالم نحن في الذيل، وربما لم نصل
حتى للذيل ، إننا نستورد فوانيس رمضان من الصين ، إننا
نسبح في العبث ذاته يا أستاذ.
- لقد جئتُك يا عبد المعين .
- نحتاج يا أستاذ نور شعار ألكسندر دومًا في روايته
الفرسان الثلاثة " :الكل للواحد والواحد للكل "، ربما وقتها
نطور الحضارة التي عفى عليها الزمن ، ولم يتبقى منها
إلا كلمات في كتب التاريخ التي لا يقرأها أحد .
- وأنا أحتاج للقهوة بعد هذه المناقشة الجدلية المعتادة .
- ثوانٍ وتكون أمامك أحلي قهوة ،ولو تحب أسمعك معها
قصيدة كتبتها مؤخرًا نُذيب بها هذا النقاش .

- أرجو أن لا تكون قصيدة فلسفية أو سياسية .
- إطمئن ، أبعد ما يكون.
- إذن ألحقتي بها ربما تُخرجنا من هذه الأجواء .

- (١)

وهكذا الأيام حبيبتي

تبدلت

تغيرت

توحشت

لم يعد يضحكنا شيء

لم يعد يبكينا شيء

فقدنا القدرة على الضحك

على البكاء

على التحدي

على البقاء

أصبحنا متجمدين كعمود ثلج

هكذا أصبحنا خواء

مشاعرنا خواء

قلوبنا خواء

أصبحت الأحلام تخشى أن تزورنا

أصبحت الآمال تهرب من عقولنا

أصبحنا بعضنا من بقايا تستحق رثاء

(٢)

أتذكرين حبيبتي يوماً ذات مساء

حين تعاهدنا على الوفاء

وبناء دنيانا الجميلة
بكل ما أوتينا من حيلة
أتذكرين حبيبتي حين تعاهدنا
أن نصبر ونحتمل كل عناء
وأن نبتسم لو تعثرنا قليلا
لو وقعنا فى بلاء
وأن نقاوم فى جلد
مادامت فى عروقنا دماء
أتذكرين حبيبتي كيف ضحكنا يومها
وضحكت معنا السماء
وكانت زخات المطر
شهادة منها على عهدنا الجميل
أين عهدنا الجميل ؟
أين دنيانا الجميلة ؟
أين الوفاء ؟
أين السماء ؟
أين عروقنا ؟
وأين الدماء ؟
أشعر أنى أتجمع الآن للبكاء.

(٣)

هكذا الأيام حبيبتي
تبدلت
تغيرت
توحشت
الحقيقة أنها توقفت

وأنتِ بعيدة عني
أفعلا أخذكِ رجل آخر مني ؟
لا أصدق عقلي
أنا مُنْهَك
أنا مُتْعَب
تكاد تلعب برأسي الظنون
بالله عليكِ قللي
أيستبيح شفاه يومًا ؟
كانت ملكي .
لا أصدق عقلي
بالله عليكِ قللي
ولا تأخذيني بصمتك هكذا ،
إلى حافة الجنون
فقد عودتيني أن أعرف كل شيء عنكِ ،
عن أحداثك وتفصيل حياتك ،
منذ كنا صغار نلهو في روضة الأطفال .

(٤)

أتذكرين حبيبتي روضة الأطفال ؟
أتذكرين أول قبلة بيننا ؟
كانت في روضة الأطفال .
وشرارة الحب بيننا
والأمنيات والآمال
انطلقت في روضة الأطفال .
أتذكرين أيامها ؟
كيف كان خيالنا مجنون لا يعرف محال ؟
تحدثي ولا تخجلي مني ،

أم تخجلي الآن أن تُخبريني
عن أحداثك وتفاصيل حياتك
وأنتِ مع رجل آخر أخذكِ مني
وضعتكِ في قفصه الذهبي ،
فأصبحتِ كعصافير الزينة
ولكن ماذا بكِ ..؟
تبددين حزيئة .
إني أعرفكِ عندما تكونين حزيئة
أعرف الحزن من صوتكِ
من عينكِ
من سلام اليدين ..
أتدريين ؟
أنا أيضاً حزين
فقد وضعتني امرأةً غيركِ ..
في قفصها الذهبي،
أصبحت مثلكِ حبيبتِي
عصفور زينة
وأنتِ تعرفين ..
أنى لا أطيق أن أكون عصفور زينة .

(٥)

حبيبتِي

إن فراقنا ليس معناه
أن ذكرياتنا إفتقرت
أو مشاعرنا إفتقرت
أو لغتنا إفتقرت
إن ذكرياتنا ومشاعرنا ولغتنا واحدة

مهما أصابها من قهر
أنتِ لست مجرد قصة حب
أو امرأة يهواها القلب
أنتِ عمرًا نحتاجه دائمًا فوق العمر
وأنتِ حزينة
وأنا حزين
وربما ضاعت من بين أيدينا السنين
ولكن لا عليك .
إليكِ هذا الخبر ،
فقد أطلقت السماء صفارة إنذار
إنها اليوم ستفتح أبواب الجنة
وأبواب النار
وستغلق أبواب الدنيا
وسينتهي حزن الدنيا
عذاب الدنيا
جحيم الدنيا

(٦)

حبيبتي

ليس الجحيم في معتقل النار
ولا في الدنيا ذاتها
ربما في تضارب أحلامنا مع الأقدار
ولكن الجحيم الحقيقي كما وصفه سارتر
هو الآخرون
والآخرون بالنسبة لى أنتِ .
حبيبتي لا تندهشى ،
أنتِ الجحيم ،

والجنة
والنار
ويوم القيامة .
فأنا لم أسمع أبداً عن قصة حب
استطاعت أن توقف مسيرة الحياة
وتحول العاشقين جناة
وتعلن عن يوم القيامة
كما فعلتِ معي
فدعيني وارحلي
لا تجعليني أذكرك أكثر من ذلك ،
وأحبك أكثر من ذلك ،
هذا الحب الذي تعلوه الغمامة .
فبرغم أن
ذكرياتنا ومشاعرنا ولغتنا واحدة
مع ذلك لا أريدك .
فلست مستعداً الآن ليوم القيامة .

- (أين عهدنا الجميل ، أين دنيانا الجميلة ؟) . الله يا عبود
، تري أين ذهبت تلك الدنيا ؟
- ذهبت مع الأحبة والناس الطيبون يا أستاذ نور ، يُعرف
أن هذا زمن طيب أو رديء من كم الأحباب الذين
عرفناهم .
- معك حق يا عبود ، حينما يأخذون الأحبة معهم تفاصيل
الوقت وأسماء الشوارع ويرحلون ، حينما تصبح كل
الأشياء غير مهمة ، وكل الأحلام غير مهمة ، وتوارى

الذكريات في قلوبنا غير مهمة ، حينما تكون السعادة هي أن تكون أقل تعاسة من الأمس ، حينما يصبح الممكن جنون والأمال هراء ، حينها فقط تصبح الحياة والموت على حد سواء .

- أعجبتك القصيدة يا أستاذ نور؟

- وأثارت شجون كنت قد اعتقدت أنني نسيتهـا .

- كلنا شجون وذكريات يا أستاذ ، لست وحدك .

- كيف تستطيع أن تبتسم يا عبود من خلف شجونك؟

- بالنسيان .

- النسيان نعمة ، تباً لمن يحمل ذاكرة قوية .

- حتمًا سيشقي بها يا أستاذ.

- وحتماً الآن علي الذهاب يا عبود، النعاس بدأ يدا عيني.

- أرجو أن لا تطيل الغيبات.

- أرجو أن أجد النظرية والمبدأ .

- إنك تسبح ضد التيار .

- الاختلاف هو صنعة العظماء -هاهاها -سلام .

اليوم السابع :

الثانية والنصف ظهرا ..

"فى جمالها ثورة ، وفى ثورتها عنف ، وفى عنفها تحدي"

((مطلوب فنى اتصالات للعمل خبرة فى تركيب السنترالات والكاميرات، لمصنع بالعاشر من رمضان فنيين لحام CO₂، حدادين تجميع .مطلوب تيلي سيلز لمخزن أدوية خبرة لا تقل عن سنتين .ادرس بأمريكا : احصل علي تأشيرة الدراسة والإقامة الشرعية والدرجة العلمية علي حسابك الخاص المعهد الأمريكي AI للدراسات الدولية .مطلوب مطربين ووجوه جديدة لشركة إنتاج فني)).....

مطلوب وجوه جديدة !
تتذكر منذ ثلاث سنوات عندما لعب برأسك الطموح إعلان كهذا "مطلوب وجوه جديدة " ،
(إيزيس للإنتاج الفنى تطلب وجوه جديدة لفيلم سينمائى وأعمال فنية أخرى من الشباب والفتيات ، وموديلز إعلانات حتي ٣٠ سنة ت) /.....
وإذا بالحلم القديم يقفز من سباته ، وتعود بك ذكريات الجامعة ومسرح الجامعة وفريق التمثيل ، "كنت واعداً " ، هكذا قال لك مخرجاً مسرحياً نصف مشهور جاءوا به

ليحضر أحد العروض المسرحية التى شاركت فيها ، وقد شاركت فى أعمال لا بأس بها (السلطان الحائر - بنك القلق -زيارة السيدة العجوز -هاملت . "وقع اختيارك ليلتها على "هاملت "أن تستعيد ذكرياتها أمام المرأة ؛ لتكون مادة جيدة للتدريب وإظهار قدراتك التمثيلية أمام أصحاب هذا الإعلان ، وبقيت طوال الليل تحفظ المشهد وتردد ، وتسترجع أدائك أيام الجامعة ، وتُطور، وتُحسن وتُجود عليه بإنفعالات أخرى ترتفع بالمشهد بديلاً عن الأداء القديم ، ووقفت أمام المرأة فى بروفة أخيرة تردد على لسان هاملت المشهد بعد إضافة المُحسنات الجديدة .

- "إن الشعور بالكرامة يجعل من العمر الطويل عذاباً أليماً ، فمن ذا الذى يحتمل ضربات الزمن وإهاناته وظلم المستبد ، ووقاحة المتكبر ، وآلام حب يُقابل بالازدراء ، وبطء العدالة وخطورة الحكام ، والإهانات التى لا بد لذوي الجدارة أن يتقبلوها صابرين ممن لا قيمة لهم ، فمن الذى يحتمل هذا كله ، وفي وسعه إن شاء ، أن يقضي عليه بطعنة خنجر . "

ونفضت عن نفسك غبار الجمود ، وقصدت فى الصباح وجهتك إلى شارع مراد بالجيزة، حيث العنوان المنشود ، كانت بناية جديدة تنتسم واجهاتها بالفخامة ، واستدليت الحارس عن رقم الشقة فأجابك ، ولم تمر ثوان إلا وأنت داخل شقة واسعة معلق على حوائطها صور كبار فناني السينما والمسرح ، وعلى بعد ممر طويل استقبلتك فتاة بابتسامة بشوشة أذابت

الكثير من رهبة المكان ، وطلبت منك بيانات كالتى يطلبوها من طالب وظيفة فى شركة قطاع خاص ، وسجلت البيانات ومنحتك ورقه بيها رقم ثم أشارت لك بالجلوس حتى يأتى دورك ، وحشود من المتقدمين لا تنقطع حتى إمتلأت المقاعد ، وضجت بهم وسط درجة حرارة عالية تزيد التوتر أكثر من الإرهاق . وبعد زمن طويل من الإنتظار ، تعالت صوت الفتاة برقمك ، وامتلاكك خوف من أن تضيع وسط هذا الزخم من الحشود الواقعة ويترك هذا اليوم ذكرى فاشلة تتبع ما سبقوها ، ولكنك تشبثت بالأمل وبذكريات وقوفك على المسرح الجامعى وبثناء مخرج مسرحي وصفك يوماً بالواعد ، وخطوت فى خطى الواثق من المجهول ، ووجدت نفسك واقفاً فى منتصف حجرة فارغة من الأثاث إلا من مائدة مستديرة ، يجلس حولها ثلاث رجال وبجوارهما يقف رجلا أمام آلة تصوير متأهباً الأذن من الجالسين ؛ لإلتقاط صور متحركة لكل متقدم ، قال أحد الجالسين لك وهو يرفع نظارته متفحصاً هئيتك:

- سبق لك التمثيل؟

- كنت فى فريق التمثيل ولعبت أدوار رئيسة فى مسرحيات قمنا بها فى الجامعة.

وقال آخر فى لهجة متعالية:

- ألم تعمل خارج نطاق الجامعة فى أى عمل احترافى؟

- الحقيقة لا.

وقال ثالثهم:

- ماذا مثلت فى الجامعة ؟

- زيارة السيدة العجوز ، هاملت ، السلطان الحائر ، بنك القلق وغيرهم.
- ولحق الأول قائلًا:
- أحضرت مقطعًا تؤديه؟
- مقطع من هاملت.
- تفضل .
- " ((إن الشعور بالكرامة يجعل من العمر الطويل عذابًا أليمًا ، فمن ذا الذى ...)) " ، وقاطعك الرجل صاحب اللهجة المتعالية وأنت تلقى المشهد .
- لسنا فى المسرح القومي يا حضرت ولا فى اختبارات معهد الفنون المسرحية ، أت حفظ مقطعًا كوميدياً أو بالعامية.
- الواقع لم أجهز غير هاملت.
- ثم تدخل ثالثهم :
- قول مقطعاً بالعامية ، لسنا فى حاجة لهاملت هنا ، أى مقطع يخطر فى بالك ولو من فيلم تحبه .
- احفظ مشهد من فيلم اللص والكلاب.
- وهو كذلك ، ثم أشار للمصور أن يبدأ تصوير.
- وانتهيت من تمثيل المشهد وتفحصت الوجوه لعلك تجد على سيمائها إمارات القبول .
- فقال صاحب اللهجة المتعالية:
- شكلك حلو ولكنك تبالغ فى الأداء.
- وقال الأول:
- عندنا دور لشاب فهلوي يوقع النساء فى شباكه ، أعتقد يليق لك إذا تم قبورك.
- وقال ثالثهم فى حسم:

- حسنا ، تفضل وسنبُلعك النتيجة فيما بعد.
وخرجت من الحجرة متشبهاً بأزيال الأمل ، فاستقبلتك الفتاة بابتسامة مرهقة من طول ما ابتسمت للمتقدمين ، وهى تقول جملة معتادة لكل من سبقك:
- انتظر اتصالاً هاتفياً فى خلال أيام لإبلاغك بنتيجة المقابلة ، حظ سعيد يا أفندم .

ومر أسبوع كان مزيجاً بين الأمل والقلق ، تُحلل فيه المقابلة وأدائك وإجابتك على تساؤلات اللجنة ، ثم تحلم بقبول اللجنة لك فتسرسل فى الحلم إلى أبعد من ذلك ، إلى أوار وبطولات سينمائية ومسرحية ، وتارة برفض اللجنة فتصاب بالغم ويهالك حالة وهمية من الإكتئاب ، ثم تتسائل ، هل فى الإمكان خير مما كان ؟ حتى جاءك الهاتف المنتظر بأن تحضر لمقر الشركة صباح الغد لأنه تم قبولك . عانقت الفرحة الخيال فأخذتك إلى عالم الشهرة والأضواء والتوقيع على أتوجرافات المعجبات وأنت ترتدى هذه النظارة السوداء التى يرتديها المشاهير هرباً من نظرات الجمهور وفلاشات الكاميرات التى تلاحقهم ، وانتظرت الصباح على أحر من الجمر .

وفى الصباح كنت هناك فى نفس الحجرة الفارغة من الأثاث إلا مائدة مستديرة ومع نفس اللجنة وأمامك عقداً بدور فى مسلسل سيت كوم ومعك خمسة آخرون أمامهم صورة من نفس العقد، تبادلنا النقاش فيه مع اللجنة فى بنوده ، حتى اقتحمت علينا الحجرة "تهانى" بلا استئذان أو تحية للجالسين ، وقدموها لنا بأنها بطلة المسلسل الرئيسية ، وكانت جميلة ، وفى جمالها ثورة ، وفى ثورتها عنف ،

وفى عنفها تحدي ، وفى هذا التحدي قد تلمح أطياف من الذكاء تطل من عينيها ، ولكن لا تستطيع أن تتعرف عليه وتكتشف حدوده من الوهلة الأولى ، قد تحتاج إلى مرات كثيرة؛ لتصل إلى هذا الذكاء من وراء هذه الثورة وهذا العنف وهذا التحدى .

وتكررت مرات اللقاء بسبب بروفات المسلسل ، وعرفتھا عن كثب فيما بعد ، عرفت جمالها ، جمال تنبهر به من الوهلة الأولى ، ولكن عندما تقترب منه ، تكتشف أنه جمال رخيص ، جمال ضعيف يختفى وراء مساحيق التجميل فتكسبه شيئاً من القوة ، جمال على استعداد للركوع إذا لُوحى له بما يغريه ، وحدث فى إحدى ليالي البروفات أن تأخرنا حتى الثانية والنصف صباحا ، وكانت من سكان الجيزة ، شارع ترسا ، وكنت أسكن بجوارها فى شارع خاتم المرسلين ، وقد أفصحت عن عنوانها سائلة عن يسكن على مقربة منه؛ ليقوم بتوصيلها كنوع من الحماية على الرغم من أنها من النوع الذى لا يخاف عليه ، وصاح بعض الزملاء ممن يعرفوا عنوان بيتك قائلين :

نور قريب منك فى خاتم المرسلين .
ووقف بنا الباص عند الطالبة وسرنا سوياً إلى شارع ترسا ، حيث تسكن بجوار الجسر والذى منه سأته إلى خاتم المرسلين ، وتحادثنا أثناء سيرنا أحاديث كثيرة وقصيرة، ليس لها معنى حتى قالت :

- جربت الوحدة يا نور؟

فقلت بلا حماس:

- الوحدة فى حد ذاتها تختلف معناها من شخص لآخر .

- وقالت بصوت يملؤه الدلال:
- لا أفهم الفلسفة يا سى نور ، الوحدة أن تكون وحيد بين أربع جدران لا أنيس ولا جليس.
- فقلت شارحًا :
- أقصد أن الوحدة هى وحدة النفس لا وحدة المكان، أى من الممكن أن تجلسي بين أناس ضجيج أصواتهم يملأ أذنك ومع ذلك تشعرين بالوحدة ، وعلى العكس قد تكوني وحدك ، ولكنك تستأنسين بنفسك فلا تشعرى بآثارها.
- تنهدت قائلة :
- الحق أن عالمنا شديد القسوة .
- لم ؟
- لو كانت الحياة سارت كما ينبغي لكنت الآن طبيبة أو مهندسة .
- وما حدث للحياة غير مسارها حتى تصبحي ما عليه ؟
- رحيل الأب وزواج الأم بعدها بفترة قصيرة بحشاش ، وتطاوله المتكرر بالسباب والضرب حتى فاض الكيل.
- وماذا بعد ما فاض الكيل ؟
- عشت فترة مع إحدى خالاتي ولكني لم أتحمل الحياة كخادمة عندها ، وكنت وقتها فى الصف الثانى بمدرسة المنصورة الثانوية الجديدة بنات ، فأثرت الحرية .
- الحرية !
- آثرت الهرب ، جئت إلى القاهرة .
- تمردتي وجئت للمجهول ؟
- إطمئن ، شقيقتي الكبرى تزوجت فى القاهرة قبل تمردي بثلاث سنوات .
- صوتك يتغير ؟

- أمضيت عندها عام ونصف حصلت فيه على الثانوية بمجموع ٥١٪، جئت هاربة من عذابي فى المنصورة ، وجدتني أكتشف نوع آخر من العذاب كان أقسى من أن أتحملة .

- تحمست لقصتك ، أى نوع من العذاب ؟

- كان زوج شقيقتي رجل حقير يدخل غرفتي فى أى وقت ودون استئذان ، ثم بدأ يتطاول بيده ويتحسس مواضع من جسدي ، ويتحدث معي فى أشياء لا يجوز أن يتفوه بها رجل أمام بنت .

- ولما لم تخبري شقيقتك بتجاوزه معك ؟

- فكرت أكثر من مرة وهددته أن أخبرها ، فقال بلا مبالاة أخبريها وسيكون آخر يوم لك ولها فى هذا البيت .

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- كان هذا كله أثر على دراستي ونفسي ، فكنت أقرأ السطور ولا أعياها كان عقلى طوال الوقت شارد فى الخروج من هذا البيت ، ولكنى لم أريد العودة للمنصورة مرة أخرى ، لا أريد تحمل السباب والضرب من زوج الأم أو أصبح كخادمة عند خالتي ، ثم طموحي كان أكبر من الحياة فى المنصورة ، طموح يأخذنى لدنيا أفضل وعالم طالما حلمت به .

- وماذا فعلت ؟

- استسلمت له .

- ونعم الحل !

- أرجوك لا تسخر ، توصلت إليه كثيرًا بالملاطفة أن يكف عن أفعاله الدنيئة دون جدوى، ولم يكن هناك حل غيره حتى أنهى مرحلة الثانوية ، وبعدها أبحث عن عمل

وأستقل وأبعد عن كل هذا السفه ، وبالفعل بمجرد حصولي على الثانوية عملت هاوس كيبنج فى نفس الفندق الذى كان يعمل فيه زوج شقيقتي شيف فى المطبخ بعد وساطته .
- أصبحت ملك نفسك ؟

- نعم . قررت أن أستقل واستأجرت غرفة فى كلوت بك كان أجرها معقول .
- بداية جديدة لكفاح جميل .

- ليس كما تتصور ، جُن جنون زوج شقيقتي بعد ترك منزله وتحدث مع شقيقتي بإسم شرف العائلة وسمعتها ، عن كيف لفتاة مثلي تعيش وحدها وماذا سيقال من الناس ، واستخدم كلمات ضخمة كالفضيحة والعار وعدم التربية ، فجاءت شقيقتي ترجوني أن أعود معها لزوجها فى منزله .

- وهل أخبرتها بسلوك زوجها معك ؟
- قصصت عليها كل ما فعله ولماذا يريدنى الرجوع معها ، ولكنها لم تصدقنى وأتهمتنى أنا بالانحلال والإفتراء على زوجها الطيب ، وصفعتنى وهى تقول من اليوم أنسى أن لكِ أخت وذهبت وانقطعت الصلة بيننا ، ولم تنتهي الحكاية حتى هنا ثار زوجها وكان رد فعله أن لفق أكاذيب عن سمعتي ، وقال كذباً أنه طردني من بيته لسوء أخلاقي وسرقة أموال من بيته أكثر من مرة ، ولم يهدأ حتى طردوني من الفندق .

- ياله من وغد !

- ألم أقل لك أن عالمنا شديد القسوة ؟

- وماذا حدث بعد ذلك ؟

- أيام وأنا أبحث عن عمل دون جدوى ، كانت فترة بحث عقيمة ، كنت أأكل وجبة واحدة فى اليوم حتى لا ينفذ ما تبقى معي من نقود إلى أن ساقنتني الصدفة إلى قهوة بعرة ، وتعرفت على الريحسبر محمود عمران ، وكان يُحضر لمجاميع صامئة فى فيلم جديد بـ ٤٠ جنيه فى اليوم ووجبة

•
- وطبعاً قبلتِ العمل الجديد ؟

- لم تكن عندى رفاهية الرفض .

- لستِ وحدك ، هناك كثيرون فى هذا البلد ليس لديهم رفاهية الرفض .

- فعلاً . وانتهى الفيلم وجاء بعده مسلسل رمضانى وتحولت منه من كومبارس صامت إلى كومبارس متكلم وزادت اليومية إلى ٥٠ جنيه .

- تحسنت الأحوال إذن ؟

- تحسنت بعض الشئ ولكن فى النهاية نحن لا نعمل بمرتب ثابت ، فكانت تأتي علينا أسابيع عجاف لا فيلم ولا مسلسل ، فكانت أعمل وقتها فى غسيل ملابس الممثلين ، التى تتسخ من تصوير مشهد يلزم إعادة تصويره بسبب خطأ ما ، حتى يأتينا أوردرد جديد فيلم أو مسلسل ، وفى هذه الفترة عرفت إسماعيل التابعى .

- ومن إسماعيل التابعى ؟

- كومبارس متكلم فى أفلام مشهورة ، وكان يعمل فى المهنة منذ ٢٥ سنة ، اشترك فى أفلام كبار الممثلين واشتهر دائماً بأدوار الشر ورجل العصابات .

- وما علاقتك به ؟

- كان له دلال على الريجي ومساعد المخرج والمخرجين،
الذين عمل معهم فكان لا ينتهى من عمل حتى يدخل فى
غيره، بل كان يصور أكثر من فيلم فى وقت واحد ، وكان
يتدخل بعلاقاته لأعمل معه وكانت هذه الفترة أزهى
عصوري ، فاشترت ملابس جديدة لترفع من شأنى
ومظهري فى الوسط ، واشترت ذهباً يكون لي أماناً من
غدر الزمن ، وتزوجت إسماعيل .

- قصة حب إذن ؟

- بل قل قصة أمان.

- قصة أمان ؟

- كان رجل فى أواخر الأربعينات أرمل ليس لديه أولاد،
وعنده شقة ثلاث غرف وصالة يعيش فيها بمفرده ،
ومحال صغير لبيع مواد البقالة ، وفوق كل هذا كان سبب
فى ارتفاع أجري وحمائتي من أوباش المهنة واستظرافهم
، وبسبب معرفتى به إنهالت على أوردارات الأفلام
والمسلسلات وعندما طلبني للزواج ، وافقت بالرغم أنه
يكبرني بـ ٢٨ سنة ، وافقت دون تفكير .

- زواج مصلحة إذن ؟

- لنقل زواج أمان تلك إجابة أخف وطأة على القلب
والأذن.

- الحق أن قصتك أثرت فى أعماقى .

- ألا تريد أن تسمع البقية ؟

- أنا متحمس جداً .

- ولكننا وصلنا البيت .

- الحديث أخذنا ولم نشعر بالوقت والمسافة .

- نستطيع أن نكملها .

- كيف ؟
 - تعال معي نحتسي الشاي وأتممها لك .
 - الوقت تأخر والساعة تقترب من الثالثة والنصف.
 - الوقت لا يهم أمام الوحدة والجدران الأربعة .
 - ثم كلام الناس .
 - الناس يتكلمون فى كل الأحوال ولا يصمتون حتى لو كنت أمامهم قديس لا يخطئ .
 - لي أهل يساورهم القلق إذا تأخرت.
 - معنا الجوال أطلبهم وطمأنهم.
- وصعدت السلم معها فى ترقب إلى الدور الثاني، حيث شقتها واختلطت بداخلك مشاعر متضاربة بين الحماس والرغبة والخوف والنفور ، وفتحت تهاني باب الشقة ودخلنا وأغلقت الباب وراءنا ، واهتدت حيرتك شيئاً ما وأنت تحتسي الشاي معها فى غرفة أمام نافذة مفتوحة، تطل على بيوت متكدسة كأنها بقايا أشباح فى الظلام، تطل علينا وتخشى الإقتراب .
- وقلت فى حماس :
- ها أنا مصغ إليك.
- فقالته وهى تأخذ وضعية أكثر راحة فى جلستها .
- عشت مع إسماعيل خمس سنوات وكان للحق كريم معي ،ولطيف فى معاشرته بالرغم أنه كان فظاً مع الغير.
- لم تنجبا أولاد ؟
- إسماعيل لم يكن ينجب وقد صارحني بذلك فى الأسبوع الأول من زواجنا ،وربما كان أفضل .
- ولماذا أفضل ؟

- مات بعد خمس سنوات من زواجنا على أثر أزمة صحية لازمته بضع شهور ، وترك لي هذه الشقة والمحال الذي قمت بتأجيريه والوحدة .

- ولم تفكرى فى الزواج بعدها ؟

- فكرت بالفعل ، وتقدم لى الكثير للزواج ولكن أغلبهم كانوا طامعين فى الشقة ، وغيرهم كانوا يريدوننى زوجة ثانية للمتعة لا غير .

- فضلت الوحدة إذن ؟

- ليس كذلك ولكنى أصبحت أمقت فكرة الزواج ، وانشغلت فى العمل و أنهكت نفسى فيه حتى أصبح لي اسم فى الوسط الفني، وبدأت تأتيني مساحات أدوار أكبر من أن يُطلق عليها كومبارس ، ومررت سبع سنوات قابلت فيها أنماط من البشر الأوغاد منهم والأندال ، وكذلك الطيبون وهم قلة ، وأيضاً الذين يحملون داخلهم حزن عميق مثلك يانور.

- وما أدراك بما أحمله من حزن ؟

- الحزن كالفضيحة لا نستطيع التستر عليه مهما فعلنا ، إنه يظهر فى صوتك وفى نظراتك البعيدة وفى حديثك المتقطع القصير .

- أعتقد بما تحمله من ضجيج وصخب ومزاح وهزل فى حديثك معنا أثناء البروفات أنك أيضاً تحملين حزن تداريه ، فأحياناً قد يكون أكثر الناس صخباً أكثرهم حزناً .

- ألم أقل لك أنه كالفضيحة ، وربما هذا الذى جعلني أقص عليك قصتي مع الحياة ، هذا الشعور الواحد الذى جمعنا ، إن التعساء يشعرون ببعضهم من نظرة عين .

وهامت روحك فى آفاق الماضي تتذكر الأحداث وتتأمل الأحوال ، ثم فاضت النفس بلحظات نشوة غريبة عندما طبعت تهانى قبلة على شفاهك ، قالت بعدها فى همس : أوعدنى يا نور أنه مهما حدث لن تبتعد عنى ، وعاهدتها ووثقت العهد بقبلة طويلة إمتزجت فيها روحها الوحيدة بروحك وعالمها بعالمك ، ومن يومها وبدأت تتسلل إلى عالمها رويدًا رويدًا دون أن تدري ، فأصبحت تذهب معها الأستديوهات؛ لتكون معها أثناء تصوير مشاهدنا المحدودة فى الأفلام والمسلسلات ، واستطاعت بجهودها أن تقحمك فى عالم الأدوار الثانوية فواتك الفرصة فى أكثر من فيلم ومسلسل كلهم معها ، وفى الليل كنت نقضى السهرة فى شقتها بشارع ترسا ، فعلمتك احتساء الخمر الرخيص وشرب لفائف التبغ المطعمة بالحشيش ، ثم مشاركة رغباتها التى لا تنتهى على فراش الحب ، تدعوك له كشیطان يحمل لإنسان دعوة للخيانة لا تنتهى ، وإندلعت بداخلك ثورة متعطشة للمغامرة شملتك كليًا ، إنسقت وراءها بحماس أذهلك ، إنهزمت فيه الإرادة هزيمة نكراء ، وطوحت على آخر ذراعيها عهد مضى من البراءة والحب العذرى، ثورة قوامها تهانى ، وتعثرت فى هذه الفترة شركة إيزيس للإنتاج الفنى عن إنتاج مسلسل السيت الكوم بعد عمل بروفات امتدت لشهر ، فانقطعت الصلة بالشركة وظلت تهانى هى المكسب والخسارة على أديم واحد .

ومرت أيام كثيرة كنت فى هذا التوقيت تقيم فى شقتها إقامة دائمة بعد إلحاح منها أن تبقى معها تؤنس وحدتها ،

قلت للأهل وقتها إنك تعمل فى أحد الفنادق الخمس نجوم
وأنهم وفرو لك مبيتًا بالفندق .
وفى إحدى الليالى وهى مرتمية فى استسلام بين أحضانك
والخمر يفيض منها ومنك، قالت بصوت يملؤه السكر و
الدلال :

- ستفتقد هذه اللذة بضعة أيام.
- قلت متسائلًا:
- لما وقد أصبحت مقيم معك؟
- مضطرة للسفر للخليج.
- قلت فى قلق:
- وأنا وقد تعودت عليك؟
- كلها عشرة أيام يا نور لدينا تصوير مشاهد فى المسلسل
هناك ، ولا بد أن أكون معهم.
- ومتى السفر؟
- بعد ثلاث أيام .
- سأترك الشقة .
- ولم؟
- لا أتصور نفسى فيها بدونك .
- يا حبيبي يا نور .
- وانقضت اللعينة فوقك تنثر قبلاتها المسمومة على
شفاهك، وقالت فى غنج:
- لا ينبغي أن تترك الشقة إنك رجل البيت وسيده ، وهل
يترك الأسد عرينه .
- صار لنا قرابة العام لم نفترق.
- أنا مستاءة أكثر منك ولكن العمل يطلب ذلك.
- أتركه.

- هذا كلام عاطفي يا نور ولا تنسى أن عملي هذا الذي ينفق علينا .
- قولها بلا تكليف (الذى ينفق عليك)
- لم أقصد ما فهمته.
- أصبحت أحيا على عرق النساء .
- وأنت وأنا ماذا ، ألسنا واحدًا؟
- لماذا لم يعد يطلبني الريجي فى عمل ؟
- أنت تتشرط يا نور ويقول أنك تتحدث معه دائمًا من عليائك .
- كيف أحادثه وآخر مرة أتى لى بمشهد يريدنى فيه أن أرtdى فستانًا.
- هذا هو الدور .
- ملعون الأدوار كلها على السينما على الفن الذى يجعلنى أرtdى فيه ملابس النساء .
- اهدأ يا نور كل هذه الثورة ، لأنى سأغيب عنك بضعة أيام .
- ومن أنت ؟ تفكرين حالك محور الكون .
- لا أنا تهاني يا حبة عيني وفيق من الخمر التى أخذت عقلك ، وتذكر من يدفع ثمنها .
- أنت لم تشتريني يا امرأة .
- لم أقل ذلك؟
- حديثك الليلة خبيث .
- ما بك تقتعل خناق واضح أنك لست على ما يرام .
- أشعر أنى أقاوم زحفاً خانقاً.
- تعال نقضي السهرة خارج البيت .
- أين ؟

- مكان يعجبك.
- وما أدراك باعجابي .
- ألا تثق فى تهاني وذوق تهاني .

تابعت حديثها بقلب غافل وأنت ترى وجهها مشملاً بمساحات لونية لا تأويل لها ، وانسقت خلف رغبتها فى الخروج وإذا بنا أمام ملهى ليلي رخيص فى شارع الهرم ، للوصول له لابد أن تنزل سلم من ٨ درجات ، تستقبلك على بابه فتاة ملطخ وجهها بمساحيق التجميل ، حتى أنها تكاد تشبه بلياتشو فلا تعرف لها ملمح محدد للجمال، عرفت فيما بعد أن اسمها "عبير" ويدلولونها بـ "بيرو . " وما إن رأت تهاني حتى صرخت فى حب "توتو" وتعانقا كأصدقاء قدامى مما دفعنى متسائلاً :

- صديقتك ؟

فقالته بقلة إكتراث:

- بدأت حياتها كومبارس صامت معي ولكنها كانت خيبة لم تستطع أن ترتقي لمتكلم، فإتجهت للعمل فى الملاهى كريكلام .

وقلت فى فتور:

- اختصرت الطريق!

فقالته بإستهانة:

- بل ضلت الطريق .

ومشينا خلف عبير التى بدت لنا كمرشد حتى اختارت لنا طاولة تكشف لنا المكان، جلسنا عليها ثم وضعت تهانى فى يدها ورقة مالية فئة المائتي جنية قائلة:
- المعلوم ولوازمه يا بيرو.

وذهبت بيرو وعادت بعد عشر دقائق بعلة تبغ وورق
بفرة ودست يدها فى صدرها ، وخرجت بلقافة صغيرة
تديننت منها أنها "حشيش" وبدأت فى بعثرة التبغ فى ورق
البفرة ، وكسر الحشيش عليه ولفه وتوزيعه علينا بعدما
تقبل كل سيجارة وتقول فى دلال فاجر :
- فى صحة الدماغ العالية .

وتوالت على المائدة زجاجات الخمر وأطباق الترمس
والفول السوداني ، وامتلى المكان ضجيج حتى صرنا
نتحدث بصوت عالٍ لنسمع أحاديثنا ، ولم نتركنا عبير
حتى بدأت الموسيقى فى العزف فصعدت المسرح ترقص
مع ثلاث راقصات يكشفن أكثر مما يسترن ، ويرقصون
على غناء رجل تدل هئيته على أنه منولوجست ضل
طريقه للغناء ، زاد الضجيج أكثر حين سعد زبائن المحل
للرقص وبعثرة أوراق مالية فوق صدور الراقصات ،
شعرت وقتها أنك تفقد إحترامك لذاتك . تفقد نور الحاصل
على شهادة فى الهندسة وتبدله بنور آخر لم تعرفه قبل ذلك
ولا تريد ولكنه يتملك منك ويفرض سيطرة طاغية عليك ،
وازداد ضيقك حينما رأيت العاهرات يتفقن مع الزبائن
على قضاء ليالي جنسية ، وجاءت أحدهن إليك تعرض
نفسها عليك فى وقاحة حين كانت تهانى منشغلة بحماس
فى الرقص مع الجموع ، ولمحت فى المكان بعض
الكومبارس الذين تعرفت عليهم فترة عملك فى الأفلام
منهمكين حول طاولة فى شرب لفائف الحشيش . وصل
نفورك إلى الذروة ، فصرخت فى تهانى مناديا للخروج
من هذا المكان الموبوء ، وعدنا للبيت مصطحباً تهانى

ثملة وشعور بالاشمئزاز وسؤال بدأ يتسلل كثعبان خفى) :
 ما الذى حملك لهذا العالم ؟ . ()
 سافرت تهانى للخليج بعد يومين وتركت لك الشقة ومبلغ
 يزيد عن حاجتك طوال العشرة أيام فترة غيابها ، كنت
 تهيم فى الشوارع طوال النهار ، ثم تذهب للجلوس فى
 المقهى تحدث عبود وتستعيد معه نور الذى تعرفه
 وفقدته يوم عرفت تهانى . إلى أن جاء يومًا وأنت فى
 طريقك ليلاً للعودة أن وانتك رغبة أثمة تحايلك للذهاب
 لهذا الملهى الرخيص ، ورؤية عبير أو بيرو كما يدللوها
 رواد الملهى ، فانسقت خلف تلك الرغبة ، ووقفت
 كالمتردد أمام الملهى مليًا ، تنظر له متفحصًا ومتحيرًا
 تقيس مدى قوة هذه الرغبة حتى عقدت العزم ، ووجدتها
 فى استقبال الزائرين كالعادة ، وما إن رأتك حتى ابتسمت
 ابتسامة تقطر بالدلع والفجور ، وقالت :
 - جئت وحدك أم تهانى ستنبعك ؟
 قلت فى حزم :
 - تهانى فى الخليج .
 فقالت فى دعاء :
 - أو عدنا يا رب .
 وقلت فى تردد :
 - أريدك الليلة
 - أنتنظر بعد التشطيب ؟
 - لا الآن حالا .
 - إذن ٢٠٠ جنيه .
 - لا بأس .

وأخذتها إلى شقة تهاني ، إلى فراش تهاني ، وبنقود تهاني ، إن سبب انفعالك كان ما سمعته يوماً من الكومبارس زميلاتها عن رحلات الخليج بالنسبة لهن ، وهن يمنون أنفسهن دائماً بمسلسل أو فيلم يصور هناك ، ودعوات رجال البترول للفنانات والكومبارس وطاقم العمل ، وما يحدث من صغار الفنانات اللائى تضعفن مقاومتهن أمام أموال الخليج ورجال الخليج فيضيعون ويغرقون في التنازلات . أجزمت وقتها أن تهاني تخونك هناك فحسمت أمرك وقررت خيانتها هنا ، فى شقتها ، وعلى فراشها ، ومع صديقتها ، وتساءلت وأنت فى الفراش بمصاحبة بيرو " :هل خيانة الخائنة تعد خيانة ؟ " ولم تبال إهتماماً فى البحث عن إجابة ترضيك ، وتركت كلك فى أحضان بيرو .

ومرت الأيام العشر وعادت تهاني ، تغيرت كما توقعت ، قلت لهفتها ، شغفها ، دلالتها ، وزاد على ذلك أن أخبرتك برحلة أخرى للخليج بعد أقل من شهر من عودتها معللة أنها تقبت خلال سفرها عن شركات الإنتاج الفنى ، واستطاعت أن تقتنص دوراً فى مسلسل خليجي تعاقدت عليه وستمكث هناك شهرين ، وحدث شجار عظيم بينك وبينها فخبرتها أن تصحبها فى هذه الرحلة الآثمة للحماية من المتطفلين هناك ، وبين تخليها عن السفر ، رفضت بشدة قاطعة فكرة تخليها عن السفر . ازدادت شكوكك نحوها ، صارحتها بظنونك ، فانطلقت الكلمات منها كالرصااص بلا تنقيح ، فيها من المعاييرة وفيها من السباب ، بلغ الشجار ذروته ، فصفعتها على وجهها صفعة قاسية ثم توالى الصفعات فى قسوة منك ومقاومة وسباب منها ،

نعيتها بالعاهرة ، فنعنتك بالعويل ، وصفتها بالفاجرة ،
فوصفتك بالعاطل ، احتدمت معركة كلامية تخللها
صفعات قاسية أخرى منك أدت إلى نزيف دماء سال من
أنفها ، انتهى الأمر ، طردتك من شقتها ومن حياتها ،
امتزج داخلك شعور غريب ما بين الفرحة والندم ، فرح
لتخلصك من سلطانها عليك وسجنها الذى أودعتك فيه ،
وندم لعودتك للعالم التى تناصبك العداء من جديد ، هذه
الدنيا التى تنكرت وأدارت ظهرها لخريج هندسة .
خرجت من بيتها سائراً تحت سماء شاحبة وعواطف ملوثة
تمر أمامك ذكريات النضال الأليم، فيفتقر نشاطك الروحي
وتتجلى حقيقة بشعة ، حقيقة قالتها تهانى وسط صراخها
"عاطل " ما يقارب العام وأنت واقع تحت تأثير تهانى ،
حتى عندما عملت كومبارس معها كان بشفاعة منها فى
كل مرة ، لم يمنحك الفرصة تلو الأخرى إلا بأمر منها ،
وبأمر منها لن يُسمح لك بتجارب أخرى ، الأفضل أن
توفر على نفسك شقاء مهانة الطلب ، أن تنسى الأمر
برُمته ، من رافة الإله بعبادة النسيان ، نعمة ورحمة
للعالمين ، أكملت سيرك تحت فجر مشتمل بلون أزرق ،
ونجوم تفيض بروح جديدة ، وعزمت بطي هذا العهد وأن
تتذكر كلمات عبود المتفائلة التى يرددنها دائماً : غداً يوم
جديد ، غداً فرصة جديدة .

---.---.---.---.---

اليوم الثامن :

الثالثة ظهراً

"وما بين الأيام والأيام كان الندم والعدم والأسى
والنأسى"

* ((لاستكمال الهيكل الوظيفي لشركة سياحية كبرى
للتعيين فوراً سكرتيرة ومحاسبين وعامل بوفيه - ت /
.....

*مطلوب لشركة مطاعم لفرعها بالمعادي :مساعد مدير
مطعم ، شيف عمومي شرقي ، شيف سخن شرقي، شيف
شواية ، شيف جارد مانجيه ، هوست ، أوردر تيكس /مع
ملاحظة الخبرة كل التخصصات لا تقل عن سنتين.
*لشركة كبرى تطلب لفروعها الجديدة بائعين أحذية خبرة
(.)).

يوم جديد ، ونضال جديد ، وفرص جديدة ، ليس اليوم إلا
لحياة جديدة لقوم يعقلون ، وحصيلة اليوم من البحث غير
مرضية لا تتناسب مع حماسك الفعلي ، ولكن دع اليأس
وتحمل معناه وتخطى ، ولا تنسى ما قاله الصديق عبود :
"غداً فرصة جديدة " ، ولكن الفرصة تأبى ، بحثت كثيراً
اليوم ، تطرقت لمنافذ جديدة ، والمتاح غير ملائم ،
ويتطلب شروطاً وخبرة ، وحماسك يرفض الاستسلام ،
ولكن يلزمك قسطاً من الراحة واحتساء القهوة، لتواصل
البحث بذهن متقد ، وعلى مقربة من هذا الشارع مقهى

للإنترنت ملحق به بوفيه صغير يقدم القهوة ، كم مررت عليه فى الماضى البعيد وكنت من كبار رواده ، بسببه تعرفت على هذا العالم السحري "الإنترنت " ومكنت ساعات وساعات تكتشفه . إنه لتاريخ حافل بالأحداث والشخصيات قد يملأ كتبًا إذا ما قررت يومًا الكتابة عنه ، كانت شاشة الحاسوب عزائك زمناً من الفراغ والبحث والانتظار ، هذا الإنترنت ، صندوق الدنيا ، بيع وشراء الحب والأحلام والجموح فيه إلى مالا نهاية ، انغماس فى عالم غامض لا تكاد تتحسسه حتى يختفي من أمامك ليصبح عدم ، وفى فضائه الرحب غزوت قلوبًا ، انتصرت مرة ، وانهزمت مرات ، ضحكت أيامًا ، وبكيت أيامًا ، وما بين الأيام والأيام كان الندم والعدم والأسى والتأسي ، تكابلت عليه أو هو الذى تكابل ، النتيجة واحدة . الإدمان لهذا العالم الأثيرى ، تحدثت مع جنسيات من كل العالم ، مصر ، المغرب، تونس ، لبنان ، سوريا ، اليمن ، السعودية ، البرتغال ، صربيا ، أوغندا ..دنيا كاملة تنطلق من شاشة زجاجية ، حياة إتراضية استعاض بها رواده عن واقع لئيم ، أصبح الحاسوب فيه صديق وفي ، مقرب ، دائم كأنه ولي حميم ، وكان الرحيل إلى هذه المدائن الأخرى المجهولة الضبابية الإفتراضية الساحرة ، قطعًا ساحرة ، ومن سحرها أن إبتعت حاسوب بما تملكه مع مساعدة ، لابس بها من العائلة وأحضرت البيت لتسافر من خلاله إلى هؤلاء الشخصيات ، وتنغمس فى حكاياتها وقصصها التى لا تمل منها ، كل قصة كانت تحمل مفاجأة واكتشاف جديد لأناس يعيشون على هذا الكوكب ، ومدن لم تكن تعرف عنها غير اسم مكتوب على خريطة العالم ،

وأيام تحملك إلى شهور وشهور تحملك إلى سنوات غير فيها الزمن أناس وأماكن وأسماء شوارع ، وخلفت الحكايات ذكرى باقية فى النفس ، وصورًا لأناس تحملها فى جهاز الحاسوب ، صورًا كثيرة ، كل صورة حكاية ، وكل حكاية حفنة من أيامك .

وكانت التجربة الأولى مع مصرية اسمها هدى ، صيدلانية مطلقة تزوجت قبل خمس سنوات من معرفتك بها ، وطلقت بعد سنتين من زواجها ، لها ابنة فى الثالثة والنصف من عمرها تعيش معها فى شقة فى المنيل ومعهما والدتها ، تعمل فترة نهائية فى صيدلية حتى الساعة السادسة ، ثم تقضى النصف الآخر من اليوم فى وقت قصير مع ابنتها ووالدتها ثم تهرب إلى الحاسوب ، تهرب من روتين واقعها وفشلها فى زيجتها ، هكذا قالت لك فيما بعد . تعرفت عليها فى أحد غرف الدردشة وانتقلنا منها إلى كل وسيلة ومنفذ جديد يظهر على الإنترنت ، تبادلنا الإيميلات واشتركنا فى منتدى واحد لهواة الموسيقى ، ثم ظهر الماسنجر فتحدثنا صوتًا وصورة لأول مرة ، ثم تبادلنا أرقام الهواتف ، وأصبح حديثنا كل يوم ، إما بالهاتف ، وإما بوسائل الإنترنت . كنا نُمثل دور الحب بإتقان حتى أننا صدقنا ، كانت تسرد لي بالتفاصيل ماذا حدث فى يومها ومع زبائن الصيدلية والمواقف الطريفة التى تتعرض لها ، وكنت أسرد لها تفاصيل الفراغ فى أوقات البحث عن النظرية والمبدأ أو تفاصيل الوظيفة الجديدة فى أوقات العمل ، واتفقنا أن نتقابل لأول مرة بعد عام كامل كنا نتحدث فيه من وراء حجاب ، شاشة زجاجية أو سماعة هاتف .

وفى أول لقاء تجسدت أمامك أكثر بدانة مما تظهر عليه فى شاشة الحاسوب وبدت أنيقة بعض الشيء وعلى قدر محدود من الجمال ، تبادلنا الكلمات فى تصنع باديء الأمر ، ثم انطلقت نتحدث عن حياتها وزيجتها الفاشلة بلا تحفظ حتى أنها تحدثت فى أمور خاصة ، تتعلق بزوجها السابق وما يحدث بينهما على الفراش كل ليلة من شذوذ هذا الزوج ، لم تستسغ صراحتها وعفويتها خصوصاً وهى تتحدث عن أسرار الفراش ، ولكن ما أصابك بالذهول والقرف حين تطرقت لحياتها بشكل أوسع وأقطع وحدتك عن تجاربها الجنسية بعد طلاقها مع صاحب الصيدلية، التى تعمل بها والتى كانت تجارب جنسية كاملة على حد قولها ، كانت تضعف أمامها مرة لتأثير جاذبيته ومرة لتأثير عطشها ، انتهى اللقاء الأول بينكما ، وانتهى شغفك بها مع شعور بالفتور نحوها من آثار وقاحة صراحتها ، تقابلنا بعدها أكثر من مرة لاحظت فيها أنها تراودك عن نفسها بطريقة غير مباشرة ، ولما لم تجد صدًى لعرضها أعلنت لك بطريقة شبه واضحة أنها تريد أن تكون معك فى مكان بعيد عن عيون الناس ، مكان مغلق لتشعر بك أكثر ، فاجئتك جرأتها واعتذرت بلطف عن هذا العرض السخي ، وفى قرارة نفسك كنت حسمت أمرها بأن يكون هذا اللقاء هو الأخير سواء كان لقاءً حقيقياً أو على الحاسوب ، كان عطشها مثير للقلق أكثر من الإثارة ، فآثرت البعد عنه تحسباً لتبعاته .

وانتقلت إلى خارج الحدود هذه المرة فى تجربة جديدة مع فتاة سعودية اسمها "نوف" ، تعرفت عليها فى أحد المنتديات الأدبية ، كانت تكتب خواطر ومقالات فى

التنمية البشرية على الرغم من عمرها الذى لا يتجاوز الواحد والعشرين إلا إنها كانت لها رؤية فى الحياة نالت إعجابك وجذبتك لها ، وتطور الحديث معها من كتابة إلى صوت وكانت ترفض أن يكتمل الصوت مع الصورة . دائماً كانت ترفض ، ولم يكن هذا الرفض لتقاليد بلدها الذى يُحرم رؤية الوجه لغير المحرم ، لإنها كانت عندما تسافر مع عائلتها لدبى أو بيروت أو القاهرة تخلع غطاء وجهها وتعيش الحرية التى يحرّمها قانون بلادها ، ولكن لأنها كانت مخطوبة لابن عمها ، وهى ترى إنه بذلك ستدخل فى نطاق الخيانة ، صحيح إنه نطاق ضيق كما قالت ، لأنه لم يصبح زوجاً له حقوق وواجبات تمنعها من أن تتحدث مع رجل غريب حتى لو كان من خلف شاشة الحاسوب ، إلا أنها لا تريد أن تفعل ما تنهى عنه فى مقالاتها ، وبرغم ذلك التحفظ الذى بدت عليه . وبعد مرور فترة لا بأس بها من الأحاديث الشبه يومية ، تحررت بعض الشئ وأخذ كلامها معك منحى آخر بعيد عن الخواطر والمقالات والتنمية البشرية ، تحدثت عن عائلتها ، عن خطيبها الذى لا تحبه ولكنها قبلت الخطبة منه بناء على رغبة العائلة ، الرغبة التى أشبهه بأمر ، وخصوصاً أنها تعيش فى مجتمع ضيق ، متزمت ، مغلق على نفسه، لا يسمح بدخول غرباء فيه ، ولا يسمح بالمساس بتقاليده البالية ، مجتمع لا يسمح للفتاة حتى بقيادة سيارة ، قالت لك أنها تمننت لو كانت لبنانية أو مصرية حتى لو كانت أقل من مستواها المادى الذى لا تفخر به ، والتى ترى أنها مظلومة فيه ؛ لأن نظرة الشعوب الأخرى للفتاة الخليجية عموماً ، أنها الفتاة غير المثقفة والمدللة

والغبية التى لا تفعل شئ فى الحياة سوى أن تتفق من أموال البترول ، ولهذا كانت حريصة منذ صغر سنها أن تقرأ ، وتتعلم أكثر من لغة ، وتتقن نفسها بنفسها بعيداً عن التعليم الأكاديمي ودراساتها الأساسية، وهى لا زالت طالبة فى كلية الطب بجامعة أم القرى ، تتذكر لها دائماً حديثها معك فى التنمية البشرية ، وبعض النظريات التى كانت تقولها لك فى حماس صادق وفى لهجتها الخليجية التى أحببتها منها) :التحدث مع الذات يسبب الاعتقاد ،والاعتقاد يسبب السمات ، والسمات تُسبب الأحاسيس ، والأحاسيس تُسبب السلوك ، والسلوك تضعك فى نتائج ، والنتائج تُسبب لك الواقع . (كنت وقتها تنتظر إنطواء النهار العبثي لتستوطن أمام أقرب شاشة حاسوب لتلقاها، وكأنك تسافر بها ومعها إلى عالم آخر ، مجتمع آخر ، أرض أخرى ، أرض الخليج .

ومر الوقت كالنسيم حتى جاء هذا اليوم التى أعلنت لك فيه عن قرب زفافها، وأن حديثها هذه المرة هو الأخير، إنه اللقاء الأخير ، وهى لن ترضى على نفسها هذا الحيز الضيق من الخيانة بعدما ستكون على ذمة رجل تحمل شرفه وعرضه ، احترمت رغبتها وافترقنا مع دعواتها لك بكل ما هو أجمل وأفضل وخيراً فى هذا العالم .

ولم تنتهى الحكاية ، كانت هذه المرة حكاية من المغرب ، من كازابلانكا ، كانت إيمان بن يحيى ، دارسة الفلسفة ومُدَرسَة لها بإحدى مدارس كازابلانكا ، كانت أكبر منك ، ولعمرها شيئاً من مأساة خلقتها وعاشت فيها وحدها ، وسردتها عليك بعدما توطدت الأحاديث أياماً وليالي ، كانت قد تجاوزت الخامسة والثلاثين ، ولم تتزوج ، ولم

يتقدم لخطبتها أحد ، وكل الفتيات فى عمرها من جيرانها وصديقاتها وزميلاتها تزوجن وأنجن ، وأصبحن لهن حياة جديدة مستقلة وانشغلن عنها ، فلم يعد أى منهن لديها الوقت لتقابلها ، وتخرج معها للتنزه أو للتسوق كما كان فى الماضى ، حدثتك عن إنها تعيش حالة من الغربة داخل نفسها ، وفاضت فى حديثها أكثر وهى تقول أنها لم تعد تتصل بهن حفاظاً على ماء وجهها ، إن أحداً من صديقاتها لم يعد يتصل بها ولو للتهنئة حتى فى المناسبات العامة كالأعياد ورمضان ، وهى لا تريد أن تتسول الصداقة . طوال عمرها لم تتسول صداقة أحد ، وانغمست فى حياة العلم والتعليم ، فانشغلت بالماجستير وحصلت عليه ، ثم التدريس فى المدرسة التى تعمل بها منذ أن تخرجت من الجامعة ، وتمر عليها الأيام متشابهة ليست حزينة وليست سعيدة ، أيام جامدة صلدة لا يتخللها عاطفة ولا قصة حب ، وكأن العالم يأبى أن يمنحها قصة ، أى قصة حتى ولو لم تكلل بالنهاية السعيدة ، يكفي أن يكون لها وبها ذكريات تعود لها من آن لآخر ، وكما قالت لك يوماً بصوت باك ، أنها أصبحت تحيا الحياة بفعل الغريزة لا الرغبة ، ونظرة المجتمع لها فيها من الإشفاق وفيها من الرثاء لحالها ، وكأنها تحمل عاهة تعوقها عن حياة طبيعية ، قلت لها موسياً إنها نفس نظرة معظم البلاد العربية للفتاة العزباء التى تجاوزت الثلاثين ، نظرة لا تحمل الإشفاق أكثر ما تحمل من الجهل والسطحية ، فهؤلاء يجعلون الحياة تقتل عشرات المرات ، ولكن وبرغم كل هذا الغيم لا تدري ماذا يقول الزمن ، فهو وحده أعظم المؤلفين ، هو من يكتب

القصة كل يوم بشكل آخر جديد ، هو من يسطر أحداثها بشكل مغاير عن توقعات البشر .
كنت تشعر مع إيمان بصدقة خاصة قوامها شجن وحزن مشترك ، فإندمجنا مع بعضنا فترة امتدت لأكثر من عام ، انتهت فجأة بفتور تصاعدي عندما سافرت بعد رحيل والدها إلى شقيقها، الذى يعيش فى فرنسا لتقيم معه هناك ، حتى أصبحنا لا نتحدث إلا على فترات بعيدة ، وزاد من هذا التباعد تغيير أرقام هواتفنا، فزاد البعد حتى تحول إلى فراغ نهائي ، وما تبقى منها صورة وذكرى لفاتة مغربية كانت تحمل فى داخلها مأساة .

وانتقلت لبلد أخرى وحكاية أخرى ، وكانت هذه المرة من لبنان ، من بيروت ، ولكنها الحكاية الأكثر تأثيرًا ، الأكثر عمقًا ، الأكثر جاذبية ، وأيضًا الأكثر فترة زمنية ، حكاية امتدت لأربع أعوام ، ولكنهم كأربعين عامًا ، كانت فاتنة القسمات لجمالها وقع السحر فى القلب ، نزلت فى نفسك منزلة الملائكة فى نفوس العابدين ، فى صوتها حنو وكأن ترانيم السماء اجتمعت تُناجي الإله من أجل إسعادك ، كانت حكاية كل الحكايات ، حكاية ينبعث أثارها فى أركان القلب ، كلها أمل ، كلها مرح ، كلها جنون ، كانت زينة .. زينة بيضون ، فتاة لبنانية شيعية وهى لا تهتم بهذا الفرع من ديانتها أو تفاصيله أو طقوسه ، فهى تقول دائمًا أنها مسلمة وكفى ، كان هذا يكفى عندما كنت تسألها عن أسرار هذا المذهب ، بل إنها كانت تتباهى بأنها ليست متدينة ولا تعرف الكثير عن الشيعية ، يكفيها أن تعرف أنها مسلمة ، وكيفيك أن تعرف أن مرحها الذى تستقبلك به ينطلق من عمرها الصغير ، إنها فى الثالثة والعشرين ،

وتحمل فى قلبها وعقلها أكثر من كل الأحلام والآمال التى تحملها فتاة فى عمرها ، فتاة متوسطة الحال ، تعمل بقسم الكتب الفرنسية بمكتبة أنطوان بشارع الحمراء ببيروت فى الفترة النهارية ، وتسكن فى شارع قريب منه ، شارع المكحول ، وهى فخورة بهذا الشارع ، وتقول لك كأنها تتفخر ، أنه راس بيروت ويقع على تخوم وحدود الحمراء على الرغم من أنه شارع عادى يسكنه الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة بقليل ، وليس من الشوارع الراقية التى يسكنها أثرياء بيروت ، إلا إنه شارع كله حياة ينبض بها كل لحظة ، ولولا أن المكتبة قريبة المسافة بعض الشئ من مسكنها فى هذا الشارع لما عملت بها ، فهى تأخذ المسافة سيرًا على الأقدام فى الذهاب والعودة ، ولكن تضطر أحيانًا عندما تستيقظ متأخرة أن تستقل السرفيس بـ ١٠٠٠ ليرة ، وهو مبلغ أقل من دولار بحسب عملة لبنان ، الحقيقة إنك لا تعرف كيف بدأ اللقاء الأول والحديث الأول معها ، ولكنها فجأة أصبحت متجسدة أمام شاشة الحاسوب بتعليقاتها على أحد المواقع ، التى كنت تكتب فيها مقالات قصيرة عن الفن والأدب والتراث العربى ، كانت تعليقاتها منشورة فى كل المواضيع والمقالات ، ولم تكن تعليقات عميقة أو تنم عن عمق ثقافى ك بعض التعليقات للأعضاء فى الموقع ، ولكنها كانت تعليقات دمه خفيف ، ساخرة ، مرحة ، مهضومة ، كما تردد هذه الكلمة دائمًا عندما تصف أحدًا دمه خفيف أو شئ مثير للبهجة ، تعليقات تضحك معها ، تحبها ، وتحب أن تعرف صاحبيتها ، وتتكلم معها ، وتأخذ من مرحها لتلون به أوقاتك ، كانت أحلى الأوقات التى كنت تجلس أمام

الحاسوب، وتحادثها فى كل شئ ، أى شئ ، فى الفن ، فى الكتب ، فى السفر ، فى الحب .

وحدثك عند مدرستها الثانوية التى قضت فيها أجمل أيام حياتها "مدرسة راس بيروت الرسمية للبنات "، وعن دراستها للأدب الفرنسى وحصولها على الليسانس من كلية الآداب القسم الفرنسى فى الجامعة اللبنانية قبل عام من معرفتك بها ، ولم تخجل وهى تحدثك عن والدها "الإسكاف " كما يدعونه فى لبنان ،والذى يمتلك محل بنفس الشارع الذى تسكن فيه ، شارع المكحول ، وعن طفولتها ، وهى من مواليد ١٩٨١ وعاشت كل عمرها فى بيروت ، وشهدت وهى فى الخامسة عشر من عمرها بما سُميت بـ عناقيد الغضب وهذا القصف الجوى المكثف من إسرائيل ، والذى قُتل على أثره عددًا كبيرًا من المدنيين حوالى ١١٨ بين نساء وأطفال ،حين احتموا بمركز الأمم المتحدة بالجانب ظناً منهم أنه لن يطوله القصف ولكن هيهات ، كانت تسمع أحاديث العائلة والجيران عن ما يحدث فى بلدها من قتل وتدمير، فتهرب من هذه الأحاديث الأليمة إلى سماع الموسيقى والغناء، وأحياناً التمثيل أمام المرأة ، وكانت ولا تزال الموسيقى والأغاني هى التى تأخذها من كل شئ ، من الألم ، من الذكريات ، من الواقع ،وتذوب فى الموسيقى ، وتغنى ، تغنى طول الوقت ، وهى تغنى الأغاني العربية والفرنسية بالذات ، وتحدث الفرنسية بطلاقة ، تحدثاً بعفوية وليس بتقصد منها حتى أنها تخرج منها جمل فرنسية كاملة بتلقائية ،وهى تتحدث معك بالفرنسية فتنتبه لذلك فتعاود ترجمة ما قالت مرة أخرى بالعربية ، وقد تعودت منها على هذه العفوية

وأحببتها منها ، وأحببت ترجمتها وكأنها معلمة تعطى لك درساً فى اللغة الفرنسية ، بل إنها فعلاً ساعدت على تطور معرفتك باللغة الفرنسية إلى حد كبير ، وأحببت أغانيها الفرنسية التى تدندن بها أثناء محادثتنا العادية دون أن تُمهد أنها ستُغنى ، فقط تسكت عن الحوار وتبدأ فى الغناء بصوتها الرقيق ، مرة أغنية **t'en va pas** لـ إلزا ، ومرة أغنية **pour que tu m'aimes encore** لـ سولين ديون ، ومرة **tout** لـ لارا فايبيان ، ومرة **ouragan** لـ ستيفانى دى موناكو ، وهكذا طوال الوقت حتى أنها علمتك أن تغنى معها بالفرنسية من طول ما غنت لك ، وهى تحلم بالغناء كإحتراف لا كهواية ، تحلم بالفن الشامل غناءً وتمثيلاً ، تحلم بالأضواء والشهرة ، وترى فى نفسها أن لديها المقومات اللازمة لتكون نجمة فى سماء الفن ، إنها جميلة وتحمل جاذبية فى وجهها تجعلك مشدوداً للنظر إليها ، وصوتها حلو ويزيد من حلاوته إنه مميز فى طياته شقاوة لذيذة ، قد لا يكون صوت طربي قوي وهى تعترف بذلك ، ثم من يسمع الطرب الآن ؟ . يكفى جملة لحنية رشيقة مع توزيع جيد يتقدمهم صوت حلو على الأذن ، وهذا هو رأيها فى الغناء ولعله واقع الغناء فى هذه الحقبة ، التى تهتم بالتوزيع الموسيقي على حساب الكلام والصوت الطربي ، وهى تعيش على أمل فرصة ، فرصة واحدة تُظهر فيها فنها من غناء وتمثيل للعالم العربى ، وربما للعالم كله ، من يدرى ، وكما قالت لك بتلقائيتها الفرنسية المعتادة:

**Je rêve de Hollywood mais peut être –
que l'Egypte sera mon premier debut**

إنها تحلم بهوليود ولكن بخطوات منطقية متصاعدة وتريد أن تصعد إلى سلم طموحها درجة درجة وتضع خطة لكل درجة ، خطة تضمن لها الاستمرارية وليس لتجعلها تنهض فجأة ثم يخيبو نجمها كما حدث مع آخرون ، هكذا تفكر وترى آمالها الكبيرة وتشاركك فيها ، وتأخذ رأيك عن ما إذا حدث وجاءت إلى مصر تنطلق منها لتكون نقطة بدايتها ، وتعرض موهبتها وفنها ، كمعظم فناني لبنان عندما جاءوا إلى مصر وإنطلقت شهرتهم منها إلى العالم العربي) :نانسى عجرم وإليسا ووائل جيسار ونور (

• وطموحها يأخذها إلى هوليود، إلى القمة ،قمة الغناء وقمة التمثيل وقمة الشهرة ، تريد أن تكون النسخة الأنثوية من فرانك سينا ترا المغنى المشهور والممثل الحائز على الأوسكار ، وهى لا تتوقف عن سرد أحلامها الكبيرة عليك ، وتعلق عليها بفرنسيته المفرطة وهى تقول فى تباهي :

Mes rêves n'ont pas de limites -

ثم تضحك وتتذكر كالعادة أن تُترجم لك ما قالت (إن أحلامى ليس لها حدود) ، وفى عالمها الخرافى تعانقت الأحلام والأمنيات البعيدة ، وسردت عليها آمالك أنت الآخر بأن يأتى اليوم وتعمل فى مجالك الأسمى "الهندسة" ، وبأن تصبح صاحب مكتب كبير للتصميمات الهندسية ينطلق منه تصميمات الأبراج ، وناطحات السحاب ومدن سكنية وفيلل وفنادق ، وحقائق عامة وقرى سياحية تحمل توقيعك وخاتم المكتب (نور للتصميمات الهندسية) ثم تضحك معها وأن تتذكر أنك تقريباً نسيت

الهندسة . التسع سنوات كانت كفيلة بنسيانها ونسيان
مراحل التعليم معها ، ثم تستطرد ، ما فائدة التعليم إذ لم
تعمل به ويصبح لك كيان تفيد به مجتمعك ، إنه شهادة
معلقة على حائط غرفة الصالون للتباهي أمام الضيوف ،
إنه أوراق اعتمادك لخطبة فتاة جامعية ، إنه لا شيء ، إنه
صورة من صور انحراف السلطة في أي بلد ، أن ينتصر
الجهل على العلم والمال على العقل، فهذا انحراف أكثر
منه فساد .

وزينة تسمعك فيبدو عليها التأثير ولكن بطبيعتها المنطلقة
المرحة ، لا تحب أن تستسلم لهذا الإحساس فتقرر أن
تغنى لك ، لفيروز نسّم علينا الهوى من مفرق الوادى ،
وتدعوك أن تغنى معها وتظل معك حتى تُغنى اللحن سليما
دون نشاذ ، ثم تقترح عليك أن تُعلمك غناء أغنية فرنسية
فَتُغنى لك أغنية (la -bas) لجان جاك غولدمان ،
وتتقمص معها دور الطالب المجتهد وهى تُعلمك الأكسون
الصحيح ، وقد تمر ثلاث ساعات وهى تعلمك كيف تُغنى
غناءً فرنسياً سليماً ، ولا أنت ولا هى تشعران بالوقت ولا
بالعالم ، كأنك كل عالمها ، وكأنها كل عالمك .

ثم تنطلق فى مرحها وهى تقول فرحة فى لهجة لبنانية :

- إحذر مين إجه اليوم المكتبة عنا .

فأقول متظاهراً بالجدية:

- نابليون؟

فتقول فى غضب ظريف :

- لا عنجد إحذر .

فأقول مقلداً لهجتها اللبنانية:

- وشو عرفني أنا .

وتقول يائسة:

- زياد رحباني .

وتتهمها بالتضليل فتقول لك في غضب طفولي :

- هو أصلا من زباين المحل وكثير كان يجي عنا يشتري كتب بس هالمرة كان بدو كتاب من القسم الفرنسي اللي هو اختصاصي ، وهو أصلا ساكن هون بالحمرا بشارع السارولا والإستديو تبعه كمن قريب بنزلة مستشفى الجامعة الأمريكية ، وبعدين هو بيعزف أحيانا مع فرقته بمطعم ونايت كلوب مشهور عنا بشارع المكحول إسمه "بلو نوت " كل فترة ، بس أنا ما بحضرله كثير بسبب الشغل رحلته مرتين أو ثلاث .

وأسألها بلهجة لبنانية مقتبسة منها:

- وليش ما طلبتي منه يكتشفك ويعمل منك فيروز جديدة يا حلوة؟

فتقول في زعل مصتنع:

- عم تتمسخر على ؟ . أول شئ أنا كنت بالشغل وكان في ناس معنا من اللي عم بيشتغلو بالمكتبة والزباين، وغير هيك أنا بستحي أفرض حالي على حدا حتى لو كان زياد رحباني ، أنا بدى تيجبي الفرصة الطبيعية ما بعرف كيف . لكن ما بحب أفرض حالي على أى حدا مشهور وخلص ، أحب وصولي يكون بطريقة ثانية، يمكن مسابقة أو برنامج مثل ليالي لبنان أو إستديو الفن اللي طلع إليسا ووائل كفوري شئ مثل هيك ، وهيك أنا ناطرة هالفرصة البعيدة مثل النجوم بالسما .

ومرت بنا الأيام كانت كلما تسمع عن برنامج إذاعي أو تلفزيوني أو مسابقة في مجلة فنية، تتقدم لها ولا يحالفها الحظ وتخرج في التصفيات ، ومع ذلك لا تزال تنطلق في مرحها معك مع أحلامها وأفكارها التي لا تنتهي عن الفن الذي ستقدمه ، فلا تيأس ولا تسمح لليأس أن يتسلل لقلبها وتعيش في الشخصية اللبنانية ، الشخصية التي تحب الحياة ولا تستسلم لمنغصاتها ، الشخصية التي عاشت الحروب ولم تنهزم ، الشخصية التي كانت تقوم وتصلح ما أفسده الحرب ، الشخصية التي ترفض الإستسلام للواقع ،
أى واقع. !

حتى جاء يومًا :

أعلنت فيه أحد المحطات الفضائية عن برنامج كبير ؛ لاكتشاف المواهب الفنية ستجوب به البلاد العربية ، لاكتشاف المواهب مع لجنة تحكيم من كبار الفنانين العرب ، وحدثتك زينة ليلتها أنها قدمت في هذا البرنامج وتم تحديد لها اختبار مبدئي الأسبوع القادم ؛ لتعبر به إلى الاختبار العام أمام لجنة التحكيم ، كانت فرحة وكأنها طفلة فقدت السيطرة على فرحتها فكانت تصرخ وتصفق ، وتنطلق تغني أغاني عربية وفرنسية بصوت يشبه الضجيج وكأن شيطان لبسها ، وما زاد من فرحتها بعد ذلك عندما ذهبت بعد أسبوع واجتازت الاختبار المبدئي ، ستظهر على شاشة المحطة الفضائية ، كانت المواهب المطلوبة في التمثيل وقد أدت أمامهم مشهدين واحدًا بالعربية للممثلة اللبنانية هند أبى اللمع من مسلسلها الشهير "ألو حياتي " ، والآخر بالفرنسية لـ كاترين دينوف من أحد أفلامها ، فيلم **paroles et musique** ، ونالت

إعجاب اللجنة بخفة ظلها وجرأتها في التمثيل خصوصاً أنها أول مرة تُمثل فيها .
وقلت لها متسائلاً :

– عهدي بك أنك تحبين الغناء أكثر ولذا كنت أتوقع الانطلاقة ستكون من باب الغناء .
وردت بفرنسيتها العفوية :

J'adore l'interpretation depuis mon enfance

واستدركت أنها تحدثت بالفرنسية، فترجمت قائلة بلهجة لبنانية :

- بعشق التمثيل من طفولتي :

فقلت ضاحكاً :

- إنك تعشقين الأضواء عموماً .

فضحكت مؤكدة ،وقالت بفرنسيتها المفرطة :

J'adore la célébrité et la gloire -

وعادت إلي اللغة العربية كعادتها تقول : (إنه المجد ياعزيزى)، واستطردت صحيح إنني أحب الشهرة والمجد، وأن تلاحقني الأضواء في كل مكان مثل باقي المشاهير ، لكن هيدا ما يمنع إن بداخلى فنانة أفضل بكثير من اللى عم بيغنو ويمثلو ع الساحة ولا شو رأيك ؟
ومن منطلق خوفي عليها قلت مخلصاً:

- تذكرى وأنتى داخل هذه المهنة أن هناك ضريبة للفن، وهى متاعب الشهرة كالإشاعات السخيفة وأن حياتك وأخبارك ستكون مشاعاً وستفقدين جانباً كبيراً من خصوصيتك ، لن تعودى الفتاة البسيطة التى تعمل فى مكتبة أنطوان .

قالت ضاحكة :

- هيك عم بتهين ذكائي يا نور .

وقلت أجاريتها فى لهجتها اللبانية:

- هيك أنا بخاف عليكى يا زينة.

فقالت وكأنها تلقي بحكمة السنين:

- حتى الإشاعات والأخبار راح تكون فى خدمة النجومية

، بعرف كيف راح أوجهها حتى تكون بصالحى مش

ضدى.

- طموحك مخيف !

- من حقي يا نور إنى ما ضل هيك موظفة بمكتبة أنطوان،

لو ضليت عشر سنين فيها ما راح يتغير شى بالدنا لا

ترقية ولا منصب ولا أى شى.

ثم سرحت صامتة لثوانٍ وعادت لعفويتها وهى تُطلق جمل

فرنسية كاملة كعادتها حين قالت :

**Je ne veux pas être une employée, je
-veux avoir un rôle dans ce monde**

وعادت بعدها سريعاً تقول فى ترجمة كالمعتذرة:

- ما بدي يا نور كون موظفة، بدي إن يكون لي دور فى

هيدا العالم . وما راح وقف محاولات وما راح أنظر

مساعدة من حدا تانى غيرى خدها مني، أنت الوسيلة

الوحيدة لإسعاد حالك ، فما تُنظر المدد من الغير ، خلى

المدد ييجى من جواك أنت ، من محاولاتك أنت ، ديمًا

كون أنت الغاية والوسيلة ما تطلبها من حدا . .

ومرت أيام وأنت تتابع معها كل جديد فى هذه المسابقة،

فتأتى لك يومًا فرحة ، وهى تقول:

- سجلنا كل الحلقات اللى راح تنذاع عن قريب، وبعدها راح تكون الحلقات حية على الهواء مباشرة .
وتمر أيام أخرى تبدأ فيها إذاعة الحلقات على الهواء ،
وتتقدم فى كل حلقة إلى المراكز الأولى، وتصل إلى
التصفيات النهائية حتى يصبح باقى المتسابقين خمسة
ليبقى حلقتين فقط ، وتُعلن نتيجة الفائز الذى سيربح دور
بطولة فى مسلسل كبير من إنتاج القناة، بالإضافة إلى شيك
بـ ٥٠ ألف دولار وتأتي الحلقة قبل الأخيرة، وهى فى وسط
هذا الزخم من العمل والبروفات لا تنسى أن تقتنص من
الوقت ؛ لتبعث لك رسائل أو تحدثك صوتيًا عما يحدث
فى يومها وفى كواليس البرنامج بمنتهى المرح الذى لم
يتخلى عنها، وهى على مقربة من أبواب الشهرة ، وهى
ترى الحلم داخل نفسها متجسدًا أمامها واقعًا ملموسًا ،
وتعيش هذا الإحساس ، قمة الإحساس ، وكلها آمال ، كلها
ضحك ، كلها ضجة ، ضجة تريد أن تُحدثها فى الحياة ،
ضجة تريد أن تصنع بها دورًا فى هذا العالم كما قالت لك
، وأنت فرحًا لفرحها ، وتنتظر معها بشغف الحلقة الأخيرة
التي يُعلن فيها عن الفائز .

وجاءت الحلقة الأخيرة و ثلاث متسابقين وزينة واحدة
منهم ، وثوانٍ وتُعلن النتيجة عن الفائز والكاميرا تدور
بين الثلاثة فى ترقب وهى تنظر للكاميرا فى تحفز، ثم
ترسل قبلة فى الهواء وعدتك بيها فى اتصال قبل ساعات
من بدء الحلقة ، وتلتقط المذيعة مظروف به اسم الفائز
وشيك بالجائزة ، ويعلو صوت الموسيقى فى عزف أشبه
بطبول الحرب وتنطق المذيعة ، ولكن تذهب الجائزة
لمتسابق تونسي ، وتسלט الكاميرات كلها عليه وتذهب

لجنة التحكيم لتباركه وتلمح زينة ، وهى تبتسم ابتسامة صادقة وترفع شارة النصر أمام الكاميرا ، إنها لا تحتاج الجائزة ولا الفوز الآن . إنها وصلت بالفعل لعتبات الحُلم وما الفوز والجائزة إلا تحصيل حاصل ، هذ ما قالت له لك بعدما عادت ، عادت بعقد بدور فى مسلسل مصري ، وعقد آخر فى حيز المفاوضات لفيلم لبناني ، لقد بدأت ، وبعد أسابيع قليلة جاءت إلى القاهرة لتصوير المسلسل ، وتقابلنا للمرة الأولى وجها لوجه فى أحد الكازينوهات المطلة على النيل ، وقلت لها فى حب صادق :

- ابتدا المشوار يا زينة.

وقالت وفى عينيها ضحكة كبيرة :

- المشوار طويل بس تعرف يا نور أنا كثير متفائلة بها المسلسل فيه نجوم كثير كبار ، بينى وبينك ما كنت أحلم حتى أنى أتصور معهن .

- خائفة ..؟

جادت بابتسامة وهى تقول:

- ولو أكيد أى فنان لازم يخاف خاصة إنها أول تجربة .

قلت مازحًا :

- سيأتيك عروض زواج كثير هنا .

فقال بعفويتها الفرنسية :

-Je déteste l'idée du mariage

وعادت سريعًا تُترجم كعاداتها:

- فكرة الزواج أكرهها.

وتذكرت أن أقول لها محذرًا أن لا تفرط فى فرنسيتها طوال إقامتها فى القاهرة ، فقالت ضاحكة :

- بعرفكن يا مصاروه ما بتحبو اللغات الأجنبية بحسكن أعداء معها.

- ليست عدااء ولكن سيحسبونك مغرورة فاحذري من الإفراط منها.

- ما تنسي أن دوري لبننت مصرية يعني راح أحكى مصرى، الله يكون بعوني مجهود مضاعف يا نور.

- أثق فى طموحك قبل قدراتك .

- شو بتعني ؟

- بمعنى إن طموحك سير غمك على الاستيعاب السريع ويدفع قدرتك للإتقان.

- بس قول إن شا الله .

وانتهى اللقاء وتقابلنا ثلاث مرات بعدها ثم انشغلت كلياً بالتصوير ، ولم نتقابل إلا مرة واحدة أخيرة قبل عودتها إلى لبنان.

وعُرض المسلسل فى رمضان ولقى نجاحا كبيرا ونجحت معه ، ثم عملت فى فيلم لبناني بعدها وفى العام التالي اشتركت فى مسلسل سوري تاريخي ، وهى فى هذه الأيام تصور مسلسل خليجي للمرة الأولى ، ربما لم تصل للبطولة المطلقة حتى الآن ، ولكن أدوارها الثانوية كلها مؤثرة ومهمة ومساحات أدوارها كبيرة تجعل خطواتها منطقية، هذا ما قالته وكانت تحلم به يوماً ، وأصبحت ضيفة معتادة فى معظم برامج المحطات الفضائيات فى العالم العربى ، وحدثتك منذ فترة بعيدة أنها تركت شارع المكحول ، وانتقلت هي وعائلتها إلى منطقة الروشة إحدى المناطق الراقية ببירות ، وبدأت الإشاعات تنطلق مرة أنها تعيش قصة حب مع رجل أعمال خليجى ، ومرة مع

ممثّل سورى ومرة أن صديقها الإماراتى اشترى لها فيلا
فى دى ومرة ، ومرة ومرة ، وربما هى التى تُغذى
الصحافة بهذه الإشاعات التى قد يكون ليس لها أساس
من الصحة ؛ لتظل الأقلام تكتب والجمهور يتحدث عنها ،
إنها كما عرفتْها تُحب الشهرة ، تُحب أن لا يكف أحد عن
الحديث عنها ، تُحب أن تُحدث ضجة حولها وتستمد منها
المجد ، دائماً المجد كان ولا يزال حلمها الكبير ، وأخذتها
دنياه الجديدة بعيداً حيث الأضواء ، وذابت ، ذابت فى
مجرى النسيان ، وظل شذى ذكراها باقياً مع الذكريات ،
كل حوار دار بينكما ، كل نكتة قالتها ، كل ضحكة
ضحكتها ، كل أغنية فرنسية تغنت بها على مسامعك ،
ربما كانت كطوق نجاة لسباح ماهر صرعه أمواج الحياة
، فتمسكت بها هى وذكرياتها ، وأنست فيها كل ما يمكن
أن يُقال فى معاني السعادة والراحة والآمال الكبيرة ، ثم
رحلت مع الراحلون من قبلها لتجد نفسك وحيداً فى
صحراء جديدة اعتادت السير على رمالها المتحركة .

-.--.-.-.-.

اليوم التاسع :

الثالثة والنصف ظهرًا

"عندما يكون الحاضر قويًا يستطيع أن يفرض نفسه
وسطوته على ذكريات الماضي"

* ((مطلوب موظفين تلى سيلز خبرة فى مجال التسويق
لشركة كبرى * /مطلوب لمصنع بالسادس من أكتوبر
فرماتونى أعمال جبسية * /مصنع لإعادة تكرير الزيوت
المستعملة بالدوحة يطلب مهندس كيمائى خبرة لا تقل عن
١٠ سنوات * /مطلوب لشركة سياحية وسفر كبرى مترجم
ألماني على دراية تامة باللغة الألمانية)) .

الرحلة المقدسة المعتادة للبحث عن نظرية ومبدأ بلا
جدوى ، وطريق الآلام لزال مؤلم ، ويوم عبثي باقتدار لا
يلوح منه بشير ، وكل شارع وكل زقاق تمر عليه يذكرك
بماض تارة حلو وتارة مر ، وآيات الذكريات تُرتل فى
رأسك ترتيلاً يختر الواقع ساجدًا أمامها خشية ومهابًا ، و
الناس من حولك كلهم أقنعة مزيفة ، أقنعة كجدار سميك
يعزلك عن أعماقهم ، عن مكنوناتهم ، فلا تدرى الطيب
من الخبيث والأبله من العاقل ، الكل فى صراع لينتصر ،
ينتصر على الغير ، ينتصر على الدنيا ، ينتصر على نفسه
(عالم قائم على الصراع ولولاه ما كان التقدم) . هكذا
قال الفيلسوف الإغريقى هرقليطس ، الكل يصارع والكل
يريد أن ينتصر ويفوز بالغنيمة الكبرى ، ولكن ماهى

الغنيمة الكبرى ؟ وهل تستحق كل هذا الزيف والنفاق
البشري وفن اللوع وفن القتال ، الكوكب أصبح حلبة
مصارعة ، والكل على طريقته ، ولا عزاء للمبدأ ، للعلم ،
للثقافة ، للإنسان ، إن أثينا وإسبارطة عاشا فى عصر
واحد ، اهتمت أثينا بحرية العقل والتفكير واهتمت
إسبارطة بحرية القوة والعضلات ، وانتصرت إسبارطة
سنة ، وانتصرت أثينا ألف سنة ، أما اليوم فالعقل عبث
والفكر عبث والمبدأ عبث وفيما يبدو أن البحث اليوم هو
أيضاً عبث ، وطول السير حتى وشك هبوط الليل جعلك
تهذى ، ولا تنسى أنك تلقيت إتصلاً من عبود صباح اليوم
يدعوك للمقهى لأمر هام ، أى أهمية فى هذا العالم يا عبود
!ولكن ومع ذلك إلى المقهى تلبية لدعواك يا صديقي .

ها هو مُقبل عليك مبتسماً كعادته وأمارات بهجة تتلأأ
فوق صفحة وجهه ، شاركته ابتسامة مجاملاً برغم ما ينو
به الكاهل وقلت :

- وددت فى مقابلتى فما الأمر المهم يا عبود؟

- كيف الأحوال قبل أى شيء يا أستاذ؟

- الحقيقة أن الحياة لا تسر .

- ولم؟

- الإخفاقات اللعينة تُطارد، كما يُطارِد الوحش فريسته.

- يا أستاذ حينما تضعف ذراعك حاول مرة أخيرة، ربما

فى هذه المرة تلمس النجوم البعيدة، تلك هى الحياة

محاولات ومغامرة ليس إلا .

- الحياة ليست كما تصورناها يا عبود والصور الجميلة التي كانت في مخيلتنا أصبحت بعيدة جدًا، وفي فراغ البعد تتلاشى الأحلام والآمال ويظهر شيء آخر ، إنه الإكتئاب ، إنه الملل ، إنه القرف .

- تفائلوا بالخير تجدوه يا أستاذ نور ، الديانات معظمها تحض على التفاؤل ، فالآية الكريمة تقول ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ، وفي سفر أيوب تقول آية "إن نجوم الصباح تغنى دائماً " ، والقديس لوقا يقول (مملكة الإله داخل الرجل) أى إنك لست وحدك مهما ظننت ، ثم إنني لم أعهد بك طوال السنوات الماضية متخليًا عن تفاؤلك ، حتى وإن كنت تبدو أحيانًا غاضبًا فماذا اليوم وكأن يدًا لئيمة دست في أعماقك اليأس .

- تحتاج لعام واحد ليموت داخلك الأمل والتفاؤل والطيبة والإبتسامة وتحتاج لعام آخر؛ لتصبح متبلد المشاعر قاس مجرم منحرف ، فما بالك بتسع سنوات يا عبود! - أستاذي السعادة والتفاؤل أشياء تأتي من داخل النفس، وليس للمؤثرات الخارجية دخل في اجتلابها فمعظم الناس في إستطاعتهم أن يصبحوا سعداء بمقدار ما ينتنون ذلك بينهم وبين أنفسهم .

- برغم الطرقات المثقلة بالذكريات يا عبود في النفس شوقاً إلى التغيير، ولكن عبثية القوانين البشرية وربما الإلهية أيضًا .

- حاشا لله أن تقول ذلك ، أنت رجل مؤمن ومثقف يا أستاذ وكما قلت لك ذات مرة بين طرفة عين وانتبهاتها يُعير الله من حال إلى حال .

- أبدو وكأن أقاوم عدوًا مجهولًا .
- العدو الحقيقي هو الذى تعلمه عدا ذلك يعد عبثًا.
- إذن هو العبث مرة أخرى .
- العبث موجود فى كل مكان وفى كل مدينة وفى كل شارع ،ولا نستطيع نحن كأفراد أن نغيره أو نمحيه خصوصًا فى هذا الزمن، ولكن أيضًا لا يجب أن نسير فى ركابه، فنصبح عبثيين فى عالم عبثي ، كلنا لنا عقل نستطيع أن نخلق به عالمًا موازيًا يتواءم مع أفكارنا وميولنا .
- ذكرتتي بأبيات قرأتها منذ زمن ولكنها أصدق ما أعبر به عن هذه الفترة) :أنا فى أمة تداركها الله ..غريب كصالح فى ثمود ..ما مقامي بأرض نخلة ..إلا كمقام المسيح بين اليهود (
- يبدو أنك منزعج اليوم من شيء ما .
- ويبدو أننا استرسلنا فى تلك المناقشة أكثر مما ينبغى يا عبود.
- لا عليك يا أستاذ برغم أننى سأفتقد تلك المناقشات والجدال الفكرى بيننا .
- تفتقده ؟
- نعم.
- ما الأمر يا عبود بدأ يساورني القلق؟
- فى الواقع هذا ما دعوتك له اليوم...
- أخبرنى يا رجل لا صبر لى بمقدمات.
- الموضوع أنى كنت أمر بين حين وآخر على مكتب سريات يعمل به أحد زبائن المقهى، وهو الذى حدثنى على هذه الخطوة ، وكانت تأتي وظائف ومهن متخصصة ليس

لي بها خبرة أو دراية ، حتى جاءت وظيفة مناسبة مؤخرًا
مقدم طلبات بمطعم ومقهى فى البحرين .
- كُتِبَ عليك مكابدة الأشواق يا نور حتى مع الأصدقاء .
- لستُ مهاجرًا يا أستاذ نور فإلقد ينص على إجازة
سنوية، ثم أن التكنولوجيا قربت المسافات ومحت فكرة
الاغتراب إلى حد ما .
- الغياب يا عبود يطفئ المشاعر البسيطة ويؤجج
المشاعر الكبيرة تمامًا، كما تُطفئ الريح الشمعة وتُزكى
النار .
- يا أستاذ نور لا يُشترط أن نكون كغيرنا فالناس تتباين
طبائعهم ، منهم من يظل مرتبطًا بموطنه وأحابيه مهما
كان البعد والمسافات ، ومنهم من ينساه مع أول وطأة قدم
على الأرض الجديدة .
- فى الأول سيأخذك الحماس وتكون بقلبك وعقلك فى
الوطن وذكرياته ، وبعد أيام ستكون بقلبك وحده أما عقلك
سيتهجه يحسب الأرباح التى تجنيها هناك ، وبعد أيام أخرى
ستُلهيك الحياة والعالم الجديد وستعيشه بكل حذافيره
ستنسى الوطن والأصدقاء والذكريات ، ولن تتذكرهم إلا
فى وقت الإجازة السنوية كل من سبقوك فعلوا ذلك .
- الحقيقة لا أعرف يا أستاذ نور، ولكني أعتقد أن إرتباطى
بالناس والأرض هنا أقوى من أى عالم جديد بكل مفرداته
ومبهراته .
- عمومًا لا عليك وتهانينا ، كل مافى الأمر أني كنت أظن
أن هناك مازال أيام كثيرة وأحاديث كثيرة بيننا .
- لن تمضى الحياة فى البحث إلى الأبد يا أستاذ حتمًا
ستصل إلى مبتغاك بإذن الله، فأنت تسعى والله يُقدر ذلك .

- أشكرك على جرعات التفاؤل التى تبثها دائماً كم سأفتقدها ، وهذا هو المؤلم فى الغياب ووجع البعاد ، لحظات السعادة التى نهرب بها مع الأصدقاء والأحبة من الواقع السفيه، ثم بعد ذلك بطول الغياب تسري فى طيات النسيان ،ولا يتبقى منها سوى ذكريات كنسائم باردة فى ليلة صيف .

- وأين الحاضر من هذا ؟

- الحاضر منتهى العبث يا عبود.

- إذن اصنع حاضراً مغايراً يا أستاذ ، فعندما يكون الحاضر قوياً يستطيع أن يفرض نفسه ،وسطوته على ذكريات الماضى ويكون آلية لمسقبل جديد.

- دعنا من كل هذا الآن وخبرني متى السفر؟

- غداً فى الواحدة صباحاً .

- إذن لقاءنا غداً فى الثامنة هنا ليكون وداع يليق بك يا صديقى العزيز.

- وليكن يا أستاذ .والآن تسمح لي أن أسمعك قبل السفر آخر قصيدة كتبتها وستسمعها مني ،وهي عن حال التعليم الذى وصلنا له الآن .

- أسمح طبعاً يا عبود ولعلني سأفتقد قصائدك أيضاً :

-

ألا نعترف

إن التعليم فى بلادنا منحرف

ويستحق عقوبة الإعدام

فسنوات الدراسة

ليست بسنوات دراسة

إنها تنفيذ حكم قضائي

مع الأشغال الشاقة
إنها للطالب سنوات إيلام
والشهادة الجامعية
ليست بجامعية
إنها ورقة تُبَت
أن الطالب قضى فترة العقوبة بسلام
فأي مناهج تُدرس
وأي كُتُب هذه نتعلم
إنهم يريدوننا ببغاوات
نحفظ السطور بلا فهم ونُردد الكلمات
فالويل لنا إن فهمنا
إن عرفنا
إن ناقشنا
إن حللنا
إن اختلفنا في الآراء
مع السادة الأساتذة
عفوًا ،السادة الجهابزة
إنهم يحاولون دائمًا أن يقنعونا
أنهم ولدوا هكذا جهابزة
و نحن أمامنا قرونا وقرونا
حتى نصبح مثلهم
عفوًا ، أن نصبح حتى نصفهم.
ألا نعترف
أن التعليم في بلادنا إجرام وإرهاب
بالله عليكم
كيف لجامعي أن يتعثروا في قراءة سطر في كتاب؟

- . - . - . - . - .

اليوم العاشر :

الخامسة مساءً

"بعض الناس كالطيور لها ريش لا يكف عن التحليق فى
اكتشاف البدايات الجديدة "

مفاجأة جاءت بلا نذير ستزيد من وحدة الاغتراب عمقاً بعد رحيلك يا عبود ، كنت تختلف معى فكرًا فى مناقشات نتجادل فيها وكلاً منا له نظرياته الذى يسير بها ، لكن فى نفس الوقت كنت أحس بثمة تشابه بيننا ، تشابه جعلنا فى زمن قصير نتصادق ونتأخى ، وكأننا عرفنا بعضنا منذ زمن بعيد ، وكان هذا العجيب فى الأمر ، ربما لأن أحزانك تشبهه أحزاني ، وأشجانك وأحلامك لها نفس السمات ، فاختصرت زمن التعارف على الرغم من أنك لم تتنازل عن أنك تدعوني بلقب أستاذ دائماً حتى بعد كل هذه السنوات ، هكذا تتدفع الأحداث بلا رحمة ، فبعد عام واحد من التخرج افتقدت كثير من زملاء الدراسة والأصدقاء ، أغلبهم سافر للبلاد العربية ومنهم من كان له قريب فى بلد أوروبي ساعده للهجرة معه ، ومنهم من وجد العمل فى محافظة أخرى تغتال المسافة فيها أو اصر الصداقة والزمالة ، ومنهم من ذاب فى الحياة وبلا سبب محدد لم تعد تلتقي به ، وهكذا الدنيا ، وبقي عبود الصديق الأول والأخير طوال هذه السنوات ، كان ملاذاً للنفس عندما تكتسي الدنيا سواداً بحديثه الحلو ، وعيونه الباسمة دوماً وكأنها تتطلع لمجهول مشرق فى خيالاته ، كان تفاوله

عجيبًا مع أن أحلامه تلاشت فى فخ الواقع، كما تلاشت شهادته الجامعية فى مقهى بلدي كائن فى وسط البلد ، ومن الآن عليك أن تعتاد البحث عن النظرية والمبدأ المفقود، وعندما تحتاج أن تذهب إلى المقهى فستكون لاحتساء القهوة وكفى ، لا مناقشة ، لا جدال ، لا صديق تبعث كلماته فى نفسك راحة غامضة ، وداعًا يا صديقى .

طويت الجريدة بعدما تفحصت الإعلانات العبثية التى لا تناسبك ولا تناسبها ، ومريت على صفحات السياسة والحوادث بحكم العادة ، وتابعت بإعجاب خبرًا عن حادثًا إرهابيًا وكيف نفذوه الإرهابيين بمهارة شديدة وقفت الشرطة حياله عاجزة ، إنهم يصنعون إنجازًا حتى ولو كان بالسلب يتركون آثاره متجليًا فى أركان البلد ، يعلنون عن غضبهم ، عن تمردهم ، يعلنون بالفعل لا بالكلمات مهما كان المصير ، مهما كان الثمن ، مهما كان الإنجاز عنيفًا مكروهاً ، إن الفيلسوف الهندى "كوتيليا" يقول "من يريد الإنجاز عليه أن يتخلى عن الرحمة "، وما أعجب أن يكون الإنجاز الوحيد الظاهر فى بلادنا عملية إرهابية. ! كانت الساعة تقترب من السابعة عندما عدلت من هندامك متأهبًا للذهاب إلى المقهى لوداع عبود ، وفى المترو دارت رأسك حول الحادث الإرهابي مرة أخرى ، وجذبك الخيال أن تكون واحدًا من هؤلاء الإرهابيين ، أن تُفجر محطة مترو على سبيل المثال ، سيكون حدثًا جلل ، سيذكرك التاريخ به ، سيكون إنجازًا يُنسب لك ، لك وحدك ، لا شريك لك فيه ، سترغم به الصحف أن تكتب عنك والتفافز أن ينشغل بك ، ستكون مهما ، سيكون لك قيمة ،

لأنك صنعت إنجازًا ، فالإنسان يظل بلا قيمة حتى يكون له إنجازًا يقوم به ، حتى ولو كان هذا الإنجاز مقترنًا بالإرهاب .

طردت هذا الخيال المشر من رأسك عندما وقف المترو في محطة السيدة زينب ، اتجهت إلى الرفاعي وابتعت نصف كيلو شواء من الكباب والكفتة وذهبت به إلى وسط البلد ، إلى عبود ، وجدته جالسًا متأنفًا ولأول مرة تراه يرتدى حلة كاملة وبجانبه حقيبة متوسطة ، ومن حوله بعض زبائن المقهى يودعونه ، تعانقنا وجلسنا ووضعنا لفة الشواء على الطاولة ، ولم يمر دقائق حتى انصرف المودعين وتركونا وحدنا ، جذبت طاولة أخرى ألصقتها بجانب الموضوعه وأنت تقول:

- لتكن آخر أكلاتك في مصر من الرفاعي : فقال بحماس باسمًا:

- لم يكن له داع والله يا أستاذ نور.

- حتى لا تنسى وسط البلد والمقهى ونور وليكن العيش والملح.

- وهل ينسى الأيام إلا ناكراً للجميل؟

- كم سأفتقد تلك الأيام.

- المقهى موجود ووسط البلد لن يتغير يا أستاذ.

- يمكننا أن نستعيد الأماكن لكن لا يمكننا أن نستعيد الزمن يا عبود.

- كل زمن له مكانه وله ناسه ستجد ألف عبود إذا قررت أنت تجده.

- وهل ستجد ألف نور هناك ؟

- فى الغربية لا نبحث عن أصدقاء بقدر مانبحث عن الراتب والحياة الأفضل.
- أصبحت فيلسوف يا عبود.
- من عاشر القوم يا أستاذ .
- ومع ذلك أنا على يقين أنك ستصنع كثيرًا من الصداقات فى وقت قصير.
- ومن أين لك هذا اليقين يا أستاذ ؟
- لأنك تستطيع كسب حب الناس بسهولة والذين يمكنهم كسب الحب لا يخسرون أبدًا .
- أشكرك على هذه المجاملة.
- إنها الحقيقة يا عبود وليست مجاملة .
- أكثر ما يحزنني يا أستاذ نور أننى كنت أريد أن أسافر وأنا مطمئن أنك وجدت نظريتك ومبدأك ، واهتديت إلى طريق ترتاح له وتجد فيه ذاتك.
- البحث عن الذات ليس بالشيء الهين .
- ولكن على الإنسان أن يغير اتجاهاته فى التفكير؛ ليصل بها لتغيير حياته إذا كانت اتجاهاته الحالية لم تصل به لشيء.
- وهل تضمن إذا تغيرت الاتجاهات أن تتغير الحياة؟
- يا أستاذ نور شرف المحاولة يكفي وأتذكر عبارة لعالم نفسى يقول فيها "إن حياتنا من صنع أفكارنا."
- وماذا تقترح ؟
- كما قال سقراط : (ارض بما ليس منه بد)
- أنا مهندس يا عبود ومع ذلك رضيت بأعمال أخرى وتاريخك معي يشهد .
- أعلم ذلك وأعلم أيضًا أنك كنت تعملها بلا حب.

- وهل مفروض أن أقع فى غرامها؟
- حب ما تعمل حتى تعمل ما تحب ، واليوم لليوم فقط لا
تشغل بالك فى غده ولا أمسه ، أتدرى؟ وأنا بالسنة النهائية
فى الجامعة ، كنت أنتظر التخرج بفارغ الصبر ، وأرى
المستقبل يحملني إلى العمل فى كبرى المؤسسات الصحفية
، وأتخيل هذا المستقبل يصعد بي السلم درجة درجة ،
بداية من مراسل إلى محرر صغير إلى صاحب مقال
يومي وصولاً إلى رئيس تحرير ، وكما تعلم وحدثتك من
قبل لم أترك باباً لآى صحيفة أو مجلة إلا وطرقتها دون
جدوى ، ولكى تتم مقابلة كان لابد من شفعاء يتوسطون ،
إنها الوساطة يا أستاذى . أخذت منى هذه الفترة أياما كثيرة
، كان كل رفض وباب يُغلق يزيدي حماس لأطرق غيره
حتى لا أكون قد قصرت فى سعبي وبحثي عن هذا
المستقبل ، وهذا الحلم فيأتى الندم يناجي أطيف الليالى بعد
ذلك، فيحولها إلى تأسي ورثاء مستمر ، وعندما انتهيت
من كل الأبواب الرافضة ، ولم يعد أبواب أخرى أطرقها ،
جلست فى البيت يومين أفكر بشكل جديد وأعيد صياغة
الأشياء من حولى بشكل آخر ، حتى استقرت على تغيير
اتجاهاتي فى التفكير وتغيير الأحلام إلى عمل يوفر لي
دخل مناسب، أعتمد به على ذاتي وأساهم به فى مساعدة
العائلة، خصوصاً أن لي شقيق ألتحق بكلية الطب وقتها ،
وأصبحت نفقات تعليمه تُشكل عبئاً حقيقياً ، وواجهت
الحياة بهذا الفكر الجديد وهذا القرار بأى عمل يوفر لي
الدخل الذى أراه مناسباً حتى لو كان مُقدم طلبات بمقهى
بلدي .

- قد أتفق معك فى شق من تجربتك أنك كنت واقعياً ووضعت نفسك فى قلب الحياة ، حتى وإن لم تكن تلك الحياة التى تمنيتها ، ولكن اختلف معك فى شق آخر ألا وهو أن يجب إعطاء كل ذى حق حقه، فعملك يكون فى صميم ما تعلمته من سنوات الدراسة وإلا ما جدوى التعليم حين يتساوى الجاهل والعالم على نفس الأرض.

- لو استسلمت لنظريتك على الرغم من أني مقتنع بها إلى حد ما لما كنت وصلت للمرحلة التالية ، وهى السفر فعلى سبيل المثال سيكلفني هذا السفر مبلغاً ضخماً تقريباً ما ادخرته على مدار ثلاث أعوام ، ولكن بحسبة بسيطة سيعود لي هذا المبلغ بعد ثمان شهور عمل هناك ، بجانب أن الرجل الذى جاء لي بهذا العرض من زبائن المقهى الدائمين ، والذى اختار لي أفضل الفرص من واقع خبراته فى إلحاق العمالة للخارج ، إذن هذا المقهى كان حلقة وصل لحلقات أخرى لم أكن أصادفها لولا عملي به ، وعندما قررت العمل هنا كنت قد سلمت بأسوأ الفروض ولكنها فروض بمقابل وليست مجانية .كان حلم الصحافة والمراسل والمحرر أصبح بعيداً حتى بدا كأنه تلاشى ، وكنت أحتاج وقتها إلى حالة من طمأنينة الذهن ، وكما قرأت وقتها لفيلسوف صيني يدعى (لين يرتانج (أن هذه الحالة لا تأتى إلا بالتسليم بأسوأ الفروض ،وهو الذى يحرر النشاط العقلي من قيوده ، ومنها قيود الأحلام التى تتعارض مع مجتمع عقيم فى أفكاره مستبد فى اختياراته ، إن رأس الدولة نفسه يا أستاذ نور عندما يُشكل الحكومة، يكون أغلب اختياراته للوزراء على أساس الثقة لا الكفاءة .

- إذن نحتاج ثورة عظيمة على المعتقدات البالية يا عبود.
- إن جنّت للحق يا أستاذ البلد تحتاج لزلزال يقلبها رأساً
على عقب فالثورات لم تعد تجدى هنا ، وغالبًا ما تنتهي
بنكسة ، وإن جنّت للحق أيضًا أنه أن الأوان لنستقل تاكسى
إلى المطار الآن ، لقد حان الوقت .
- حان الوقت لأشياء كثيرة ولكن التاكسى أهم هذه الأشياء
الآن .

وفى المطار كان اللقاء الأخير يا عبود ، وبعد سلام
وعناق الوداع ، اتجهت تُنهي إجراءات سفرك الطويل
وعيناك بها مزيج من الفرح والحزن والبريق ، بريق
الدموع ، وبريق الأمل .

وماذا عنك أنت يانور؟ أعتقد أنك لن تكون سعيدًا من
داخلك لرحيله ، ولو حاولت أن تنسى ، ستذكرك المقهى
ووسط البلد ، ولكن هناك من يتطلع لآفاق أخرى ، ولا
يكتفي بسماء واحدة تطل عليه ، ويعمل جاهدًا في أن يبدأ
ويستمر ، ثم يسافر لعوالم أخرى في بدايات جديدة ، ومن
الخطأ أن نعاتبهم أو نحزن لأجل رحيلهم ، بعض الناس
كالطيور لها ريش لا يكف عن التحليق في اكتشاف
البدايات الجديدة ، البدايات السعيدة ، كل ما هناك أن المكان
الذى سيتركوه هنا سيصبح فارغ وكئيب وفى فراغه
وكآبته سنجد صعوبة في أن يأتى أحدًا غيرهم يحل
مكانتهم لدينا ، أعتقد فقط أنك افقدت صديقًا ودعته الآن.

ومضيّت فوق قاعدة راسخة من الذكريات ، تمر أمامك
كشريط سينما ، ورأسك تشتعل بالأفكار ، أفكار جديدة ،

ليس فيها نظريات أو مبادئ ، ليس فيها قانون يحدد علاقة
الرئيس بالمرؤوس ، ليس فيها إلا استسلام للواقع ،
إستسلام للحاجة ، ومن خلال الاستسلام تتولد رؤية جديدة
عن عالم تسير فيه مع القطيع ، الكل يسير وأنت منهم ، بلا
نظرية بلا مبدأ ،
بلا نظرية بلا مبدأ .

"تمت "

صديق من أفريقيا.

جمعتنا غرفة واحدة فى أحد البنايات المخصصة للإيجار بالمشاركة ، وكنت قد جنّيت إلى دبي فى زيارة بحثاً عن عمل ، والتحقّت بالغرفة قبله بثلاث أيام ، وجاء هو فى ظهيرة اليوم الرابع ، جاء من أحد ضواحي مدينة نيروبي عاصمة كينيا ، جاء بوجه إفريقي تكسوه وداعة واستسلام وانكسار وحزن دفين ، حتى بدا كأن الحزن أصبح قطعة من ملامحه ، كأنه عيان أخريان يطل بهما علي عالم قاسي لا يرحم ، ووضع جسده على السرير وعلق عيناه علي السقف ولم يتكلم ، وقد ظل طوال اليوم وحتى منتصف اليوم التالي لا يتكلم ، ربما طبيعته قلة الكلام وربما الحزن الذى يستقر بملامحه جعله لا يقوى حتى على الكلام.

وتكلم أخيراً ، وكان كلامه بأن سألني عن كيفية الوصول إلى منطقة بر دبي ، فأخبرته أن يستقل المترو إلى محطة الغيبية ، ثم عاد وسألني ربما أبيت وأعود ظهر الغد فهل ستكون موجود بالغرفة لأنني نسيت أن أطلب نسخة من المفتاح ، فأجبتّه بأنني غالباً سأكون موجود ولكن إذ لم يكن كذلك، فأمن البناية لديه ماستر كي لكل الغرف تستطيع أن تأخذه أو تطلب منه أن يستخرج لك نسخة ، قال هذه الكلمات القليلة ثم ذهب ولم يأتي إلا فى صباح اليوم التالي ، جاء أكثر حزناً وأكثر تعاسة وأكثر انكسار ، وسألته : أراك حزيناً؟ وخفض رأسه إلي أسفل ، وقال فى استسلام بلغة إنجليزية:

- Sorrow comes unsent for -

فابتسمت له فى إشفاق وقلت:

- كل الناس لها من الأحزان نصيب قد يكون كثيرًا أو قليلاً ولكنه قدرًا ، هون عليك واستمتع بوقتك ستجد هنا أشياء كثيرة تلهيك ، ولم يرد وضع رأسه بين كفيه ونظر للأرض برهة ، ثم قال:

-لا يستطيع شيء مهما كان إغراؤه أن يلهيك عن الفقر والجوع وخيبة الأمل ، لقد جئت هنا منذ حوالي عشرة أيام ، كان قريب لي وعدني بعمل معه فى أحد محطات البنزين لخلو مكان تركه عامل هندي ؛ليعمل في مكان أرقى وراتب أكبر وكان هذا القريب حدثني بأنهم يريدون عامل آخر مكانه فأخبر ، صاحب العمل عني فلم يُمانع وجهزت أوراقى استطعت أن أألمم مبلغًا من المال بعد عناء طويل ، وتركت زوجتي وطفل له عام بحثًا عن هذا العمل . وجئت وكلى آمال كبيرة أن أحصل على هذا العمل ، ومنذ ثلاث سنوات والحياة بدت بلون آخر ، لون قاتم لا ينفذ منه أي شعاع للشمس ، لم يعد فى كينيا وظائف أو عمل سوى محال صغير لبيع الأدوات الكهربائية، ما أحصل عليه منه لم يعد يكفي شيئًا ، ومعك زوجة ولديك طفل جاء للحياة ، يريد أن يأكل ويشرب ويتعلم ، صحيح أن زوجتي تعمل فى أحد الفنادق البسيطة وما تجلبه من شلنات لا تُسمن من جوع ، وقاطعته سائلًا ما طبيعة عملها ، فنكس رأسه كأنه يخجل مما سيقوله وأجاب: عاملة نظافة . لا أعرف لماذا ألح على فضولي بهذا السؤال ، ربما أحببت أن أعرف تفاصيل حياة أفريقي من كينيا يعيش فى أحد ضواحي مدينة نيروبي والتي فيما بعد

اكتشفت أنها لا تختلف كثيرًا عن حياة مصري ،يعيش فى ضواحي القاهرة ، أو سوري يعيش فى ضواحي دمشق ، أو لبناني يعيش فى ضواحي بيروت ، أو أو أو ... إن الفقر ليس له وطن ، والفقراء ليس لهم جنسيات، كلهم يتكلمون لغة واحدة، لغة المعاناة والجوع والبحث عن لقمة العيش حتى ولو فى آخر الدنيا ، وعدت وسألته:

- ماذا حدث بعد ذلك ؟

فقال وهو يبتسم ابتسامة اليأس:

- جئت إلى دبي وذهبت لقريبي على أمل أن أستلم العمل المتفق عليه، فاذا به يخبرني بأن صاحب العمل عين باكستاني في الوظيفة الشاغرة ، وهم هنا يفضلون الباكستانيين عن أي جنسية أخرى حتى ولو كان عربي ، ولم أكن أدري ماذا أفعل والحياة هنا باهظة التكاليف ومن حسن الحظ أن أحد من الذين يتشاركون مع قريبي فى نفس الغرفة ، التي تضم أربع أشخاص وهو كيني أيضاً كان فى أجازته السنوية وسيأتي بعد ثمانية عشر يوم ، وعرض علي أن أبيت معه هذه المدة حتي أدبر أموري ، إما أن أجد عملاً هنا في دبي أو أبحث فى أي إمارة أخرى ، ولكن كان من الصعب بل المستحيل أن أعود إلي كينيا أجز أزيال الخيبة ، بعدما تداينت من أجل هذه الزيارة ، واستطرد وقد ألقى بجسده علي السرير وهو ينظر إلى سقف الغرفة كأنه يحادث نفسه ، يُفرغ ما بداخله من شجون:

- أنا لم أكن أحب فكرة السفر ولا أهوى الاغتراب عكس أخي الأكبر ، الذى وافته فرسه السفر لأمريكا بحصوله علي الجرين كارد ، وهو الآن فى أمريكا ولم يمر عليه

ثلاث شهور هناك حتى تزوج فتاة أمريكية من أصول كينية ، كنت ضده طوال الوقت فى فكرة العيش فى بلد مثل أمريكا ، إنها بلد كبير ومخيف ، أراها دائماً كآلة كبيرة تُسخر كل من يدخلها ليُصبح ترس فيها ، مجرد رقم ، وأنا طوال عمري أكره أن أكون ترس أو أن أكون رقم وكان من الطبيعى أن أسأله :لماذا جئت إلى هنا ، إلى دى ؟

فالتفت إلي بكل وجهه وقال كأنما يستعيد ذكرياته:
-سبق أن قلت لك أنني أكره فكرة السفر والاغتراب عن كينيا ورغم كل الظروف القاسية ، ولك أن تعرف أن أول ليلة لي هنا بل منذ لحظة هبوط الطائرة فى دى، وأنا أشعر بأنني أفقد كل الأشياء الجميلة فى حياتي ، أفقد تاريخي ،كل تاريخي ، الشارع والبلدة والمحال الصغير الذى كنت أعمل به ، زوجتي ، طفلي الصغير ، الأصدقاء الطيبون ، أفقد كينيا بكل ما فيها حلوها ومرها ، فهي كل هؤلاء ، وهي التاريخ لهذا الإنسان الذى يُحدثك الآن ، وبكيت هذا الافتقاد ، انزويت فى أحد أركان المطار وبكيت وأنا لا أصدق أنني أصبحت فى قارة أخرى غير أفريقيا وبلد آخر غير كينيا ، ولكن ما كان يوقف جماح عواطفني أنني لا أريد أكثر من عامين لأشتري تاكسي مُستعمل ،وأفعل فى منزل آخر أكثر أدمية ، واستطرد بإنجليزيتة - Nothing to be got without pains :
وعدت أسأله كأنني وجدت قصة لا أريد أن أتركها إلا إذا انتهيت منها:

-ولماذا استأجرت هذه الغرفة ولم يزل هناك وقت متبقي من الثمانية عشر يوماً ، هل اختلفت مع قريبك ؟ فأجاب

بالنفي: -أبدًا ، إننا هنا نتعامل كأهل بل إنه هو الذى بحث لي عن الغرفة ودفع مبلغ الإيجار ، لكن كل ما هنالك أن الصديق الذى كان يشاركه الغرفة جاء من إجازته قبل موعده بأسبوع والغرفة ضيقة لا تسع أكثر من أربع ، وكان من اللياقة أن أترك الغرفة ، وطلبت منه أن يبحث لي عن غرفة ولو بالمشاركة أبيت فيها هذه الفترة حتى أستطيع أن أبحث عن عمل آخر ، وبالأمس عندما سألتك عن بر دبي لأنه كما قيل لي أن بها كثير من محلات الإلكترونيات وبيع الأدوات الكهربائية وهذه المهنة تخصصي ،ولي خبرة بها سنوات من العمل قى بلدي ، ولكن لم يسفر البحث عن نتيجة ، الكل لا يريد أحدًا ، والوقت يمر دون جدوى ، سأذهب غدًا لإمارة أخرى ،لشارقة أو عجمان أو أبو ظبي ، فقلت له أقرب وسيلة أن تستقل من محطة الاتحاد حافلة مباشرة إلي الشارقة ،فهي الأقرب وإذا قررت الذهاب إلى أبو ظبي فقد أجي معك ، فهناك الفرص ربما ضيقة ولكن أفضل ولتكن محاولة، فأنا أيضًا كنت أنتظر فرصة مثلك فى أحد الفنادق ولكن دون جدوى ، التقطها منى هندی فهم هنا يحبون أيضًا الهنود ، ومرت أيام قليلة ، كان يخرج فى الصباح ولا يأتي إلا فى المساء ، ثم نجلس نتحدث حتى آخر الليل فى أشياء كثيرة عنه وعني .إلي أن جاء يوما وفرحة كبيرة تملأ وجهه ، وكانت المرة الأولى التي أري فيها وجهه يبتسم ابتسامة بعيدة عن ابتسامة اليأس ، التى كان يقطع بها الحزن المستقر بملامحه دوماً ، وقال فى سعادة ظاهرة:

No sweet without sweat -

فقلت له مستبشراً : خيراً يا جيمي .

فقال ووجهه لازال يتلألأ بالسعادة :

- بعد البحث الطويل وجدت أخيراً عمل فى أحد متاجر الإلكترونيات ووقعت العقد براتب ٢٥٠٠ درهم ، وهنأت جيمي وأنا فرحاً لفرحته ، فرحة صادقة يشوبها شيء من الحزن لوداع صديق سيرحل لمدينة أخرى ، إنه سيذهب من الغد إلى عجمان لإستلام عمله الجديد وستبقى هذه الأيام القليلة التى عرفته فيها ذكرى جميلة فى بلد غريب، جمعتنى به غرفة مشتركة بأحد بنايات منطقة الخوانيج . ومرت أيام كثيرة ، تركت هذه الغرفة والتحت بالعمل بأحد الفنادق ، وظل كلينا يتتبع الآخر إما بالهاتف وإما بالمرات التى يأتى فيها من عجمان؛ لزيارة صديقه وزيارتي فنخرج نقضى أوقات لطيفة مابين المطاعم المتفرقة ، والكازينوهات المخصصة للأفارقة هنا أو يدعوني إلى غرفة صديقه للسهر ، ولتناول الأوغالي أشهر أكلات كينيا ، ظلت صداقتنا خيوطها ممتدة قوامها الاغتراب والأحلام البسيطة التى حدثني عنها والتي بدا يحققها شيئاً فشيئاً ، وكما قال لي فى آخر محادثة هاتفية بيننا بالأمس ، أنه علي وشك العودة إلى الوطن ، إلى كينيا ، لقد مر عليه أكثر من عام ونصف وجمع ثمن التاكسي المستعمل الذى يحلم بأن يشتريه، وما تبقى له هنا شهور قليلة كافية بأن يجمع مبلغاً آخر يستطيع أن يبذل به منزله القديم بأخر آدمى على حد قوله .

"تمت"

ربيع فى الخريف

لاح فى الأفق صمت رهيب أعقبه ذهول عارم وحزن نافذ إلى الأعماق الكونية ، تبادلنا النظرات فى هلع ، صرخنا فى وجهه ، حركناه فى قسوة عله يفيق ، سكبنا فوق رأسه الماء ، لاجدوى ، انقلب الشك يقين ، تفرقت الأعين بالدموع ، عدنا للصراخ ، انشقت الحناجر ، وانطلقت الأفواه بجملته واحدة ، وكأن بيننا اتفاق مزعم عليها ، أي عقل هذا ، أي عقل هذا يصدق ، ذهب ربيع بلا عودة . هذا الساخر العظيم تُسدل ستار الحياة عنه بهذه الطريقة الساخرة ، سبحان من له الدوام ، منذ لحظات كان يلعب النرد صارخاً للنادل عن تأخر قهوته ، ضاحكاً في سخريته المعهودة على خسارة منافسه في اللعب أعقبها ببعض الكلمات التي تُلمح بتفوقه الملحوظ في اللعبة ، ثم عاد الصراخ للنادل عن تأخر قهوته ، بعدها ألقى نكته فاحشة كعادته ، وضحك كما لم يضحك من قبل إلى أن تبدلت ضحكته لسعال متواصل ، وانقطع بعدها في صمت مع النفس ، وتذكر القهوة فصرخ في النادل صرخته الثالثة والأخيرة : القهوة يا حيوان ، وقال لنا في سخط:

- أن لنا أن نغير هذا المقهى العتيق بأخر راقي ، مارأيكم بمقهى الجزيرة ؟ إنه أرقى بلاشك ، ونادله أسرع في تلبية طلبات الزبائن بدلاً من هذا الحمار ، وتذكر أن القهوة لم تأت بعد ، فالتفت مرة أخرى للنادل وحاول أن يصرخ ، لكنه سكت ، وقعت الواقعة ، ذهب ربيع بلا عودة ،

أصبح نسيًا منسيًا ، وها نحن رفقاء عمره وصحبته حتى في لحظاته الاخيرة ، نجلس الآن بدونه ، ينهال علينا صراخ أحبابه ، نسمع آيات الرحمة والغفران عليه ، نصافح من جاء لأداء الواجب ، وبين أنفسنا نبكى في صمت ودهشة ، هكذا الدنيا . هذا الذى كان معنا بالأمس ، يلعب النرد ويصرخ للنادل ويلقى نكتة فاحشة، فيضحك كما لم يضحك من قبل ، هذا الذى كان أكثرنا سخرية وإقبالاً على الحياة بكل متعها ، ضاحكاً حتى في أحلك الظروف ، سكير لا تفارق الكأس يده ، ساحر نساء ، قدرة فائقة في جذبهن إليه طالما حسدناك عليها يا ربيع ، لا يعرف البكاء لك طريق ، عبثت بالحياة طويلاً وعرضاً ، مغامر كبير ومراهن حتى وإن كان على حساب عمرك ، نرشدك للصواب خوفاً عليك وحباً حقيقياً لشخصك ، فتضحك ضحكتك الشهيرة المججلة ، وتقول هازناً:

- الحياة لا تؤخذ إلا هكذا ، ولست مثلكم يا عواجيز :
هكذا رذك دائماً مع إنك تقاربنا في العمر ، لم تكن إلا ضحكة كبيرة تمشي على قدمين ، ضحكة تنطلق ضاربة بعرض الحائط كل قوانين الحياة ، في وقت الحزن تضحك ، ووقت الضحك تسخر ، لا تدمع عيناك أبداً حتى في المواقف الجلل .. غير مبالي بالأحزان ، سهير كبير ، عربيد كبير ، اتفقنا كلنا إنك ستحيا حتى أرزل العمر من كل هذا الضحك ، وهذه السخرية وهذه العريضة وهذه اللامبالاه ، كم سردت علينا مغامراتك من النساء حتى كدنا نشعر أنك مخادع كبير ، وما أحاكيك إلا وهم من نسج خيالك المشر ، حتى جئت لنا بالبرهان والرؤية التى اقتلعت الشكوك من جذورها ، حسناء في عمر الربيع ،

فاتنة بمعنى الكلمة ، وقد تشابكت يدك في يدها في صورة العاشقين ، على الرغم من أنك تكبرها بربع قرن ، قلت لنا فيما بعد أنك تعرفت عليها في ندوة ثقافية ، وأقنعتها أنك ناشر ولعلك تفكر في نشر ديوانها الشعري ، عندما أيقنت أن لديها موهبة فذة في كتابة الشعر ، قد تجعل الناس تعود لقراءة الشعر من جديد ، وصدقتك المسكينة آملة في فرصة حقيقية للنشر ، وأصبحت تروح وتجيء معها وتصحبها للسينما ، وترافقها في الندوات التي تحضرها شهور كاملة ، حتى إنكشف أمرك وعرفت أنك كاذب كبير ولا ناشر ولا يحزنون . أخبرتنا بعد ذلك أنها صفعتك عندما عرفت حقيقة أمرك أمام الناس ، وضحكت ساخرًا وأنت تقول : تهون الصفعة أمام الجمال والفتنة يا غجر ، يكفي أننا اجتازنا معا حدود السعادة ، وحلقنا في الفضاء اللا محدود ولو لأسبوع ، ولو لأيام ، ولو لساعات ، فلست أنا الذي يهتم بالأبد يا غجر . وانفجرت ضحكًا كعادتك ، ضحكنا كثيرًا ياربيع وتعاركنا كثيرًا واختلفنا كثيرًا واتفقنا كثيرًا ، وحلمنا بالمستقبل والأيام القادمة كثيرًا ، ولم يمنع هذا الجنون فيك من الظهور بمواقف جريئة ووطنية تُحسب في تاريخك ، كنت أكثرنا حبا للوطن وأكثرنا ثورة ، أي نعم كنت ثائرًا خطيرًا ، أتذكر في شبابك هذا اليوم عندما قلت والثورة تسيطر عليك .

- لقد فسد النظام وطغى الحاكم وتجبر علينا بردعه ، وأن للثورات الفردية أن تُغير مجرى التاريخ ، وحتى يتغير قد نحتاج لنزق الثوار وأحيانًا نزق الأطفال ، وعقدت حاجبيك لإضفاء ملمح جاد على شخصيتك التي نعرفها جيدًا ، حينما صرخت " وأنا لها " ، وحملت

سلاح وعقدت العزم على قتل أحد رؤوس الفساد ، وكدت تفعلها بلا اكتراث بالعواقب لولا أن منعناك في آخر لحظة ياربيع ، حتى زوجتك وأم بناتك لم تسلم من جنونك ، تزوجت عليها خمس مرات ، وعندما نرشدك للصواب في كل زيجة ، تقول جملتك المشهورة " :الحياة لا تؤخذ إلا هكذا " ، وتضيف الإنسان يعيش مرة واحدة ، ومن حقه أن ينهل من الجمال بكل صورته مدام الجيب عامر ، فنقول لك في محاولة نعلم مسبقاً أن لا جدوى منها :

• أن لزوجتك عليك حق ياربيع ، لاتنسى ذلك .

فتقول وبين شفتيك ابتسامة سخرية:

• لا تنسوا مع كل هذا أنني أوفى الأزواج ، ولكن في

حدود المتاح طبعاً من العقل ، عقلي أنا، ونقول في

يأس من عدم اقناعك:

- أنت تعبت ببيتك واستقرار عائلتك يا ربيع .

فتقول متمللاً:

• اسمعوا ، لاجدوى من مناقشة عقيمة لا تسفر إلا

عن وجع الدماغ ، قلتم ما قلتم ، وسأفعل ما أفعل ،

انتهى.

ونلقى آخر ما في جعبتنا قائلين:

• أنت في ضلال مبين ياربيع وفي كل الأحوال

ستندم ، فلا تنساق وراء النساء هكذا كما تنساق

الإبل والماشية.

فتقول وأنت تتظاهر بالغضب:

• وصلت إلى حد الإبل والماشية يا عجر .

ثم تتظاهر بالغضب الشديد في أداء مسرحي مضحك، وتتركنا ذاهبًا ولا تعود إلا بعد شهر وأنت تضحك قائلاً :

. طلقتها يا عجر.

وبدهشة نسأل:

. لم؟ لم يمر سوى شهر !

. أخذت منها ما أريد وأعطيتها ما تريد ، فلماذا

الاسترسال ثم إنها مجنونة ، مجنونة رقص ،

أرهقتني رقصًا وسهر ، إنها تريد جين كيللي

وليس زوج.

. ركبت رأسك وفعلت ماتريد يارببيع وها هي

النتيجة.

. النتيجة رائعة يا عواجيز ، ولم أندم كما تحسبون

، كفاكم حسد.

. نحن نشفق عليك وعلى زوجتك وبناتك من

جنونك.

. لا أريد منكم شفقة ، ثم من ذا الذى يستطيع أن

يقاوم إغراء لا يُقاوم ، إنه الجنون نفسه ، وما

عهدتموني مجنونًا.

. أبدًا يا ربيع ، فأنت سيد العقلاء .

وضحكنا كلنا بما فيهم أنت ، ضحكة كبيرة ونسينا الأمر

إلى أن فوجئنا في يوم آخر ، أنك على وشك قصة حب

جديدة مع فنانة مشهورة ، لم نصدق وحسبنا الأمر مجرد

مزاح من صديق مجنون ، ولكنه لم يكن مزاح عندما علمنا

أنك ستتدخل في زمرة منتجى السينما ، لا لأنك من محبى

الفن ، ولكن من أجل سلمى توفيق الفنانة زائفة الصيت ،

حتى إنك بعث باقي إرثك من الأرض التي تملكها كي تقترب من سلمى، وثقت بها بأنك رجل أعمال و ثري خطير تريد اقتحام مجال السينما ، وصدقتك الضحية الجديدة ، وأنتجت الفيلم ودعوتنا ليلة الافتتاح ، وفي نفس الليلة أعلنت خطبتك عليها وتزوجتها بعد أسبوع واحد ، وهي مقتنعة بأنك رجل أعمال و ثري خطير ، وبعد ثلاث أيام فقط اكتشفت الفنانة حقيقتك ، وأقسمت أنها ستقتلك إن لم تُطلقها ، وطلقتها ، وخسرت قطعة الأرض المتبقية من إرثك وخسر الفيلم أيضا ، ولم تكسب سوى ثلاث أيام زواج من الفنانة المشهورة . وانهال عليك النقد بقسوة من عائلتك وعائلة زوجتك ، حتى أن زوجتك طلبت الطلاق بإصرار بعد علمها أنك ضيعت آخر ما تملك من إرثك ببيع قطعة الأرض ، والتي كانت المستقبل والأمان لبناتك ، واستطعنا بالتعاون مع عائلتها بأن نجعلها تتخلى عن فكرة الطلاق من أجل البنات ، ومع كل هذه الأحداث لم نر منك ندمًا أو ثمة حزن ظاهر على صفحة وجهك ، بل جلست معنا يومها وأن تقول في مرج :

- أظنوني نادم على ضياع الأرض ، هيهات ، إن ثلاث أيام فقط مع هذه الأنثى المشهورة لا تُقدر بأراضي الدنيا كلها يا مغفلين ، يكفيني قبلة واحدة من شفاه سلمى حتى أبيع الأرض والسيارة وفوقهم المنزل ، وإن كان على الفيلم أشاهده وحدي ، ويبقى أن انضمت الفنانة المشهورة لقائمة زيجاتي ، حتى ولو كان لثلاث أيام ، أليس هذا في حد ذاته مدعاة للفخر يا صحبة الغم ! ها ها ها.

كنت مجنونًا ورزينًا ، مخرفًا وحكيماً ، عاشقًا للحياة ليس له نظير ، ابن خمر ونساء وعربدة ، ومن كبار رواد

الحنات ، ونزيل معظم بيوت البغاء ، ومع ذلك أدبت
فريضة الحج خمس مرات ، ومع ذلك لا أحد ينكر عطفك
على الفقراء ، حتى أنك اشتريت يوماً منزل جديد على
نفقتك لعائلة انهار منزلها ، وفقدوا على أثره عائلهم الوحيد
، بل وخصصت لهم راتب شهري من جيبك ، ومع ذلك
موقفك العظيم أثناء الحرب ، كنت أول من تقدم وتطوع
لدى الجيش بالرغم من أنه لم يمض سوى شهر واحد على
زواجك من أم بناتك ، قلت يومها :
- لو تخلينا عن البلد وهى مهزومة ، إذن فلا نستحق أن
نحمل جنسيتها أو ندوس على ترابها ، لك مواقف عظيمة
يأربيع مع كل هذا التناقض فيك ، سخرية وجد ، تدين
وانحلال ، إحساس بالآخر وأنانية ، باختصار كنت الدنيا
يأربيع بكل مافيهها ، جنونها وعقلها ، قسوتها وعطفها ،
ظلمها وعدلها ، ربيعها وخريفها .

"تمت"

ابتسامة فوق شفاه ساخنة ..

آمنت به إيمان مطلق ، إلى الحد الذى جعل منه كل طموحها ، تحلم له ، تفكر له ، تعيش كل وقتها له ، حتى جسدها جعلته ملك خالص له ، ولم يكن زوجها ، كان كل ما بينهم جيرة ووعد بالخطبة ووعد بالزواج وقصة حب بدأت منذ أن كانت طفلة ، وكانت هذه الجيرة وهذه الوعود وقصة الحب تكفى عندها؛ لتحل محل دفتر المأذون وعقد الزواج والشهود ، تكفى لتمنحه جسدها ليكون ملك خالص له ، وآمنت به هذا الإيمان ، واعتنقت مبادئه وأفكاره الثورية ، وأحياناً المضادة لنواميس المجتمع ، وأصبحت أقواله فى حكم المأثورات بالنسبة لها ، وقال لها يوماً وهم يسيروا معاً:

- فى عهد المصالح الذاتية والرشاوي يا ندى ، لابد أن نبحث عن أنفسنا فقط ، إن هذا الوطن الذى يُعلن كراهيته لأمریکا ويفرض علينا هذه الكراهية ، هو نفسه الذى يتعامل معها ويقبل معوناتى السنوية ، ويرضى لحاكمه أن يلتقط الصور التذكارية وهو يبتسم ابتسامة سلام مع الحاكم الأمريكى ، أليست هذه خيانة عظيمة تستحق الإعدام ! فلا وطن ولا مواطنة على هذه الأرض . وتصدقه ندى وتعلن معه كراهيتها للوطن ، ويوم آخر وكانوا جالسين فوق سطح المنزل قال:

- لا أعزاء يا ندى للمتقنين وأصحاب الفكر فى هذا البلد ، يكفي أن أكون لاعب كرة أو مطرب تافه أردد كلمتين هائيليين فى الحب ، وسأجد بعدها من يعلق صور لي فى

غرفة نومه ويقف بجواري فى الأزمان صائحا كلنا
بنحبك ، ولا ينقص إلا أن يسجد لي .إنها بلد الجهل
والجهله ، وتصدقه ندى وتعلن تمردھا على سماع
الأغانى وتبدأ تقرأ ، ويوم آخر قال فى لغه الثوار :إن
التعليم أن تتعلمى ما تريده ويوافق أسلوب تفكيرك بأى
طريقة حتى وإن كانت بعيدة عن النطاق الجامعي ، ثم إن
الجامعة لا تزفر بالمتقفين والأدهى ما يحدث بها الآن من
شراء رسائل الماجستير والدكتوراة لمن فى قدرته أن يدفع
، وأحيانا كثيرة يكون فيها المتلقى أكثر عبقرية من ملقنه ،
انظرى لشكسبير والعقاد وأديسون وجاليليو، هل علمهم
أحد ؟ إن كمثل هؤلاء لا ينتظرون من الجامعات أن
تمنحهم شهادة فى العبقرية ، أبداً ، إنهم ولدوا بها ،
وتصدقه ندى وتهمل فى حضور المحاضرات ، إنها
مؤمنة به إيمان شديد ، مؤمنة بكل ما يقوله ويفعله ، وقد
عاشت عمرها فى حضن هذا الإيمان ، تراه كنصف إله ،
تراه شيء ضخم ، ثقافته الواسعة في شتى المجالات ،
بجانب كونه وسيم ورياضي ، كانت ترى الدنيا كلها فى
الحي الذى تعيشه؛ ولأن خالد أفضل ما في الحي ، فهو
أفضل ما في الدنيا ، لا بل هو كل الدنيا .أصبحت ترى
الدنيا بعيونه ، وتسمعها من خلال كلامه ، تحبها كلما
أحبها خالد ، وتكرهها كلما كرهها خالد ، حتى أن حالته
النفسية تنعكس تلقائيا على نفسها ، اليوم خالد مكتئب ،
فتصبح مكتئبة بلا مبرر سوى أن خالد اليوم مكتئب ،
واليوم خالد سعيد ، فتصبح سعيدة بلا مبرر سوى أن خالد
اليوم سعيد ، هكذا عاشت بأفكاره ومعتقداته وحالاته
النفسية وأمزجته ، وعاش هو معها فى عقلها وتحت

جلدها، وفى الجامعه ، وفى البيت ، وتحت وسادتها ، وفى خيالها ، إنها ملكه ملكية خالصة ، وهى مقتنعة تماما إنها ملكة ، وهى الآن تتذكر كثيرا هذا اليوم ، اليوم الذى أعطته فيه جسدها لأول مرة ، أعطته وهى مقتنعة وقتها أنه ملكه ، وإن من حقه أن ينتفع بملكيتها ، أن يأخذ هذا الجسد ، يأخذه كله . كانت فى التاسعة عشر ، طالبة فى السنة الأولى بكلية العلوم ، كانت يومها واقفة فى شرفة منزلها تقرأ كتاب ، وكان نافذة غرفته بجوار شرفة منزلها ، ودعاها تأتى تشاهد معه شريط الخطبة التى ألقاها فى الحفل الذى أقامه اتحاد الطلبة يحفز بها طلاب الجامعة على اقتحام النشاط السياسي ، والذهاب لصناديق الاقتراع فى الانتخابات الرئاسية ، وكان إلقاء الخطبة تكليف من رئيس الجامعة شخصيا له لما يعرفه عنه من لغته الخطابية الثورية، والتى كان يقلد فيها دائما طريقة الزعماء فى إلقاء الخطب ، وأيضا لنشاطه الملحوظ وبزوغ اسمه بين اتحاد الطلبة ، وكان الحفل مصورا بكاميرا الفيديو ، ولم يكن أحد معه فى البيت ، كانت العائلة كلها مسافرة لحضور زفاف أحد الأقارب فى مدينة أخرى ، وجاءت متشوقة لترى حبيبها كيف يلقي خطبة بين الطلبة ، وقالت لأُمها أنها ذاهبة لصديقتها تأخذ كشكول محاضرات مادة لم تستطع كتابتها كاملة؛ بسبب سرعة إلقاء أستاذ المادة أثناء المحاضرة ، وصدقها الأم ، وخرجت من البيت ، ووقفت فى منتصف الشارع وهى تنتظر لنافذة بيتها تطمئن أنه لا يوجد أحد ينظر عليها ولا يجدها خرجت من البيت ، ولم تجد أحد ، وبسرعة عادت للبيت مرة أخرى وصعدت إلى شقة خالد ، واستقبلها بقبلة

على خدها بعدما أغلق باب الشقة ، وكان من عادته أن يسلم عليها بقبلة على خدها ، ولا يكتفى بسلام اليد كلما كانا وحدهم ، وجلسا الأثنين أمام التلفاز وهى تشاهده مبهورة ، وهو يخطب بحماس ويصفق له جموع الطلبة ، وكان ينظر لها أكثر ما كان ينظر لنفسه على شاشة التلفاز ، وقال فى بساطته المعهودة معها ويده فوق يدها:

- كل الناس يا ندى محتاجة الآن لمن يثير فيهم روح التغيير ، تغيير الأفكار القديمة ، الأفكار البالية التى عاشوا فيها قرون ، وغرقوا فيها ويريدوا إغراق الأجيال القادمة فيها ، هذا ظلم .

وقالت وهى تحت تأثير الإنبهار من أدائه وهو يلقي الخطبة على الطلبة ، وكأنه روبسبير يلقي خطاب عظيم :
- فعلاً ، كلامك صحيح ، الناس يجب أن تتغير .
وقال بأسلوب خطابي:

- كل شيء محتاج تغيير شامل فى السياسة والفن والرياضة والأخلاق والعلاقات الإجتماعية ، حتى الأعراف التى لا يريد أحد التنازل عنها أن لها للتغيير ، انظرى لأوروبا ياندى كيف أصبحت بسبب التغيير !
وقالت وهى تنتظر له كتلميذة مبهورة بأستاذها:

- اعتقد أن الناس لديها رغبة حقيقية فى التغيير ، وهذا الجيل بالفعل متغير تمامًا عن الجيل الماضى .
وقال وهو يقترب منها أكثر حتى كاد يلتصق بها:

- هذا التغيير الذى تعنيه يسير بسرعة السلفحة يا ندى ، مثلاً نحن نضع الحب فى قالب غريب وشكل معين فى طريقة الزواج ، إنه لا يتم ولا يعترف به المجتمع هنا إلا بفضيحة ، لابد أن يأتى بشاهدين يشهدوا أن هناك اثنين

أحبوا بعض ، ثم بعد ذلك يأتي دور المأذون ويأمر الحبيبين بالجملة الشهيرة (:زوجتك نفسي على الصداق المسمى بيننا ، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان) ، وضعوها فى قفص فى حديقة الحيوانات ، وقد جاء الناس لتشاهدهم وتحملق فيهم ثم تصفق تمامًا كالمجانين ، إنها فضيحة بكل المقاييس ، ثم إن الحب كالسر لا بد أن لا يخرج عن اثنين ، وإلا لن يصبح سر ولن يصبح حب ، يصبح فضيحة ، جمال الحب يا ندى أن يبقى بين الاثنين لا يخرج عنهما ، إنه سرهما وحدهم ، لا حق لثالث أن يدخل بينهم ويعرفه .

وندى تسمع كلامه فى صمت ، إنها لاتعرف ماذا تقول ، ولاتستطيع أن تجاريه فى حديثه ، وهي طوال عمرها تحس أن شخصيتها تضيع أمامه ، تحس أن ليس لها شخصية وهي معه ، إنه يستحوذ عليها تمامًا ، على شخصيتها وعقلها ، على تفكيرها وعواطفها ، بل وصل الاستحواذ به أن يتحكم فى خط سيرها ، أن يأخذ نسخة من جدول محاضراتها حتى يعرف متى تعود للبيت ومتى تكون فى المحاضرات، ومتى تكون فى كافيتيريا الكلية تنتظر بدء محاضرة جديدة .

وفجأة تكلمت وكأنها وجدت ما تقوله :

- كل الناس يا خالد من مئات السنين على هذا الحال ، وهذه الطقوس صعب تغييرها ، بل مستحيل ، ثم أوروبا نفسها تستخدم طقوس زواج شبيهة بطقوسنا .

وقال وهو يضع يده على كتفها فى حنان :

- أنا معك أن أوروبا تستخدم نفس الطقوس تقريبًا ، ولكن ليس قاعدة عندها وليس حتميًا وليس محظورًا ما غير ذلك

كما عندنا هنا ، أنا متأكد أن رياح التغيير قوية وهى قادمة
لأشك ، قادمة لتقتلع كل الجذور القديمة المتأصلة من مئات
السنين فى نفوس الناس ، والأرض الآن صالحة لبذور
جديدة، بذور التغيير ، فقط انظري للأجيال الجديدة ، بدأ
تفكيرهم يأخذ شكل التفكير الأوروبي والعقلية الأوروبية ،
العقلية التى لا تكثرث بطقوس أكل عليها الدهر وشرب .
ثم ساد صمت بينهم ، التفت بعدها لها ينظر لها فى حب ،
ثم قبل يدها وخدها ، وحاولت أن تقول شيء ، أي شيء ،
لكنها سكنت ، إنها لا تعرف ماذا تقول ، ثم حول شفثيه
إلى شفثيها وطاف حولهما فى قبلاات قصيرة ، وانقض
عليهم فى قبلة طويلة وهو يضغط بيده على كتفيها بقسوة
فصرخت من فرط القسوة:
- آه .. ماهذا يا خالد ؟

وهمس:

- إنه الحب ياندى ، إنه السر الذى لا يخرج عن اثنين .
وتمادى فى الضغط ، وهى مستسلمة ، إنها لاتعرف ماذا
تقول ، وأحست أن درجة حراراتها ارتفعت كثيراً ،
أحست أن كل ما فيها ساخن كالنار ، وجهها ، شفثيها ،
أنفها ، يديها ، ساقها ، جسدها ..كلها ، كلها أصبحت
قطعة من النار ، وتعرت طالبة كلية العلوم ،
وهى مستسلمة ،
إنها لاتعرف ماذا تقول ،
وفجأة بكت.

إنها لم تعد عذراء ، لم تعد فتاة شريفة ومقياس شرف
الفتاة عند المجتمع هو العذرية ، وهى لم تعد عذراء ،
واحتضنها خالد فى حب وهو يقول :

- إطمئنى يا ندى ، أنتى زوجتى بينى وبينك وبين الله ،
حتى يصبح حبنا حب عميق ، حب قوي حتى لا يصبح
حباً اعتيادياً ، حتى يصبح السر الذى لا يخرج عن اثنين ،
أنتى زوجتى ، وكفى أن اعترفت لك بهذا .

وقالت من بين بكائها :

- لا يكفى اعترافك لي أنا ، الأهم اعترافك للناس ،
اعتراف بأنك زوجي ، يعني شهود ومأذون وناس ، إننا
لازلنا بين الناس يا خالد .

وقال كأنه يصرخ :

- ماذا كنا نقول منذ نصف ساعة فقط يا ندى ، إن الحب
كالسر لا يجب أن يخرج عن اثنين حتى لا يصبح فضيحة .
وسكتت ، إنها لاتعرف ماذا تقول ، وقال وهو يربت
على كتفها فى حنان :

- أترضى يا ندى لحبنا أن يكون مفضوحاً .

وقالت وهى تنظر له تحاول أن تكتشفه من جديد :

- لكن ما حدث هو فضيحة لي أنا .

وقام يرتدى ملابسه وهو يقول :

- لن تكون هناك فضيحة مدام سنتزوج .

وقالت مستسلمة :

- متى ؟

وبلا اكتراث قال :

- بعد التخرج طبعاً -وكان كاذب -

ومنذ هذا اليوم اعتادت على أن تعطيه جسدها كلما طلب ،
تعطيه وهى مقتنعة تماماً أنها ملكه ، وله كل الحق أن
ينتفع بملكيتة وقتما شاء ، وعلمها أن تأخذ قبل كل لقاء
حبوب منع الحمل حتى يصبح حبهما كالسر الذى لا يخرج

عن اثنين ، حتى لا يصبح حبًا اعتياديًا ، وهى مستسلمة ، إنها لاتعرف ماذا تقول ، وتخرج من كلية العلوم السياسية ، ولم يتقدم ، وعمل ملحق تجارى ، ولم يتقدم ، وطالبته أن يفي بوعده ، فقال فى كسل وهو يقبل وجهها وعنقها . - قريبًا ، انتظرى فقط حتى تستقر الأمور فى العمل ، لاتنسى أنني فى بادئ الطريق ويستلزم أن أجمع نفقات الزواج ، أمهلينى عام ، فقط عام ، واطمئنى . وتطمئن ندى وتسكت ، وقبل انتهاء العام عرفت أن عمله يتطلب أن يسافر إلى هولندا ، وسافر وهو يطمئنها أنه سيعود فى أول أجازة ويتقدم لها ، ومكث ثلاث سنوات هناك ، وعاد بعدها ولم يتقدم ، ثم سافر مرة أخرى ولكن للنمسا ، وقال لها أنه سيعود لشراء شقة فاخرة تكون عيش الزوجية وسيارة ، وحتى يحدث هذا ، يجب أن نتحمل هذا السفر ، ويربت على كتفيها وهو يقول فى حنان . فات الكثير ولم يبقى سوى القليل ، ندى اطمئنى ، وتطمئن ، وسافر للنمسا ، ولم يعد ، إن له أكثر من عشر سنوات هناك ، وعلمت أنه قدم استقالته من وزارة الخارجية وتزوج من سيده ثرية تكبره فى السن وتفرغ لإدارة أعمالها ، وهى ، ندى . إنها الآن فى الثامنة والثلاثين ، ولم تتزوج ، تخرجت من كلية العلوم بتفوق وحصلت على الماجستير ثم الدكتوراة فى الكيمياء ، وهى الآن أستاذ مساعد مادة الكيمياء فى كلية العلوم ، أصبحت امرأة ناضجة ، لم تعد الفتاة المستسلمة التى لا تعرف ماذا تقول ، ولكنها لم تتزوج ، ولا أحد يعرف السبب ، إنها تقول أنها تفرغت للعلم والأبحاث والتدريس ، وكرست حياتها للكيمياء ، وتضحك مع أمها عندما تلح عليها فى الزواج وتقول:

- يا ماما أنا تزوجت الكيمياء .
وتنظر لها الأم فى إشفاق ثم تتنهد وتسكت ، وحدث يوماً
وهى تغادر قاعة المحاضرات بكلية العلوم أن رأّت تجمع
أشبه بمظاهرة فى فناء الجامعة ، وسألّت إحدى الطالبات ،
فقالّت إنها مظاهرة سلمية ينظمها اتحاد الطلبة ضد
الهجوم الأمريكى على العراق وأمين اتحاد الطلبة يخطب
فيهم ، واقتربت من التجمع ، اقتربت كثيراً حتى أصبحت
بينهم ، ولم تكن من هواة مشاهدة اجتماعات اتحاد الطلبة ،
أو لها أى نشاط آخر فى الجامعة سوى التدريس ، ولكنها
أحست أنها تريد أن ترى كيف يخطب فيهم أمين اتحاد
الطلبة ، ورأته يخطب بحماس ويصفق له جموع الطلبة ،
ولا تعرف لماذا أحست وقتها أن درجة حرارتها ارتفعت
كثيراً ، أحست أن كل ما فيها ساخن كالنار ، وجهها ،
شفتيها ، أنفها ، يديها ، ساقها ، جسدها .. كلها ، كلها
أصبحت قطعة من النار ، ولاحظت من بين الجموع أن
واحدة من الفتيات لا ترفع عينيها عن أمين اتحاد الطلبة ،
وتنظر له مبهورة بما يقول ، وابتسمت ابتسامة عريضة
عندما رأّت هذه الفتاة وهى مبهورة بحماس أمين إتحاد
الطلبة وهو يلقي الخطبة ، وكأنها تطمئن بهذه الابتسامة
على نفسها ، إنها تعرف جيداً هذا النوع من الفتيات .

"تمت"

وكان لصاً

انقضت الغُمة وعاد عباس يتنفس هواء الحرية من جديد وقال فى أعماق نفسه ، الحياة من غير حرية موت ، تنحرق السجون أو تذهب إلى الجحيم بدون رجعة ، وأقسم فى نفسه أن لا يعود للسجن مرة أخرى ، وأخذته قدماه إلى طريق طويل ، حيث وقف بغتة يسائل النفس ، من أين ستأكل يا عباس ، وكيف لك شراء ثياب جديدة بدلاً من هذه البالية ؟ وشراب الخمر ، كم أشتاق لهذا الشراب اللعين من يوم فارقتَه إلى السجن ، وكم الشوق للنعمة صباية ، تلك الساقطة اللعوب ، صاحبة الأحضان الدافئة الزائفة ، والتي لم تعرف الحب عمرها ، وندت عنه ضحكة ساخرة عندما تذكرها . إن كل ما يربطها به ورقة ماليه ، تصبح بعدها بين يديه كجارية بعثت من ظلمات التاريخ ، ترقص وتترنح وتتدلل وتهبه ما يشاء منها كأنها عاشقة متيمة بفحولته ، إلى أن تنتهي مفعول الورقة المالية ، تعود وكأنها لم تعرفه قبل ذلك ، وكأنها لم ترقص أو تترنح أو تتدلل عليه قبل ذلك ، ملعونة تلك النعمة ، ولكن لا غنى عنها ، فالحياة بقسوتها تحتاج لكثير من هذه النعمة ، ولكن كل هذا يحتاج لمال ، مال كثير ، الثياب والخمر اللعين والنعمة ، أنتسول وأنت لا تتقن حرفة فى هذا العالم الأغبر سوى السرقة ، يا أظاف الله ، وسار فى طريقه ضارباً كفاً بكف وهو يلعن حظه فى الدنيا ، ويلعن معه الظروف ويلعن أبوه . هذا الأب والمفترض أن يكون قدوة حسنة لابنه الوحيد، إنه السبب فيما هو فيه الآن ، لقد

كان مثله ، لصًا وأورثه مهنة اللصوصية ، ورفض أن يلحقه بالمدرسة ، رفض أن يعلمه ، وقال يومها وهو يشمله بنظرة قاسية ختمها بضحكة كريهة " :ستتعلم معي في جامعة الحياة يا عباس ، وهى أرقى الجامعات ، وبنفسي سأمنحك الدكتوراه " ، ولم يفهم وقتها فحوى كلامه ، لم يعرف أنه سيلحقه بعالمه الحقيق ، وابتسم ساخراً وهو يذكر أول عملية قام بها ، كان وقتها فى التاسعة من عمره ، وفى أحد محلات بيع المواد الغذائية ، اتفق معه أبوه أن ينتظر بالخارج حتى يسمع صوت شجاره مع صاحب المحل ، ويدخل وكأنه عميل ليتسلل إلى الدرج المخصص بوضع إيرادات البيع ، ويجمع ما يمكن جمعه قبل أن ينتهى الشجار ، كان أبوه لصاً خائباً ، لم يرقى إلى السرقات الكبيرة ، وعاش حياته لصاً خائباً ، ومات شحاذاً . أما هو فقد طور من نفسه وابتكر أساليب جديدة فى السرقة ، فكان يعمل خادماً فى بيوت الأثرياء ، حتى يدرس المكان جيداً ، ثم يستقيل ولا يفكر فى سرقة إلا بعد مرور ثلاث شهور ، حتى يكون قد نسوه من فى البيت جميعاً ، وكان يعمل سائقاً ، عندما كان يحتاج لسياره فى أحد عملياته ، وقد وصل به عقله أن التحق يوماً بوظيفة عامل نظافة فى أحد الفنادق الراقية ، ومن خلال تواجده ، درس البرنامج اليومي لثرية عجوز تقيم فيه ، واستطاع أن يزور غرفتها وهى تتناول العشاء فى مطعم الفندق ، وخرج من هذه الزيارة بمبلغ ضخم ، أخفاه بين الأواني المهملة فى مطبخ الفندق ، ولم يترك عمله إلا بعد شهراً كاملاً من زيارته لغرفة العجوز ، ولم يكتشف أمره ، وكان الصيف بالنسبة له موسم فيذهب مع زميل له فى

المهنة ، للعمل كمنقذ من حوادث الغرق التى تحدث على الشواطئ ، وهناك يقوم بزيارة الكنائس المقيمة على البلاجات ، أو أثناء إقامة حفلات السمر ليلاً بين المصطافين ، حيث يقوم بدور خادم الحفل ، إنه تاريخ طويل ، وحيل كثيرة ، وأموال كثيرة اكتسبها من هذه المهنة ، ولكنها كما تجيء كما تذهب ، مبذر ، مُصرف إلى حد السفه ، ثياب من أفخر الأنواع ، خمر ، نعيمة ، كانت فى يده أموال كثيرة ، نصفها ذهب لأجل نعيمة وحدها ، صاحبة الأحضان الدافئة الزائفة . وامتد بصره إلى الخلاء فى نظرة بائسة تتم عن أمل مفقود ، وابتسم فى نفسه وهو يتذكر هذا الطموح الذى تملك منه يوماً ، طموح بأن يُكون شكل جديد فى عالم الإجرام ، يقوم على أسس ومبادئ ونظام ، ولتكن أول مافيا عربية تكون زعيمها أنت يا عباس ، ولكن بشرط العدالة ، فلا ظلم ولا عدوان بدون حق ، ستكون يد العدالة الإلهية ، لا عدالة الحكومات الفاسدة ، ستكون أرسين لوبيين ، وتعيد تنظيم الثروات ، تلك الأموال الطائلة دون وجه حق ، ستكون رصاصة منك إيداً بتغيير مسار حياة الكثير ، هؤلاء الذين لا قوى لهم ولا نصير مع أهل الدنيا ، وقتها لن تكون مثار النظرات الحانقة ، ستكون بطل قومي وزعيم شعبي يهتفون بحياته ، ويهتفون من أجله . سيفكرون ألف مرة هؤلاء النوع من اللصوص ، لصوص الخمس نجوم ، الذين يسرقون شعباً ، لا أفراد قبل أي تجاوز ، والنتيجة محسومة بلا تردد ، رصاصة تخرج من مؤخرة رؤوسهم ، وإن كان حسابهم تأجل فى السماء ، فعباس سيعجل به فى الدنيا ، سيكون سيف الله المسلول ، ومنفذاً لحكمه

المؤجل .كنت ستراهن على حياتك من أجل هذا الطموح ،
فجمعت زملاء المهنة ، واستفضت فى تفسير نظريتك
الجديدة واستعنت بالبراهين ، المافيا فى أمريكا ، إنها
أقوى من الشرطة ، من الحكومة، لماذا؟ لأنهم متحدين ،
منظمين ، يسيرون وفق قانون خاص بهم وتحت راية
واحدة وزعيم يثقون فيه وفى قدراته ، صدقوني سنكون
أقوى وستتبدل الأحوال ، كل ما هناك أن تقوى العزيمة
ويطرد الخوف والجبن من حياتنا ، وقتها سيكون أقل
واحدًا فيكم فى منزلة وزير بكل هيئته وثروته ، صدقوني
، ولم يصدقك أحدًا يا عباس، بل تجلت فى أعينهم نظرات
خوف وشفقة فى أن يكون مسك شيء من الجنون ، كانوا
جبنا ، وفضلوا أن يكونوا لصوصًا خائبة كأبوك . هذا
اللص الخائب ، إنك تعرف هذا النوع جيدًا ، سيعشون كما
عاش أبوك وينتهون شحاذين ، وما أنت يا عباس بينهم ؟
إنك لن تستطيع أن تقيم مافيا بمفردك ، وانطفأت شرارة
طموحك الغريب ، وذبت رويدًا رويدًا معه ، واكتفيت
بالتطوير ، واستخدام أساليب لم تكن قد استُخدمت من قبل
فى المهنة ، ولم تبخس من قدرك يارجل؟ فالتطوير الذى
أدخلته ، أصبح منهجًا واتبعوه الكثير ممن دخلوا المهنة
فيما بعد ، لقد أصبحت أستاذًا ورائدًا فى مهنتك ، أو
لايكفيك نظرة الإعجاب من شباب اللصوص الجدد ، أو
لايكفيك أنهم يرجعون إليك فى رسم خططهم ، ووضع
توقيعك عليها إبدانًا بنجاحها .

وابتسم من كل قلبه وتجمعت الدماء فى وجهه ، عندما
تذكر أنه رائدًا فى مهنته ، وأفاق من نهر الذكريات عندما
ترامت أصوات من بعيدة وهى تركب الباص ، واستقل

الذى جاء بعده متجهاً إلى بيته ، أو على الأدق إلى الغرفة المتواضعة التى تأويه ، واكتظت العربدة من حوله بالركاب وظهرت أمامه الجيوب فى حالة تخمة ، وبدأت أصابعه ترقص فوق كف يده كالثعبان الذى يتراقص عندما يسمع آلة النفخ فيهتز معها ، وبدأ يستعيز من الشيطان ويضغط على أصابعه حتى تكف عن الرقص ، ولم تكف . ومع شدة الزحام اقترب رجل إليه بظهره وتجلى أمامه الجيب الخلفى للمنطال ، والتى ظهر منها حافظة نقوده ، إنه من السهل عليه التفاطها ، ليست صعبة على محترف مثله ، ولن يشعر أحد ، ثم تذكر أيام السجن العينة وليالي طويلة غابت فيها الحرية ، فاستعاذ مرة أخرى من الشيطان ، ثم تذكر شراب الخمر اللعين وشراء ثياب جديدة ، وتذكر صاحبة الأحضان الدافئة الزائفة نعيمة ، وأثناء ذلك أصبح الرجل أكثر اقترباً حتى لكاد أن يلتصق به ، وحافظة النقود تتلألأ أمام عينه كامرأة تغريه وتدعوه كي ينالها ، ولم يشعر إلا بيده وهى تلتقط الحافظة ليخفيها تحت قميصه ، ولم يرى من شدة الزحام أن رجل ما كان يقف جواره ، كان شاهداً على جريمته ، وصرخ فيه بقوة ..

، أخرج حافظة الرجل يا لص يا ابن الكلاب ، ألا ترحموا الخلق حتى فى هذه الأيام المفترجة والتفت الركاب إلى صوت الرجل الصارخ والذى أمسك بيد عباس ، ولكنه استطاع أن يفلت منه بعد أن جذبته للخلف ، وألقى بنفسه من النافذة فى حركة بهلوانية لم تستغرق ثوان ، وقد اعتاد عليها عندما كان يحدث مثل هذه المواقف ويكتشف أمره ، ثم وقف الباص ، واندفع منه

الركاب متجهمين فى حلق من هذا اللص الذى يرتكب
جريمته الشنعاء فى الشهر الكريم ، واندفع معهم صاحب
حافضة النقود رجل أشعث -تقدم به العمر - ذو هيئة تنم
على أنه موظف حكومي ، وقد بدا يلطم على وجهه
ويصرخ مستنجدًا ومستعطفًا جموع الناس :

• أقبل أياديكم ، أوقفوه ، السُلفى كلها فى الحافضة.
وسأله راكبًا اندفع مع المندفعين وقد رسم على وجهه
علامات استياء:

• هل المبلغ كبير يا حاج ؟
وقال صاحب الحافضة فى توسل من بين دموعه
الساخنة :

-إنها السُلفى التى حفت قدماي حتى تجيء لأجل
مطالب زواج ابنتى ، وعندما جاءت يسرقها هذا
الجبان ، ياللمصيبة ، ياللمصيبة .
وقد التحم بكائه بصراخه وصار يهذى بكلام غير
مفهوم حتى جلس على الرصيف، ووضع رأسه بين
يديه وكأنه استسلم للأقدار.

وتركه الرجل متظاهراً بالجري مع باقي الركاب .
وبينما عباس فى لهات يسارع قدمه ، اختلس نظرة
إلى الخلف ، حيث وجد جموع الناس تتزايد بشكل
يفوق عدد من كانوا فى العربية، وكأن كل الحرفيين
تركوا حوانيتهم ، والموظفون ذهبوا من على مكاتبهم
، والرجال خرجوا من بيوتهم ليلحقوا بالموكب
المهييب للنيل من عباس ، وأحس بخفقات قلبه سريعة
وكانها تلهث وراء قدميه ، وانعكست فى عينه
علامات دهشة وخوف، وقال فى نفسه:

- لعلها الطامة الكبرى لو خانتك قدماك يا عباس وطالوك الغوغاء ، والله لسوف تذوق ألوانا من العذاب قبل أن يُرج بك الى قسم الشرطة ، والتفت إلى قدمه ، وكأنه يحثها على زيادة السرعة ، ومن خلفه الناس يصرخون أوقفوا هذا اللص .
- ولا يزال يجري حتى ترائء أمامه شارعًا يتذكر خريطته جيدًا ، وثمة حارة متفرعة منه يعرف كيف يصل منها إلى بيته بواسطة طرق ملتوية يخدع بها من خلفه ، ومرق من الشارع ، ومن خلفه جموع الناس يصرخون طالبين بإمساكه ، وقبل عبور الحارة تعثرت قدماه بأطفالها يلعبون كرة القدم حتى سقط رغماً عنه ، وقد طالته بعدها الأيادي والأقدام بلا رحمة ، وطال زمن الكفوف الهاوية على مفترق جسده ، حتى سمع من بينهم من يقول في حق :
• أئسرق في رمضان يا حقير ولاتأبه بعظيم جبار .
وقال آخر ضاحكًا :
• كان عليك أن تنتظر بعد الإفطار .
وقال ثالث في تشدد:
• السرقة سرقة سواء في رمضان أو غيره .
وقال رابع وكان شيخاً كبيراً :
• يكفي ما ناله من هذا الضرب ، خذوا منه الحافظة وسلموه للشرطة فأمثاله لاتأويهم إلا السجون .
وقال خامس في لهجة الفيلسوف :
• إن الشهر الكريم يحتم علينا أن نعطيهِ فرصة أخرى للتصالح مع النفس ، فالنفس البشرية بقدر ما تحمل فجوراً بقدر ماتحمل تقوى ، ولعل

تسامحنا معه يجعله يتعلم الدرس جيداً ، ويعود إلى
ربه راضياً مرضياً ، ربما كان الاحتياج قد
أضعف إيمانه ، لنعطية فرصة ثانية بعدما يُقسم
أمامنا أن لا يعود لهذه الفعلة مرة أخرى ورمضان
كريم.

ووافقه الشيخ الكبير وهو يقول :
لنعطيه فرصة أخرى ، ربما كان فعلاً محتاج ولو أنه
غير مبرر ، وإذا كان الخالق يغفر ويرحم فرحمه
نحن البشر ، رمضان كريم.
ومال عليه سادس وكان ضخم الجثة وقال في صوت
جاهوري:

• أين أخفيت الحافظة يا ولد ؟

وعاد الرجل يردد في صراخ :

• أنطق يا ولد ، يا ولد.

واتسعت عينا عباس وهو يحرق فيه في ذهول ، حيث
وكأنه تبدلت صورته أمامه ، ليجد رجل يرتدى زى
عساكر البوليس وكان يصرخ بصوتاً جاهورياً :
• عباس . انهض يا ولد ، ما كل هذا النوم ، انهض
يا ولد ، يا ولد.

وقام متوثباً من رقدته والتفت حوله في قلق دون أن ينبس
بكلمة ، وقد وجد نفسه بجوار أقرانه في زنزانة مظلمة
يطل من أحد جوانبها نافذة صغيرة تقترب من السقف ،
وقد انبعث منها بصيص من أشعة الشمس.
وقال صاحب الزى العسكري وهو يبتسم ابتسامة سخرية :
هنيئاً لك يا ولد ، الليلة القادمة ستذوق طعم الحرية وعلى
سريرك تنام.

: وقال عباس بعدما وثب من على فراشة وارتسمت
علامات دهشة فوق صفحة وجهه
• ماذا نقول يا شاويش صبيح ؟
وقال الشاويش في حزم:
• ما سمعته.
وكست الفرحة وجه عباس وصرخ :
• حقًا .

فوضع الشاويش كلتا يديه على القايش مفتخرًا بوجاهته
الميرى ، وقال في اقتضاب كأنه سيدلي بمعلومات خطيرة:
• صدر أمر بالعفو عنك أنت ومحروس والولد
صابر بمناسبة شهر رمضان، واستطرد بوجه
متجهم، هيا انهض بسرعة أم يصعب عليك ترك
زملائك.

ونهض عباس وفي عينه فرحة وفي قلبه غصة من حلم
ليلة الأمس ، سرعان ما نساها وهو يودع زملائه.
وودعوه في فرحة تواري حسد .

وخرج يتنفس هواء الحرية من جديد ، وأخذ نفسًا طويلاً
وهو ينظر للسماء في سعادة ، وقال في أعماق نفسه ،
الحياة من غير حرية موت ، تنحرق السجون أو تذهب إلى
الجحيم بدون رجعة ، وأقسم في نفسه أن لا يعود للسجن
مرة أخرى ، ومن ثم أخذته قدماه إلى طريق طويل ،
ووقف حيث وجد عربة الباص المتجهة إلى أقرب ميدان
يصل إلى بيته ، وبغته ابتسم دهشة ، وقد اتسعت ابتسامته
عندما رأى رجالاً أشعث ذا هيئة تنم على أنه موظفًا
حكوميًا يركب الباص ، وقد كان شديد الشبه بهذا الذي
رآه في حلم الأمس ، وسلب منه حافظة نقوده ، ومما زاد

من ابتسامته أن رآه يرتدى نفس الملابس التي كان يرتديها في الحلم ، فانفجر بعدها ضاحكًا ، وهو يضرب كفاً بآخر حتى ظن من حوله أنه مجنون ، وأقسم بعدها أن لا يركب هذه العربة، وربما أى عربة أخرى ، وفضل أن يسير على الأقدام وهو يغني أغنية من تأليفه بلا معنى على لحن سمعه ذات مرة وأعجب به ، وأخذ يرقص في مشيته عليها، حتى اجتاحتها رغبة قوية وشوق في أن يرى صاحبة الأحضان الدافئة الزائفة نعيمة ، فغير مسار اتجاهه قاصدًا بيتها ، ومالبت أن خفتت الرغبة القوية في قلبه ، حتى عدل مساره مرة أخرى إلى بيته ، وظل يغني .

تمت

جعفر الجهيني

سيدي الرئيس ،

أنا المواطن محمد جعفر محمد الجهيني ، أو كما يُكتب عني في الصحف ويطلق علىّ الرأي العام بهذا الاسم الذى اشتهرت به الآن " جعفر الجهيني " ، بالطبع يا سيدي الرئيس سمعت وقرأت عني في الآونة الأخيرة ، فوسائل الإعلام ليس لها عمل هذه الأيام سوى الكتابة عني، وعن صديقي عبد السلام الدياسطي ، بل وتفرد صفحات كاملة عنا ، جعلتنا في نظر الناس إحدى عائلات المافيا فى أمريكا . ولعلك تعرف يا سيادة الرئيس أن أقل عائلة مافيا هناك لا تقل عن خمسمائة فرد ، مع أننا اثنين لا أكثر والله ، أنا وعبد السلام ، إني أبعث لك يا سيدي الرئيس بهذه الرسالة من مخبأي فى هذا التوقيت الذى وصلت فيه شهرتي أنا وصديقي عبد السلام إلى ذروتها حتى تعرفني جيدًا ، تعرف محمد جعفر محمد الجهيني على حقيقته ، تعرفه بعيدًا عن ما يُكتب ويُشر عنه ، تعرف حكايته لتحكم عليه بعد ذلك إذا كان مجرم عتي الإجرام كما يُقال ، أو ضحية من ضحايا هذا المجتمع الذى يعيش فيه ، ولحكمك طبعًا تأثير لا يستهان به يا سيدي الرئيس على وسائل الإعلام أو الرأي العام الذى أجمع على أنني وصديقي عبد السلام من عتاة الإجرام ، أجمع دون أن يعرفنا جيدًا . وإليك الحكاية :

أنا خريج دفعة ٩٤ يا سيادة الرئيس ،تخرجت من كلية العلوم قسم كيمياء بتقدير عام جيد جدًا ، وأكثر من عشر سنوات والقوى العاملة تُصر على تجاهلي تمامًا وكأني لا شيء أو كأني غير موجود من الأساس ، مع أنني شيء وموجود فى هذا البلد والتي هي من المفترض بلدي ، موجود بها منذ ولدت ، ولكنها لا تريد أن تبسط الرزق لي أبدًا ، وكأنها أثبت أن تمنحني الحياة الكريمة ، ويعلم الله يا سيدى الرئيس أنني لم أترك فرصة واحدة للتقدم فى أى جهة حكومية أو غير حكومية ، وللأسف كليهما يحتاج للنظام الأشهر فى بلادنا الغراء وهو الوساطة ، وأنا يا سيدى الرئيس ليس لي واسطة ولا ظهر ولا سند فى هذا البلد ولا فى هذا العالم سوى الله ، ثم أنت ، أنت يا سيادة الرئيس ولي أمري وكبير العائلة الذى نلجأ إليه فى مصائبنا ، نلجأ إليه عندما لا نقدر أن نعيش فى بلاد أنت صاحب الكلمة الأولى فيها ، ولهذا أكتب لك هذه السطور ، لعلك تقرأها وتُشفق عليّ ، على واحد من شعبك ، فلا زلت أصر على أنني واحد من شعبك ،

سيدى الرئيس ، أحب أن أعرفك أنني اتخنقت ووصلت لأعلى درجات الاكتئاب ،وسأقول لك حالا لماذا.

لقد تجرأت مرة واحدة وحلمت ، حلمت أن أكون إنسان عادي له أبسط الحقوق الإنسانية فى بلد حرية الحُلم فيها حق مكفول لكل مواطن ، هكذا أسمع دائمًا ، إن لم يكن هذا الحق قد صُدر هو الآخر ، حلمت أن أتزوج يا سيدى الرئيس ، وكان بداية الحلم أن تقدمت لخطبة جارتى "إلهام" منذ خمس سنوات ، وكنت وقتها أعمل عند رجل بسيط لا يملك سوى فرش على الرصيف فى وسط البلد،

يبيع فيه الصحف والمجلات وبعض الكتب الصفراء وأفلام الـ "دي في دي" المستعملة وأحياناً بوسترات النجوم ، وكان يريد مساعده لكبر سنه ولعدم قدرته على السهر ، فعملت معه على هذا الفرش مقابل مائة وخمسون جنيه فى الشهر كان هذا فى عام ٩٨ ، وقد يكون هذا المبلغ تافه، لكنه أفضل من الجلوس فى البيت أو على المقهى ، وعلى الأقل أستطيع أن أساعد بهذا المبلغ الضئيل فى مصاريف البيت بأن أشتري الخبز مثلاً كل يوم وأنا عائد من العمل ، أو أخفف عن والدي مصاريفي الشخصية ، ورضيت بهذا الأجر المتواضع على أمل أن يأتني يوم ويرفع الرجل مرتبي ، أو يتغير الحال ويكون هذا العمل مجرد مرحلة أتخطاها فى أقرب فرصة . وإن كانت هذه الفرصة الوحيدة التى وجدتھا ، وجدتها بدون واسطة طبعاً ، فكما سبق وقلت لسيادتكم ، فإنني بلا واسطة وبلا معارف ، واشتركت عائلتي المحدودة من أمي وشقيقتي البنات المتزوجات، بمعاونة أزواجهن فى تجميع مبلغ نكمل به مظاهر هذا الحلم ، أقصد مظاهر هذه الخطبة من شراء الدبل وشراء بدلة تليق بهذه المناسبة ، وأعرف أنني أرهقتهم بهذا المبلغ ، وأعرف جيداً أن شقيقتي تذللن لأزواجهن من أجل هذا المبلغ ، ولكن من منطلق الحب والرغبة فى إسعادي ، استطاعوا تدبير هذا المبلغ ، فهم يعرفون مدى حبي لإلهام ، أو على الأدق مدى عشقي لإلهام . إلهام يا سيدي الرئيس ، ياه ماذا أقول لك عنها ، إنها أغلى فتاة في هذا الكون ، جميلة ، كل ما فيها جميل ، إنها أبدع المخلوقات التي خلقها الله ، رقيقة كالفرشات ، ومبهجة كالورود ، وصافية كالماء

العذب ، وحنونة كقلب الأمهات ، والأكثر من ذلك أنها كانت تحبني ، تحبني بصدق ، إنني أعتقد أن حبنا ولد قبلنا ، قبل أن نجى أنا وهى الحياة ، أذكر عندما كنا أطفال يا سيدي الرئيس نلعب أمام البيت ، وكان يحدث أن أتساجر مع أحد الأطفال ، فكانت تبكي ، تبكي لأجلي ، ولا تتهاون فى أن تحمل طوبة وتقذفها فى وجه خصمي ، وكانت تفعلها كثيرًا ، أذكر مرة أنها شجت رأس أحد الأطفال بقذف رأسه بطوبه عندما رآته يصفعني على وجهي ، ولم تتحمل إلهام هذه الصفة ، وكان رد فعلها أسرع منى أنا شخصيًا ، منذ كانت طفلة يا سيدي الرئيس وهى تحمل قلب مليء بالحنان تجاهي ، وكانت لا تأكل شيء إلا وتحضر لي مثله ، أو على الأقل تقسمه نصفين ، نصف لي ، ونصف لها ، دائماً كنا نصفين لا يكتملان إلا معًا ، وكنا دائماً معًا ، كنا واحد ، لا اثنين ، وعشنا عمرنا معًا بهذا الإحساس ، إحساس أننا واحد لا اثنين ، وعرف الأهل بقصة حبنا وباركته يا سيدي الرئيس ، وأخذوا يرددوا أماننا دائماً محمد لإلهام وإلهام لمحمد ، وكأنهم يشهرون زواجنا حتى يصبح على سنة الله ورسوله . وصدقنا أنا وإلهام من كثرة هذا التردد أن زواجنا أصبح على سنة الله ورسوله ، وفعلنا كل شيء يا سيدي الرئيس ، كل شيء ممكن أن يفعله زوج مع زوجته ، إلا شئ واحد ، أن أتركها عذراء ، وكانت هذه رغبتها ، واحترمت رغبتها ، وتركت لها عذريتها ، وسنوات ونحن نعيش هذا الحلم الجميل ، ونتمنى من الله أن يكلل حلمنا بالزواج ، وأن تصبح إلهام رسميًا زوجتي ، وأخذها كلها لي دون أن أترك شيئًا ، أتفهمنى يا سيادة

الرئيس ؟ إنني لم أعد أحتمل أن أترك هذا الشيء ، إنى أريدها ، أريد كل مافيها ، إنها قصة حبي الوحيدة ، بل إنها قصة العمر كله ، عمرنا معًا ، وكعادة الأحلام الجميلة عندما تنتهي فى ثوان ، تنتهي فى غفلة من الزمن ، فقد مرت سنوات الخطوبة الثلاث ولم أستطع إحراز أى جديد ، وما زاد الطين بله ، أن الرجل الذى كنت أعمل معه وأساعده على الفرش البسيط الذى يفترشه على الرصيف قد مات ، وقامت زوجته وأبنائه ببيع محتويات الفرش لبائع آخر ، وبالتالي فقدت عملي الذى أتقاضي عنه مرتبى الضئيل ، المائة وخمسون جنيهاً ، وكنت أتمنى لو كان معي بعض المال اشتريت أنا محتويات الفرش ، لكانت الحياة تغيرت ، تغيرت كثيرًا يا سيادة الرئيس - هه - أي تغيير هذا الذى أتحدث عنه ، فزواجى من إلهام أصبح يريد معجزة لا تغيير ، المهم أنى وقتها أصبحت فى الشارع بلا عمل ، أصبحت عاطلاً ، وأستطيع أن أقول لك أنى دُخت ، دُخت جدًا على عمل دون جدوى ، وليس من أجلي هذه المرة ، بل من أجل حبيبتي وقرة عيني إلهام ، ولكن دون جدوى ، دائماً دون جدوى ، وبدأ الضيق يتسلل إلى عائلة إلهام ، ضيق مستتر يتوارى خلف أحاديثنا العائلية عندما تجتمع العائلتين ، وكان من عادتنا أن تجتمع العائلتين كل يوم خميس فى بيت أسرتي أو أسرة إلهام ، نتسامر ونشاهد فيلم السهرة فى التلفزيون معًا ونحن نلتهم الترمس أو الفول السوداني ، هذا كان يحدث بيننا أسبوعياً حتى قبل إعلان خطوبتي على إلهام ، وفى إحدى هذه المرات التى نجتمع فيها ونحن نشاهد فيلم السهرة و نلتهم الترمس

والفول السوداني ، قالت أم إلهام بلا مبالاه وهى تنتظر
للفيلم وكأنها تلقى بالدبش فوق رأسى:
- مش حانتجدةن بقى يا محمد ولا حاتفضل مخيب أمل
البننت كده جنبك .
ولم تسكت أُمى طبعًا لكلام الست أم إلهام وقالت وكأنها
تصرخ فيها:
- أمل إيه اللى مخيبه إبنى لبنتك يا إنشراح ، وهو يعنى
الخطاب واقفين طوابير ع الباب وإبنى اللى حاشيهم.
وتركت أم إلهام مشاهدة الفيلم ووجهت نظرها كله لأُمى
وقالت وكأنها تتحداها:
- وهو ياختى الطوابير ماتقفش ليه على الباب ، بنتى لا
هيه بايره ولا ناقصة جمال ، الركب على إبنك اللى عايز
يتجوز وهو محلنوش اللضا.
واستعدت أُمى لقبول التحدي وصرخت تقول:
- وهو بإيده يعمل إيه ومعملوش يا إنشراح ، الواد يا
كبدى بينزل كل يوم يدور على شغل بعد ما الراجل اللى
كان بيشتغل معاه مات ، حنقول لربنا الراجل مات ليه
يارب ونعترض على مشيئته ، وإنتى نفسك شايفه الواد
دبل من كُتر اللف على كعوب رجليه بيدور على شغل
عشان خاطر مقصوفة الرقبة بنتك.
وما إن سمعت أم إلهام يا سيدي الرئيس أُمى وهى تقول
على ابنتها مقصوفة الرقبة حتى أَلقت
طبق الترمس من يدها على الكنية التى تجلس عليها فى
عصبية ،وقالت بصوت أشبه بالجعير : والله ما عايز
يتقصف رقبتة إلا إبنك ، حايعنسلنا البت جنبه وكل ده
وإحنا ساكتين قال إيه عاملين حساب الجيرة والعشرة ،

ياختى تغور الجيرة والعشرة على نسبكم اللى يعر ده ،
حاتخيولنا البنت معاكم.

ولا استطيع أن أقول لك يا سيدي الرئيس كم الشتائم التى
انطلقت بعدها من أفواه العائلتين بعدما قررت أم إلهام أن
نسبنا لابنتها نسب يعر ، لم تكتف أمى بتبادل اللعنات
والشتائم معها ولكن توجهت إليها وهى تحمل فى يدها
"فردة شبشبا "، عفواً يا سيدي الرئيس على المصطلح
هذا ، ولكني أريد أن أضعك فى الصورة كاملة ، وما
حدث بعدها أن أعطت أمى لأم إلهام علقة ساخنة
بالشبشب ، وألقت أم إلهام كوب الشاى التى كان أمامها
فوق المنضدة على وجه أمى ، والحمد لله كان الشاى بارد
، كل هذا حدث يا سيدي الرئيس أمامنا . أقصد بالذات أنا
وإلهام ، وكانت إلهام تنتظر لي أنا ولا تنتظر للمعركة التى
دارت بين أمى وأمها ، كأنها تستغيث بي ، وكأنها تقول :
ماهذا الذى يحدث لنا ؟ وكنت أنا وقتها مذهول من
الأحداث التى تلاحقت وراء بعضها من نقاش عادى إلى
احتدام فى الكلام إلى شتائم إلى تشابك بالأيدى ، وكنا فى
هذا اليوم فى بيت عائلة إلهام ، وطردتنا أمها بالطبع بعد
هذه الأحداث المُخجلة ، طردتنا من بيتها- بيت إلهام-
حبيبتى إلهام.

وفى هذا التوقيت الإستراتيجى ظهر ابن عم إلهام فى
المشهد.

إن المصائب لا تأتى فرادى يا سيادة الرئيس ، وكان ابن
عمها هذا مقيم فى إحدى دول الخليج منذ عشر سنوات ،
وقد جاء أجازة ليبحث عن عروس ، يخطبها ويتزوجها
فى أقصر فترة ممكنة ويعود بها فى نهاية الأجازة إلى

الخليج ، وابن عمها هذا يا سيدي الرئيس كان ولد بايظ ،
وحشاش، كان سواق تاكسى هنا قبل أن يسافر للخليج ،
وهو جاهل لم يكمل تعليم
ولكنه بلغة هذه الفئة من الناس ولد مدرد ، يعرف كيف
يحصل على القرش من فم السبع بالحلال بالحرام ، لا يهم
،ولكنه يعرف كيف يحصل عليه والسلام ، وكلف أقربائه
بالبحث عن عروس بأسرع وقت ولكن تفتق ذهن أم إلهام
على فكرة شيطانية ، أن تكسب هذا العريس لابنتها إلهام
،هذا العريس القادم من بلاد البترول،وهو غني ،من
المؤكد غني ،
العشر سنوات التى قضاها هناك كفيلة بأن تمنحه لقب
غني،
، وبدأت أم إلهام فى تنفيذ الفكرة
وكنت وقتها أحاول أنا وإلهام أن نُعيد المياه إلى
مجارىها بين أمى وأمها ،
حتى أنى كنت أعد أمى بأن تذهب إلي أم إلهام وتعتذر
لها،
وتقبل رأسها حتى إن وجب الأمر ،
وأمى من طبيعة شخصيتها يا سيدي الرئيس أنها عنيدة
، عنيدة جداً،ولكن من أجلي
وأجل سعادتي كانت مستعدة أن تذهب وتقبل قدميها
أيضاً ،
وكنت أذهب لأم إلهام وأحاول أن أقنعها بالصلح وأقول
لها فى رجاء أشبه بالتذلل
:

- الصلح خير يا أم إلهام وانتى وأمي عشرة عمر ،
وبعدين إنتو ياما زعلتوا من بعض ورجعتوا تانى حبايب
زى الأول وأكثر.

وتقول أم إلهام فى تحد سافر ومهين:
- أمك الأراشنة دى مش حامديها إيدى تانى ، وتستطرد ،
أنا يا محمد تضربني على دماغي بالشبشب قليلة الأصل
دى .

وتتدخل ابنتها إلهام فى الحديث فى محاولة هى الأخرى
فى إقناعها:

- مانتى ياماما اللى إستفزيتيها الأول وبعدين انتى
ماسكتيش برضه .

وبحزم قاطع تقول الأم لابنتها:

- إخرسي انتتى يا بت ، انتى معايا ولا معاهم .
وأقول لها وأنا أحاول أن أداعبها :

- معاك ولا معانا دحنا كلنا عيلة واحدة يا أم إلهام ، دنا
قعدت فى بيتكم أكثر ما قعدت فى بيتنا .

وبنفس التحدى المهين تقول:

- قول لأمك اللى خيرى عليها من ساسها لراسها ،
وبعدين روح إسألها مين اللى شالها فى جوازات بناتها
ناكرة الجميل والمعروف.

لقد يئست يا سيدى الرئيس من محاولات اقناعى لهذه
السيدة العنيدة أم إلهام بعودة المياه إلى مجاريها ، حتى
أن أُمى تنازلت عن كبريائها وذهبت لها وحدها عندما
وجدتني حزين بسبب هذه القطيعة . ذهبت تعتذر لها
وقبلت رأسها ولكن أم إلهام طردها مرة ثانية ، طردها
بكل قسوة ، وكأنها تطرد معها عشرة العمر ، تطردها

من أجل العريس القادم من بلاد البترول ، وقالت لها
كأنها تنبصق فى وجهها:
- أنا بنتى مش حاتفضل العمر كله معلقه مع خايب الرجا
ابنك .

لقد كانت مُبَيِّنة النية فى أن تفسخ الخطوبة ، وتعد ابنتها
لهذا العريس،

تحرمنى من إلهام
هذا ظلم ياسيادة الرئيس،
هل الفقراء ليس لهم حق فى هذه البلد؟
هل أصبح الحلم مستحيل لهذه الدرجة؟
هل لم يعد مكان لنا تحت شمس بلادنا يا سيادة الرئيس؟
أرجو أن تُجيبني على هذه الأسئلة .
وإن لم تجد إجابة،

فأتمنى أن يكون قرارك بالعفو عني هو الإجابة،
فأعرف أن الدستور يكفل لك هذا الحق،
نعود لأكمل لك حكايتي مع إلهام وأمها .
من المؤكد سيادتك تود أن تعرف ماذا حدث بعد ذلك ،
إنها النهاية الطبيعية لكل المحبون الفقراء،
المحبون الذين لا يملكون سوى قلوبهم وحبهم الكبير تجاه
من يحبونهم ،

ليس فى مقدورهم أن يمتلكوا شقة ويجهزوها بالأثاث
وأن يقيموا حفل زفاف وأن يحصلوا على دخل شهري ،
يستطيع أن ينفقوا به على أنفسهم وعلى زوجاتهم فى
حدود أن يحياوا معًا حياة كريمة لا يحتاجون فيها لأحد ،
كان هذا صعب بالنسبة لي
بل أصبح مستحيل،

أو كما قلت لك سابقاً يحتاج لمعجزة ،
وأنت تعلم يا سيدي الرئيس أن زمن المعجزات قد انتهى
,

وأصبحنا في زمن اللصوص والمرتشين،
هم فقط الذين يتمتعون بالحياة،
متعة كما يجب أن تكون .
أما نحن أنا وإلهام،
، لا يهم أن تنداس رغباتنا وأمنياتنا أمام سطوة المال
ورأيتها في صباح هذا اليوم،
يوم خطبتها،
رأيتها تنظر لي وتبكي،
، تبكي حبها
، تبكي عمرها
تبكي ذكرياتها،
إنها تحبني تماماً كما أحبها،
حب الطفولة والمراهقة والشباب.
كم من المرات كنا ننهي محاضراتنا في الجامعة ونخرج
نتسكع معاً في الشوارع،
، الشوارع الراقية
، ونحلم
ونصدق أحلامنا،
، وتقول لي في هذه المرات التي نتسكع فيها
وهي تشير إلى عمارة فخمة في الدقي:
- نفسي شقتنا تبقى هنا يا محمد في العمارة دي.
وأقول لها وكأنني أحرصها على خيالها:

- إن جيتي للحق إحنا ناخذ شقتنا فى الزمالك ، حي هادي كده وعريق.

وتصمت لثوانى ثم تقول لي بفرحة :

- يبقى المهندسين يا محمد ، كل المشاهير ساكنين فى المهندسين ، هما يعنى أحسن مننا فى ايه ، وأصمت أنا الآخر لثواني ، ثم أصدر قرار تأييدى لحلمها :

- يبقى المهندسين يا إلهام ، هما أحسن مننا فى فيه ، ونضحك بعدها ، نضحك على أحلامنا الساذجة ، على براءتنا الجميلة ، ثم نشعر بالجوع فنُجمع قروشى القليلة على قروشها القليلة ونشتري سندويتشات الفول والطعمية ، ونأكل ونضحك ، نضحك على كل شيء ، وأي شيء ، هكذا كنا أنا وإلهام يا سيدي الرئيس ، ضحكتان تمشيان على الأرض ، وأصبحنا دمعتان تمشيان على الأرض ، مسكينة إلهام ، أنا أعذرهما ، إنها لم تكن تقبل هذه الخطبة ، بل أنا نفسي سمعت صوت شجارها مع عائلتها بسبب رفضها ، وأمها تصرخ فيها ، وهى تعلو صوتها على صوت أمها ، ترفض ، سمعت رفضها ، وصراخها ، وبكاءها ، وسمعت صفة على وجهها من أمها ، حتى سكنت ، تعبت من كثرة الرفض والصراخ والبكاء دون جدوى ، وقالت لي فى صباح يوم خطبتها من بين دموعها :- ماقدرتش يا محمد ، والله العظيم ماقدرت .

وأشفقت عليها ومسحت بيدي دموعها وأنا أقول فى حسرة :- عارف يا إلهام ، مش ذنبك ولا ذنبي ، ده ذنب الفقر اللى احنا جينا فيه ، ربنا يوفقك بجد بدعيلك من كل قلبى .

وافترقنا يا سيدي الرئيس ، وأعلنت رسميًا في المساء خطوبتها ، وبعد شهر واحد تزوجت ابن عمها وقضيا أسبوعين في أحد فنادق الخمس نجوم وطار بها إلى بلاد البترول ، ذهبت إلهام يا سيدي الرئيس ، أو بمعنى آخر ذهبت الحياة ، وبقيت أنا وحدي بلا إلهام ، أو بلا حياة ، وبكيت ، ليالي طويلة وأنا أبكي ، ليالي طويلة لا أفعل فيها شيئاً سوى البكاء ، وتذكرتك وقتها يا سيدي الرئيس ، لا أعرف لماذا تذكرتك ، ولكن هذا ما حدث ، تذكرت كلماتك عن العدل والحرية والمساواة التي تحلم بها وتتمناها لشعبك سواء في اللقاءات الصحفية التي تُجرى مع سيادتك ، أو في خطبك الرنانة في المناسبات . وتذكرتك تحديدًا في خطبة افتتاح إحدى دورات مجلسي الشعب والشورى قلت فيها ، إنك لن تقبل أي مظهر من مظاهر الفساد ، ولن تقبل أن تسير البلد على نظام الوساطة والمحسوبية ، ورفعت يدك في الهواء وأنت تقول (:الكفاءة ، الكفاءة ، الكفاءة) ، قلتها ثلاث مرات يا سيدي الرئيس ، واستطردت ، الكفاءة هي النظام الذي ستسير به البلد ، فافسحوا للكفاءات طريقهم ، فنحن في عصر جديد ، وصفق الحاضرون تصفيقًا حارًا ، ووجدت نفسي أصفق معهم تصفيق حار ، وأمنت بك يا سيدي الرئيس ، وأحببت خطبك التي تلقيها في المناسبات المختلفة ، وأحببت طلتك في التلفزيون ، أحببتك بصدق يا سيادة الرئيس ، لا تظن أن أتملق لك ، فلست بحاجة للتملق ، ولم يعد لي في الدنيا أى أطماع بعد إلهام ، كانت هي كل ما أطمع إليه في هذه الدنيا ، إنى فقط أسرد لك حكايتي بتفاصيلها الدقيقة حتى أضعك في الصورة كاملة ، وتضع

نفسك بعدها ياسيادة الرئيس مكانى وأن تحكم علىّ ، وفى خضم البكاء وحالة الشجن التى إنتابتنى من جراء زواج إلهام ،ومن منطلق حبي لك شعرت برغبة قوية بأن أقابلك ، أتحدث معك ، أفضفض معك ، مع كبير العائلة ، أشكو لك رجالك الذين لم يمنحوني فرصة عمل مناسب . وأنا واحد ممن قلت عنهم أنك ستفسح لهم الطريق ، أنا كفاءة يا سيدي الرئيس ، تقدير عام جيد جداً فى دراستي ، وطالب مجتهد طوال سنوات الكلية بشهادة أساتذى ، وتستطع أن تسألهم عن محمد جعفر محمد الجهيني ، فهم لا زالوا يتذكرونني حتى الآن ، وحتى لا أطيل عليك ، سأقول لك ماذا فعلت حتى أقابلك ، هداني تفكيرى بأن أحضر يافطة كتبت عليها بخط واضح وكبير كلمتين ، كلمتين فقط ((محتاجك يا ريس))، وذهبت إليك ، إلى قصر الرئاسة ووقفت أمامه على بعد مسافة طبعاً وأنا أرفع اليافطة بكل ذراعي ، بكل قوتي ، بكل حزني ويأسي واكتئابى ، وأصرخ بمحتواها ((محتاجك يا ريس))، أصرخ كي تسمعني ، فقط لتسمعني ، وليس لأني من هواة المظاهرات ، تسمعني ثم تناديني ، ثم أتحدث لك ، لك يا كبير العائلة . وفجأة ، وجدت جيش يحاوطني ، وصدقني لا أبالغ عندما أقول جيش ، جيش من العساكر ومعهم مجموعة من الضباط وظلوا يحاوطنني وهم يصوبون أسلحتهم فى وجهي ، وكأنني عدو الوطن ، وكأنني يهودى ، وظلوا هكذا حتى جاء مجموعة أخرى من الضباط برتب أعلى يتقدمهم لواء ذو وجه حديدي ، أى والله حديدي يا سيدي الرئيس ، واقترب مني ودون أن

يتفوه بكلمة واحدة صفعني على وجهي ، حتى اختل توازني وسقطت الياقطة من يدي، وقال بصوت مخيف:
- إننا جاي هنا ليه يالا وإيه اللي شايله ده ، عملي مظاهره لوحدك ياروح أمك .

ولم أطيق أن يصفعني على وجهي ثم يدعوني بروح أمك ، فصرخت فيه:
- انا جاي أقابل الرئيس أنتو مالكو ومالي ، مش ده الرئيس بتاعنا.

وقال بصوته المخيف :
- الرئيس بتاعكو يابن الجزمة ، أنتو ياشوية رعا ع الرئيس بقي بتاعكو .

وصفعني مرة أخرى ، واشتد غيظي من هذه الإهانات دون أن أقترف ذنب واحد ، فصفعته يا سيدي الرئيس ، نعم صفعته ، صفعه قوية ترنح على أثرها ، ولكن لم تكتمل فرحتي بأخذ الثأر من هذا الرجل ، ففي أقل من الثانية تقدم مجموعة الضباط وصفعوني على وجهي صفعات كثيرة يعجز العقل البشري على إحصائها، وركلوني بأقدامهم ركلات أكثر ، وتقدم مجموعة العساكر يشاركون بما فيه النصيب ، ومع ذلك لم أسكت ، ظللت أصرخ بكلمتين ، كلمتين فقط ،

((محتاجلك ياريس)) ، أصرخ بكل قوتي ، بكل حزني ويأسي واكتنابي ، لماذا لم تأتي يا سيدي الرئيس ؟ لماذا لم تأتي وقد كنت قريب منك ؟ تأتي تنجدي من بطش رجالك ، تأتي لتُنقذ واحد من شعبك ، يعلم الله كم كان يحبك ، ولم أشعر بعد ذلك ماذا حدث ، ففيما يبدو أنني فقدت الوعي ، ولم أشعر بعودة الوعي إلا وأنا في مباحث أمن الدولة ،

وأخذوني منها إلى غرفة غريبة تحت الأرض ، غرفة ضيقة ، لا يوجد بها شيء سوى جدران مكتوب عليها عبارات أشبه بالحكم ، مثلاً " :دولة الظلم ساعة ودولة العدل لآخر الساعة " و "لا بد من يوم محتوم تترد فيه المظالم أبيض على كل مظلوم وأسود على كل ظالم " و "لك يوم يا ظالم . " وجدران الغرفة ملئية بهذه العبارات التي عرفت منها أنني فى معتقل ، واستدعوني من هذه الغرفة بعدما مكثت فيها يومين أو ثلاث أو أربع ، حقيقة لا أذكر ، ولكن ما أذكره أنني قضيت هذه المدة بلا طعام ، اللهم سوى الماء الذى كانوا يأتون به كلما طرقت على باب الغرفة، وصرخت :عطشان يا كفره ، وربما كانوا حريصون على أن لا يكونوا كفره ، فكانوا يأتون لي بالماء ، وعندما استدعوني للتحقيق ، كانت هذه مهزلة أخرى ، كان كل ما فى عقولهم ويريدون أن أعترف به هو أنني من المخططين لعملية إرهابية ، عملية تستهدف الرئيس ، تستهدفك يا سيدي الرئيس ، أى عملية هذه لا أعرف ، وهم وجدوني لا أحمل شيء معي سوى يافطة مكتوب عليها ((محتاجلك ياريس .))(هل سأقتلك بهذه اليافطة ؟ وحتى عندما قاموا بتفتيشي لم يجدوا فى جيبى سوى البطاقة الشخصية ، وخمسة جنيهات ونصف فقط لا غير ، وتناوبوا التحقيق معي ، وكل مرة نفس الكلام ، ونفس الاتهام ، وهو يريدون منى قائمة بالأسماء المشتركة معي فى التخطيط لهذه العملية الإرهابية الوهمية التى لا وجود لها إلا فى خيالهم ، وبهذه المناسبة تسمح لي أن أسألك سؤال يا سيادة الرئيس ،على أي أساس يتم اختيار ضباط مباحث أمن الدولة ؟ هل من ضمن شروط

اختيارهم أن يكونوا أحاديًا التفكير ؟ على كل حال لن نقف عند هذه الأسئلة ، ودعني أكمل لك باقي قصتي ، أين وقفنا ؟ تذكرت ، بعد فترة من التعذيب فى هذا التحقيق ، سواء التعذيب النفسى أو التعذيب البدنى ، ولست فى حاجة أن أقول لك ما شكل التعذيب ، فمن المؤكد سيادتكم على علم بكل أنواع التعذيب التى تُستخدم عندهم ، وبعد هذه الاتهامات الوهمية التى أطلقها خيالهم المريض ولم يجدوا عليها دليل ، تم الإفراج عني وترحيلني إلى القسم التابع للحي الذى أسكن به ، ومكثت فيه حوالى أسبوع ، وهناك ، هناك ياسيدي الرئيس تعرفت عليه ، على عبد السلام الدياسطي ، وطبعًا الصحف التى تقرأها ونشرات الأخبار التى تشاهدها سيادتكم فى التلفزيون فردت كل شيء عن هذا الرجل ، منذ ولد وإلى الآن ، والبلد كلها أصبحت تعرف السيرة الذاتية له ، ولكني برغم كل هذا الذى يُكتب عنه ، أنه شرس ، ودموي ، ويهوى منظر الدماء وأنه مريض عقليًا ، أبدًا ، لا تصدق هذا الكلام يا سيادة الرئيس ، إنه يحمل قلب طفل ، إنه طيب جدًا ، إنه لم يتمنى أبدًا أن يصبح قاتل ، أو إرهابي . كان مثلي ياسيادة الرئيس لا ينظر إلا تحت قدميه ، كانت أحلامه محدودة وبسيطة إلى الحد الذى ستندهش أنت شخصيًا لو قُلْتها لك ، طبعًا سيادتكم قرأت والبلد كلها قرأت أنه كان بائع فى ميدان العتبة ، بائع ملابس يفتersh الأرض ، يعطيه المصنع الذى يتعامل معه قطع من الملابس التى ينتجها فرز تانى ، ويبيعها هو على هذا الأساس ، يعطي المصنع الثمن الذى حدده لهذه الملابس ، ويأخذ هو باقي الربح ، وباقي الربح هذا ياسيادة الرئيس كلام فارغ ، وأحيانًا تمر عليه أيام لا

يبيع قطعة واحدة ، وكان قانع ، كل مشكلته أنه كان قد استأجر غرفة متواضعة فى حارة شق الثعبان ، غرفة على السطح ، استأجرها لتكون عش الزوجية بعدما كان يعيش فى غرفة مشتركة مع زملائه من بائعى ميدان العتبة والذى معظمهم صعايدة بلديات عبد السلام ، ويطمح فى تأثيث هذه الغرفة ، وكانت أمنيته العظمى أن يعمل فى محل ملابس بأجر ثابت، بدلاً من بهدلة العمل بفرش على الأرض ، طوال الوقت على أهبة الاستعداد أن يحمله ويجرى به خوفاً من المرافق وعساكر الشرطة التى تلاحقه ، والويل له إذا لحقت به ، تستطيع أن تقول على البضاعة يارحمن يارحيم ، هذه كل أمنية عبد السلام الدياسطي الذى تصفه الصحف الآن بأنه من عتاة المجرمين ، تدرى ياسيادة الرئيس ، هو يجلس الآن بجانبى فى المخبأ ، وأنا أكتب هذه الرسالة لك ، ويحمل فى يده صحيفة اليوم وبها كالعادة خبر عني وعنه ، فكما تعرف أننا مادة شبيقة للصحفيين الآن ، إنه يشاهد كاريكاتير عنه يصفه بأنه أصبح إرهابي دولي ، وتنظيم القاعدة عرضت عليه عشرة ملايين دولار؛ لينضم لها وينفذ عمليات إرهابية واغتيالات سياسية بحرفيته وخبرته الواسعة فى عالم الإجرام ، إنه يضحك ياسيدي الرئيس على هذا الكلام ، أي حرفية وأي خبرة يمتلكها بائع بسيط يفرش الأرض فى ميدان العتبة ، إنه أغلب من الغلب ، ولكن كثرة الغلب ، وضغط الغلب ، جعله ينفجر . صدقني يا سيادة الرئيس ، أنه مجني عليه وليس جاني ، والصحف جعلته من عتاة الإجرام ، والناس صدقت ، أوه ، أنني لم أكمل لك يا سيادة الرئيس كيف تعرفت على عبد السلام ،

سبق أن قلت لك أنني قابلته فى القسم الذى بعثنى إليه
مباحث أمن الدولة ، القسم التابع للحي الذى أسكن به ،
كان هو هناك لأنه تشاجر مع أحد عساكر شرطة المرافق
التي تلاحق الباعة ، وأخذوا منه البضاعة عنوة ، وكان
منذ خمس أيام قبلها لم يبيع قطعة واحدة ، وإذا ترك
البضاعة لهم ، ستحجز على الأقل أسبوع ومن الممكن أن
تصل المدة لشهر وأحياناً شهرين ، وصاحب المصنع يريد
منه ثمن البضاعة ، وليس مع عبد السلام مليم واحد ،
وتوسل ، توسل كثيراً للعسكر أن يتركوا له البضاعة ،
وأقسم لي يا سيدي الرئيس أنه ركع ليقبل قدم واحد من
هؤلاء العسكر الذى حمل البضاعة ، ولكن العسكرى ركله
ببؤذ الحذاء وسبه بأمه ، فتحركت دماء الرجل الصعيدي
بداخله ، ونهض وضرب العسكرى ، ضربه بيده وبقدمه
وبرأسه ، ضربه بكل الغلب والشقاء والعذاب الذى يحمله
فوق رأسه ، وسالت الدماء من رأس العسكرى ، وتجمعت
بقية العساكر عليه وقيدوه وسحبوه على القسم . وهناك ،
حدثت مهزلة يا سيدي الرئيس ، مهزلة كالتى حدثت معي
فى مباحث أمن الدولة ، اتهموه أنه يمارس البلطجة
ويجمع فردة من الباعة الذى يفرشون الأرض فى ميدان
العتبة بالإكراه ، وجاءوا ببعض منهم ذممهم خاوية
ليشهدوا على هذا الكلام ، وقالوا أنه يرهبهم بأن يشهر
سلاح فى وجوههم حتى يدفعوا له صاغرين ، واستطاعوا
فى القسم بأن يأتوا بسلاح نسيوه إلي عبد السلام أنه
صاحبه ، وكانت قضية بدون قضية ، سرد عبد السلام
قصته لي وهو يبكي كالنساء ، وأقسم بأن يكون بلطجي
فعلاً . إن الحكومة والمجتمع منحوه هذا اللقب دون أن

يقترف ذنب ، إنهم لم يحاسبوه على ضرب العسكرى فقط ، لقد جعلوا منه مجرم عتي الإجرام ، وقد قرر أن لا يتخلى عن هذا اللقب ، وإن كانوا وصفوه بأنه يجمع فردة من الباعة الجائلين ، فهو سيجمع فردة ولكن من الكبار ، إن اللعب مع الكبار له طعم آخر ، وقال لي وقتها وفي عينيه تحدي القتلة) إن سرقت إسرق جمل (، ووجدتني أردد وراءه) وإن عشقت إعشق قمر (وسردت له أنا الآخر حكايتي ، وعرف أن القمر الذى عشقته تركني وحدي ، بلا حياة ، وبلا صديق ، ومن يومها أصبحنا أصدقاء وتعاهدنا أن نسرق الجمل سوياً لأنه ببساطة حقنا ، حقنا الذى سلبته منا هذه الدنيا ، وأن الأوان أن نسترده ، وحُكم علي عبد السلام بثلاث سنوات ، كنت أزوره فيها باستمرار ، وأترقب يوم الإفراج عنه ، وأترقب فى كل زيارة هذا التحدي في عينيه ، تحدي القتلة ، ولم يخبوا هذه التحدي من عينيه طوال السنوات الثلاث ، واستمديت من تحديه قوة ، قوة استرداد الحق ، الحق المسلوب .

وخرج عبد السلام ، ووجدنى فى إنتظاره على باب السجن ، أنا الوحيد الذى أنتظره ، فلم يكن له أحد ينتظره ، حتى خطيبته تركته بعد الشهر الأول من صدور الحكم عليه وتزوجت أحد تجار الجملة ، وكأنها كانت تنتظر أن تتخلص منه ، وأخذته بالأحضان ونحن على باب السجن وأنا أداعبه :

- كفارة يا سُلَم

وضحك ضحكة عالية ، ضحكة أشبه بالجعير وقال بلهجته الصعيدي وهو يضع يده على كتفي :

- السجن للجدعان يا جدع ، خبر إيه .

ونظرت إلى هذا التحدي في عينيه،

تحدى القتلة وأنا أقول:

- لسه عايز تسرق الجمل يا عبد السلام .

وقال بلهجته الصعيدى وهو يبتسم فى خُبث:

- ولساك عم تَعْشج الجَمَر .

وقلت بنفس لهجته الصعيدى وأنا أبتسم فى يأس:

- الجَمَر راح يا عبد السلام من زمان ، راح وسابني

أعافر فى الضلمة بعد ماخذ النور معاه

وقال فى لهجة صعيدية حاسمة وهو يمد يده لى:

- يبجا إتفاجنا سارى يا واد عمى ، إحنا مشينا جنب

الحيط ومكانش ناجص غير نُخرم الحيط ونمشي جواه ، ،

وفى الآخر خدنا على دماغنا واطسينا تلت سنين ظلم ،

تلت سنين جدعنا لله وللوطن . خرينا بجا نيعد عن الحيط

شَوِي ونشوف إيه اللي حايجصل ، حايجصل إيه يعني ،

؟

ووضعت يدي فى يده وقلت بلهجة بها رنة الصعيد

الجواني :

- حايجصل كل خير يا واد عمى ، وتعالى بجا نتغدى

تلاجيك واجع م الجوع .

وذهبنا إلى أحد مطاعم الحسين ودعوته على فته كوارع.

ومن يومها يا سيادة الرئيس لم نفترق إلى الآن ، وبدأنا

المشوار ، مشوار استرداد الحق المسلوب ، وتعاهدنا أن

نكون العدالة المهداة من السماء ، أحياناً يا سيدي الرئيس

تتأخر العدالة الإلهية .

لماذا لا نكون نحن يد هذه العدالة الناجزة على الأرض !

يدها السريعة ،يدها التى تبطش بالفاسدين والظلمة أيًا

كانوا ، وصدقنى يا سيدي الرئيس ، لم نكن أبداً نسرُق أو نقتل أحداً إلا الذى نراه يستحق أن يُسرَق أو يُقتل ، ألا نستحق وساماً لهذه الخدمات الجليلة للوطن بدلاً من هذه اللعنات والسخط الذى ينصب علينا فى الصحف ونشرات الأخبار فى التلفزيون ، والناس تعتقد فى هذا الكلام وتُصدق إننا أنا وعبد السلام قتلة بالفطرة ، وولدنا هكذا مجرمين ، مع إننا يد العدالة ، والله لا أكثر من ذلك ، أرجو يا سيدي الرئيس بعد قراءة هذه الرسالة أن توصل للناس وجهة نظرنا وأننا لسنا كما يرونا ، إننا ندافع عن حقهم ، وكم من المرات ساعدنا محتاجين ، إننا لم نفكر أبداً ونحن نسترد الأموال من أغنياء اللصوص أن نصبح أثرياء بهذه الأموال . كان تفكيرنا هو إعادة توزيع الثروات بالعدل ، فعندنا سوء فى توزيع الثروات كما تعرف يا سيدي الرئيس ، وفكرة أخرى هى القضاء على كبار الفاسدين ، وتستطيع أن تتأكد من كلامي يا سيادة الرئيس ، حاول فقط أن تقرأ تاريخ جميع من قتلناهم أو استرديننا منهم الأموال والمجوهرات أقول استرديننا لا سرقنا ، فالحق هو الذى يُسترد ، وكانوا جميع من يطلقون عليهم ضحايانا ليسوا إلا لصوص ، ليسوا إلا حيوانات تلهت لجمع المال على رقاب هذا الشعب ، لا يهم ، لا يهم أن ينسحق كل هذا الشعب تحت وطأة الفقر ، مادام هناك أسياد تجمع الثروة ، وتنفقها فى لاشيء ، ثم تلقى لهم الفئات . سيادة الرئيس واحد من هؤلاء الناس أنفق على فرح ابنه أكثر من خمس وعشرين مليون جنياً ، هذا الرقم كله ذهب فى ليلة واحدة ، أتعرف لماذا ؟ لأنه جاء بمطرب ومطربه مشهورين ، جاء بهم من أمريكا ،

ومعدات الحفل والألات الموسيقية والفرقة الموسيقية لكل مطرب جاءت على طائرتين خاصتين ، تكلفت كل طائرة منها رقم مخيف ، مخيف جدًا يا سيادة الرئيس ، وكان لابد أن نقف أنا وعبد السلام وقفه مع هذا الرجل المبذر ، هذا السفية ، هذا اللص . نحن نعرف جيدًا أنه لص كبير ، ولقد أرهقنا جدًا هذا الرجل ، أرهقنا إلى الدرجة التي ظللنا أكثر من خمس شهور نراقبه فقط ولم نستطع أن نفعل معه شيء من كثرة الحراسات خلفه ، وكان تحدي لنا ، أو على الأخص لعبد السلام ، حتى إنه قال لي يومًا "يا أنا يا هذا الرجل في البلد . "فعلها عبد السلام ، قتله ، قتله أمام المبنى الذي يضم مجموعة شركاته قتله أمام رجاله ، واستطاع أن ينفذ بجلده بأن ألقى نفسه في النيل وظل يسبح حتى آخر الليل ، وخرج من الناحية الأخرى للشاطئ ، ومنه إلى المخبأ الذي نعيش فيه الآن ، والذي رُصد له مبلغ مليون جنيه لمن يدلكم عليه ، لم أكن أعرف أننا أنا وعبد السلام غالبيتهم لهذه الدرجة ، لو ربع هذا المبلغ فقط تقاسمناه أنا وعبد السلام ، لما كنا أصبحنا على هذا الوضع ، ولكان استطاع أن يحل لنا كل مشاكلنا في الحياة ، أن أتزوج إلهام مثلاً ، على كل حال يا سيادة الرئيس هذه قصتي ، قصة محمد جعفر محمد الجيهني ، ولن أقول جعفر الجيهني ، الاسم الذي اشتهرت به على صفحات الجرائد وشاشات التلفزيون وفي نشرات الأخبار ، هذه قصة مواطن من شعبك ، ولا زلت أصر على أنني مواطن من شعبك ، مواطن سُلِبَ حقه ، وقرر أن يسترده ، وصدقني يا سيادة الرئيس إن أي مواطن لو حدث ووُضِعَ في نفس الظروف والملابسات ، وكان عنده القليل من

الإحساس بالآخر ، وفكرة يؤمن بها وعلى استعداد تام أن يُضحى بالكثير من أجل هذه الفكرة ، يُضحى بأمانه وراحة باله ، كما فعلنا أنا وعبد السلام ، لكان فعل مثلنا ، وفى بلادنا ستجد الكثير يشبهونني أنا وعبد السلام ويتمنون لو كانوا مثلنا ، ولكنه الخوف ، لا يزال الخوف يملأ قلوبهم ، ولو طردوه من قلوبهم للحظة واحدة ، ستجد الكثير من جعفر الجهيني وعبد السلام الدياسطي ، يدا العدالة الإلهية ، اليد التى تقول لا للظلم ، اليد التى تطالب بالعدالة ، اليد التى لا تعترف بأن هناك أحد فوق القانون ، دعني أقول لك شيئاً آخر ، فى هذا المشروع الضخم الذى يقيمونه الآن بأيادى وطنية ، ويهدف للأعمال الخيرية من رعاية الأيتام وعلاج الفقراء ، وقد تأكدنا أنا وعبد السلام من أنه عمل نبيل فعلاً ، ذهب لهم بالأمس رجل يرتدى بدلة أنيقة جداً ونظارة فاخرة على عينيه وفى يده حقيبة، كالتى يحملونها رجال الأعمال بها خمسون ألف جنيه ، قام بالتبرع بهذا المبلغ للمشروع ، ورفض أن يُعلن لهم عن اسمه معللاً أنه لا يريد إلا ابتغاء وجه الله ، وليس الشهرة ، هل تعرف من هذا الرجل يا سيدي الرئيس ؟
إنه أنا :
جعفر الجهيني .

"تمت"

القلوب لا تعرف جنسيات. .

كان قد اعتاد عندما ينهي عمله في شركة الصرافة تمام العاشرة مساءً أن يذهب إلى المطعم الهندي الموجود بنفس الشارع ، والمقابل لشركة الصرافة ليتناول وجبة العشاء والغذاء معا بعد عناء يوم طويل من العمل ، وطوال الخمس شهور الذى أتى فيها من القاهرة إلى دبي ليلتحق بشركة الفردان للصرافة ، وهو يذهب للمطعم الهندي ، وقد أحب المطبخ الهندي ، أحب الأكلات الحارة ، وأحب التوابل الهندي والكاري ، وأحب خبز النان و التشكن تكا مسالا و التشكن بتر والتندوري والكرما والتاركادال واللازى .. وأحبها . لم يعرف ماذا أحب فيها تحديداً، ربما سمارها الأسويى المختلف عن السمار الأفريقي والذى تحار فى وصفه هل هو سمار حقيقي أم هو درجة أخرى من الألوان ، ربما شعرها الأسود الطويل اللامع المٌعطر بالزيوت الهندية ، ربما ابتسامتها الواسعة التي تستقبله بها ، ربما أدبها الشديد وهى تتحدث معه أو عندما تُقدم له قائمة الطعام ، ربما مسحة البراءة التي تكسو وجهها ، ربما شئ آخر . وأصبح ذهابه للمطعم من طقوس يومه الذى لا يتغير حتى في يوم أجازته حيث يجد نفسه وقد خرج ليس للتنزه بقدر ما هو الحرص على أن لا يُغير هذه الطقوس أن يدخل المطعم ، أن يلقاها وهي تبتسم له هذه الابتسامة التي تملأ عليه وحدته وهو بعيداً عن وطنه ، وتبعث فى قلبه مشاعر لا يعرف سببها ولكنها تجعله سعيد ، سعيد بها ومعها ، وعلى الرغم من خجله بدأ

يتحدث معها فى اللحظات السريعة التي يلتقي بها وهي تأتي له بأطباق الطعام حديث سريع ، حديث فيه حلاوة اللقاء وحرارة النداء ، نداء قلبه ، ونداء وحدته ، وعرف اسمها " جورى" ، جوري رحمن تاج ، هندية مسلمة من مدينة مومباي تعيش فى دبي منذ خمسة عشر سنة مع عائلتها الصغيرة، المكونة من والديها وأخ أكبر اسمه فضل الله ، يعمل موظف استقبال فى أحد فنادق دبي الخمس نجوم ، ووالدها يعمل طاهي بالمطعم نفسه التي تعمل به ، بل هو كبير الطهاة بالمطعم علي حد قولها ، وهو الذى توسط لها لتعمل معه بالمطعم وكان قد توسط لشقيقها فضل الله ؛ ليعمل فى فرع جديد للمطعم ، ولكنه رفض وقرر أن يعتمد علي نفسه فى مجال آخر ، هذه عائلتها كما حدثته عنها فى بساطة عندما دعاها فى أجازتها أن تذهب معه إلي برج خليفة؛ لأنه لا يستمتع بالتنزه بمفرده ، وقبلت دعوته علي استحياء ، وهناك فى البرج حدثها عن نفسه وعن عائلته الكبيرة المكونة من والديه وثمانى أشقاء خمسة ، منهم متفرقين فى دول الخليج من أجل لقمة العيش ، وعن " المرج " الحي المتواضع الذى نشأ فيه ، وعن فتاة أحلامه التى عاشت فى خياله سنوات كثيرة دون أن يراها ولو مرة أو يلمس يدها ، ولا يعرف لها ملامح محددة ولا بلد معين ولا حتى مواصفات شكلية ، كل علمه بها أن قلبه سيعرفها عندما يراها ، حتماً سيعرفها ، ثم ضحك ضحكة كبيرة وهو يلتفت لها بكل وجهه ويسلط نظراته على عينيها فى حب ، وقال : هل تؤمني بالخرافات ؟ وابتسمت ابتسامتها

الواسعة التي تملأ عليه وحدته وهو بعيد عن وطنه ،
وقالت:

- عندما يكون الواقع قاسي نلجأ للخرافات لتخلق لنا عالم
آخر نحبه أو نريد أن نكون فيه ؛ ولأن الخرافة في
الأساس هي شيء مستحيل بالتالي العالم الذي نحبه، ونريد
أن نكون فيه سيكون مستحيلاً ، إلا إذا حاولنا تغيير الواقع
، فقال لها كأنه يلقنها نظرية الحياة:

- " الواقع هو قدر ونحن لا نستطيع أن نغير أقدارنا " ،
فقال في حماسة لا تخلو من لطف:

- مخطيء يا عزيزي الواقع شيء والقدر شيء آخر ،
القدر مثلاً أن يولد إنسان يتيم بلا أب ، هذا قدر لا يستطيع
مهما فعل أن يغيره ، أما الواقع أن يولد هذا الإنسان فقير
وبالعمل والجد والصبر يستطيع أن يُغير واقعه أن يمتلك
المال القليل منه ، ثم الكثير ثم الأكثر إلى أن يصبح غنياً
وهذا تغيير للواقع ، فمثلاً أبي جاء من أسرة فقيرة وعمل
منذ صغر سنه في المطابخ بالمطاعم الشعبية، ثم انتقل إلى
المطابخ في الفنادق ثم جاءته فرصة العمل هنا في دبي منذ
ثمانية عشر عاماً بمرتب أكبر بكثير من الروبيات، التي
كان يحصل عليها في مومباي ، ومنذ أن جاء إلى دبي
وهو لديه حلم وحيد ، أن يتوفر لديه المال الكافي ليمتلك
مطعم كبير في أكبر شوارع بومباي ، وبعد سنوات كثيرة
هنا استطاع شراء محال مساحته كبيرة يصلح لأن يكون
مطعم ذو طابقين في أكبر وأرقى شوارع مومباي ،
وبحسبة بسيطة يتبقى لنا هنا ثلاث سنوات أو أقل ليتم
تجهيز المطعم من ديكورات وأدوات أخرى ليكتمل العمل
، وسنعود كلنا إلى الهند حتي أخي فضل الله قرر أن يعود

ويعمل معنا ، إن أبي يقول إنه سيصبح أكبر مطعم فى بومباي ولن يقتصر على الأكلات الهندية فقط ، بل سيجعله معرضاً للأكلات الآسيوية ، أرأيت كيف إستطاع أبي أن يُغير واقعه ! فقال لها وهو لا يزال يُسلط نظراته علي عينيها في حب : إن والدك رجل عظيم . فقالت وهى تتحاشى النظر إلي عينيهِ كأن نظراته سهام كيوبيد ترشق فى قلبها البرئ.

- إن كل رجل فى الهند لديه حلم مثل والدي ولعلك تري كثير من الرجال يحملون الجنسية الهندية هنا، وفى معظم دول الخليج وفى أمريكا وفى أوروبا يتمركزون أكثريتهم فى بريطانيا ، كل هؤلاء لديهم أحلام مثل أبي وهم يتحملون سنوات كثيرة غرباء خارج الهند من أجلها . الهند نفسها عبارة عن حلم كبير عاش من أجله رجل هندي عظيم وبسيط فى نفس الوقت لم يُغير واقعه وواقع بلده فحسب ، بل نستطيع أن نقول بمنتهى التواضع أنه غير العالم وأصبح فيما بعد مُلهم لزعماء وقادة حركات فكرية وحتى أناس عاديون ، ومن المؤكد وقعت تحت يدك الروبية من كل الفئات ولعلك لاحظت صورته مطبوعة عليها " غاندي "، أو كما نحب أن نقول " مهاتما غاندي " أي الروح العظيمة غاندي ، وهو مثال عظيم للحلم الهندي المتمثل فى شعبها ، كان النموذج والمثل الذى أبهر العالم قبل أن يبهرننا نحن شعب الهند ، كان يقول أن حمل السلاح ليس دليلاً علي القوة ، واستطاع بهذه الحكمة أن يحرر الهند من الاستعمار البريطاني ، ولم يكن سلاحه إلا "الساتياغراها "أي فرض سيادة الحقيقة، وهو المبدأ الذى قامت عليه حركته السياسية بضبط النفس والاكتفاء الذاتى

دون اللجوء لمنتجات الاحتلال ، وفعلها . استطاع أن
يحرر شعبه من الخوف وأن يستعيد حقوقه بتحقيق
الاستقلال بهذا الإيمان والحلم الذي عاش بداخله ،
بالمناسبة أنا أعتقد أن أي إنسان لديه حلم أو مجموعة
أحلام ولكن نسبة إيمانه بهذه الأحلام هي ما يجعلها إما أن
تكون واقع ، وإما أن تكون مجرد أحلام لا تتعدى حدود
خياله . اووووه نسيت أن أقول لك شيء آخر عن غاندي
، لو ذهبت إلي ساحة تافستوك في لندن ، ستجد تمثال له
هناك ، أليس ذلك دليل عظيم علي أن الحلم الهندي تخطي
حتى حدود الكراهية ! بدلاً من أن يكرهوا سيرة هذا
الرجل الذي حرض على فك أسر شعبه من قيود الإنجليز
، قام الإنجليز أنفسهم بعمل تمثال له .

فقال لها مبهوراً بحديثها وثقافتها وهو يتعمد أن يرشق
سهام كيوييد في قلبها البريء ، لدي حلم الآن ولكن ليتأكد
إيماني بهذا الحلم أريد أن أطرح عليك سؤالاً ،
قالت وهي تتحاشي نظراته: - تفضل .

فابتسم لها ابتسامة واسعة كالتي اعتاد أن يراها منها .
وقال : - هل من الممكن في تقاليدكم أن يتزوج مصري
مسلم من فتاة هندية مسلمة ، أم هناك ما يمنع ذلك لديكم ؟
فقالت في خفر:

- لو الحب والإيمان بهذا الحب بينهم لا أحد يستطيع أن
يمنع ما حلله الرب حتى ولو كان بين مصر والهند ، فأنا
دائماً كنت ولازلت مؤمنة بأن القلوب لا تعرف جنسيات

"تمت"

دماء في ليلة حب

كانت ترقد بجانبه على الفراش عارية حينما قالت وفي عينيها نظرة كلها حيرة :

- إذن نتزوج ، هذا إن كنت تحبني كما تقول !

ورد عليها في برود :

- وهل لو تزوجتك الآن فهذا دليل على حبي لك.

وقالت في غيظ :

- على الأقل أضمن أنك لن تكون لامرأة غيري.

وضحك وهو يقول :

- ولا حتى هذا ، يبدو أنك خائبة ، قد أكون صحيح زوجك

، ولكن في نفس الوقت أكون لامرأة غيرك ، أو لامرأتان

، أو ثلاث ، الزواج يا حبيبتي مجرد عقد يُكتب في ورقة ،

وليس معناه أن يُكتب في قلبي وضميري ، وعلى النقيض

قد لا نكون أزواج ولكن أكون حبيب مخلص لك وحدك

، واشتد غيظها وهي تقول :

- ماذا تعني من كل هذا ؟ ألا تريد الزواج مني ؟

وقال وهو يضع يده على كتفها في حنان:

- أنا أريد حبك ، أريد أن أكون مخلص لك ، وليس مجرد

زوج ، مجرد موظف ، إن الحب يموت دائماً عندما

يتحول إلى وظيفة ، وأنا لا أريد أن يصبح حبنا حباً ميثاقاً .

ونهضت من جانبه وأخذت ترتدى ملابسها الداخلية ثم

قميص نومها في عصبية ،وقالت :

- أنت أخذت كل شيء ، وهذه غلطتي ، لم أترك لك شيئاً

واحداً تتزوجني من أجله ، مغفلة أنا.

وقال كأنه يواسيها على مصيبتها:

- لماذا تسميها غلطة ، إنه وقت جميل قضيناه معًا ، متعة من مُتَع الحياة تمتعنا بها سوياً ، ولا تنكري أنك لم تكوني سعيدة ، إن كل لقاء بيننا كنت ألح السعادة في عينيك مع كل قبلة وكل عناق، وازدادت سعادتك في الآونة الأخيرة إلى ضحكات مدوية ،كانت ترج أرجاء هذه الغرفة عندما كنتِ تجذبيني إليكِ وتطلبين منى أن أمنحك لحظات أكثر من العنف اللذيذ.

ونظرت إليه نظرة طويلة كأنها تريد أن تصفحه على وجهه وقالت :

- أنت سافل.

وقال وهو يضحك ضحكة الشماتة :

- لست أكثر منك يا قِطة.

ومدت يدها تلتقط البنطلون من على طرف السرير وإرتدته ساهمة، كأنها لا تصدق ما تسمعه ، ثم فجأة التفتت إليه وصرخت :

- سأقتلك إن لم تتزوجني ، لن تتركني للفضيحة وتعيش أنت في سلام .

ونهض من على السرير يتمتع عارياً كأنه طرزان، وقال في كسل دون أن ينظر لها:

- أعلى ما في خيلك إركبيه ، لن أتزوجك ، لن أكون في وظيفة عندك أو عند غيرك.

وعادت تقول وقد خفت من حديثها وطبقة من الدموع في عينيها:

- لم كل هذه القسوة ؟ أين حبك ؟ أين عهودك ؟

ودار بعينه في الغرفة يبحث عن ملابسه الداخلية حتى
وجدها ملقاه على الأرض ، ثم قال كأنه يلقتها درساً في
الحياة :

- قولي لي سبباً واحداً أتزوجك لأجله ، أنا منذ أكثر من
سنة وأنا أعاشرك ، إنني أتذكر أنه لم يمر أسبوع واحد في
هذه الفترة لم أأخذك فيه مرة وأحياناً مرتين أسبوعياً ،
وكما قلت أنت لم تتركي لنفسك شيء واحد تدهشيني به إذا
تزوجتك ، إن الرجل يلهث وراء المرأة التي ترتدي
البكيني على البلاج ، يلهث كالكلب وراء سيقانها
وذراعها ونهديها وخصرها ، وكأنه يلهث وراء عضمه ،
ويتمناها بكل قطعة فيه ولكنها أمنية دون زواج ، فعندما
يقرر أن يتزوج يذهب إلي امرأة أخرى لا ترتدي البكيني
، امرأة أخرى تخفي جسدها عن عيون الناس ، تدهشه
بكل قطعة من جسدها الذي لم يره غيره ، تمنحه سعادة
خاصة بأنه الوحيد في هذا العالم الذي سمحت له بأن يرى
هذا الجسد ، فما بالك بهذا الجسد وقد تنازل حتى عن
البكيني وسمح بأن يتذوقه رجل ليس بزواج ، رجل عابر
مجرد أن ألقى على مسامعها كلام الحب وصدقته ،
وتركت له جسدها يتذوقه ، ولكني تخطيت حتى مرحلة
التذوق يا حبيبتي ، فكما تعلمين أنني كنت أقيم حفلة كاملة
على شرف جسدي في كل مرة ، ليس لأتذوق فقط ولكني
كنت أأكل حتى الشبع ، أكل بنهم للدرجة التي كنت أتخطي
بها مرحلة الشبع ولم ألحظ منك ، ولو مرة واحدة شبهة
اعتراض على طريقة أكلي برغم أنني كنت أكل في بعض
الأحيان بطريقة مقززة ، بعد كل هذا ماذا أتزوج فيك .
وقالت وهي تببتسم ساخرة :

- عندك حق أنا أستحق أكثر من ذلك ،ولكني لن أدفع الثمن وحدي، أتفهم ؟
والتقط ملابسه من على الأرض وبدأ يرتديها، وهو يقول في لهجة ساخرة:
- سبق أن قلت لكِ يا حبيبتي ،أعلى مافي خيلك أركبيه.
وابتسمت بكل وجهها وكأنها تبتسم لوداع صديق وقالت:
- حاضر يا حبيبي.
ولملت نفسها بأن أعادت تنظيم شعرها فوق رأسها ،
ووضعت قليل من الميك أب على وجهها وخرجت من الغرفة ، ولم تخرج من الشقة ولكن اتجهت للمطبخ وفتحت أحد الأدراج والتقطت أكبر سكين به وعادت للغرفة وكان وقتها يقف أمام المرأة يهندم في شعره ،
و . . .
وغرست السكين في جسده ، ولم تتركه إلا وهو يتهاوى على الأرض وهو ينظر لها في دهشة ، دهشة يملأها الغيظ .
وقالت وهي تنظر له من فوق مبتسمة:
- هذا هو أعلى مافي خيلي يا حبيبي.
ولم يرد عليها، مات وعيناه لازالت تملأها الدهشة ،
ودماؤه تسيل على الأرض ،
وتركته وخرجت من الشقة وهي تحاول أن تبدو طبيعية وابتسامة ضعيفة تضعها على شفتيها .

"تمت"

سيدتي الجميلة

كنت قد اعتدت مقابلة القارئات فى مكتبتي بمجلة " الناس " كل يوم خميس وهذا طبعًا بعدما يُحدد لهن موعد من قبل السكرتارية ، وقد داومت على هذه المقابلات منذ ثلاث سنوات عندما بدأت أكتب باب "سيدتي الجميلة " ببريد القراء بالمجلة ، وكنت أطرح كل أسبوع سؤالًا عن إشكالية معينة يأتينا بعدها رسائل القارئات يكتبن تجاربهن مع هذه الإشكالية ، أو يطرحن وجهة نظرهن فيها ، وبعضهن كانوا يطلبن مقابلتي فى المكتب للحديث معي شخصيًا فى هذه الإشكاليات بعيدًا عن ما يُكتب فى الجريدة ، ربما لأخذ المشورة مباشرة دون انتظار إصدار العدد ، وربما منهن من كان يتعامل معي باعتبار محلل نفسي يريدون الفضفضة معه ليس أكثر ، وهكذا فتحت باب مكتبتي يوميًا واحدًا فى الأسبوع استقبل فيه القارئات، وأستفيد بتجاربهن فى الحياة فى أعمالي الأدبية بعيدًا عن باب سيدتي الجميلة وبريد القراء ، ولعلني أجد فى تجربة أحدهن موضوعًا لرواية أو قصة مثيرة ، فحكايات النساء دائمًا أكثر إثارة من حكايات الرجال ، وهن أيضًا يستفيدوا من آرائى ومشورتي لهن .

وكانت لميس واحدة منهن جاءت بعدما طرحنا فى العدد الماضي من المجلة إشكالية عن حرية الفتاة فى المجتمعات العربية ، وعن المعنى الحقيقي لهذه الحرية، وحدودها إلى أين تصل .

جاءت لميس متحمسة جدًا لهذه الإشكالية وكأنها كانت تنتظر أن يُطرح هذا السؤال لتُفيض ما بداخلها من آراء

تراها منطقية وصحيحة، لاتقبل المناقشة أو التعليق ،
والحقيقة أنا لم أناقشها ، تركتها تتحدث وتستفيض فى
حديثها ، ولحق كنت مستمتعا بها وهى تتحدث بحماس
،وكانها قاسم أمين يريد أن يُحرر المرأة من جديد ،
وقالت فى حماستها :

- عزيزي الأستاذ خالد ، بالتأكيد أنا فتاة حرة ، فتاة
متحررة كما تراني وكما يراني باقي أصدقائي وزملائي ،
ربما تحرري من وجهة نظرك مبالغاً فيه خصوصاً
بالنسبة لملايبي، وأعترف لك أيضاً أنني مؤمنة بمدى
مبالغته ، ولكنني لست أحب أن يُقال عني أنني (موضة
قديمة) ، وكيف ونحن نرى حولنا العالم كله وقد غداً
كقرية صغيرة ، فضائيات، إنترنت ، أقمار صناعية .
والفتاة كائن حي له عين ترى وإحساس يدفعها بأن تجاري
ما تراه من بنات الغرب ، إن الفتاة فى أوروبا وأمريكا
تستطيع أن تترك المنزل من سن السادسة عشر وتجلس
مع البوى فربند فى بيته ، وأبدًا ما أطالب بهذا الانحلال
وهذه الحرية الغارقة ؛ لأننا لا زلنا نحمل العروبة فى
هويتنا واسم الله فى قلوبنا ، وأعترف لك أن كثير من
فتيات الجيل ليسوا بهذا التدين المطالبون به ، ومع ذلك
لسنا بهذا السوء الذى يعتقد المجتمع فينا ، فمن الممكن أن
أصادق فتى معي فى الجامعة أو فى العمل أو .. أو .. من
الممكن أن تنطلق شرارة الحب بيننا، ومن الممكن ونحن
نسير معاً أن تتشابك الأيدي ، ومن الممكن أن يُقبلني قبلة
المحبين ، مجرد سلام، سلام بالشفاه ، لكن ليس أكثر من
ذلك، فالى هنا يتحرك هذا الدين و هذه العقائد الموروثة
فينا ، فى قلبي ، وتصرخ فى أعماقي ، انتبهى أنتي فتاة

عربية ، فتاة مسلمة . إلى هنا تقف الحرية بلا حراك ، وأعود لموضوع الملابس ، إنها طبيعتنا نحن الفتيات ، أننا نغار من بعضنا البعض ، إن الفتاة تغار حتى من أعز صديقة لها، بل و أختها إن قالوا عنها أنها غاية فى الأناقة عنها ، وتحررى من قيود التقاليد القديمة ، هو أيضاً مجارة للزمن، زمن الواتساب والفيس بوك ، زمن اللاب توب والـ آى باد والسمارت فون يا عزيزي . لم تعد الفتاة جالسة فى بيتها تنتظر الفارس الذى يحملها على حصانه الأبيض ، لقد مضى هذا الزمن ، إنها الآن هى التى تختار الفارس والحصان الأبيض ، لم يعد وجود الأن للحب العذرى، الحب الذى يكتفى بنظرة وابتسامه خجولة فوق الشفاه ، لقد ذهب هذا الزمن ، ولا بد أن نواكب العهد الجديد وإلا سنصبح مجرد أنتيكات قديمة فى المتحف العربى ، ومع ذلك أنا لا أقول لك أنني حرة هذه الحرية المطلقة ، مع كل هذا إنها حرية محدودة فى إطار رواسب داخلنا ، وعقائد داخلنا نحن ، لا تفرض علينا ، ثم إن الفضيلة يا عزيزى لا تُفرض علينا بالسوط، إنها كزرع يكبر ويتعرعر بمرور السنين ، فأنا أستطيع أن أقنع عائلتي وجيرانى وأبناء خالتي وأبناء العمومة أنني أشرف بنت على وجه الأرض ، بينما أنا بعيدة كل البعد عن هذه الصفة ، سأقص عليك قصة صديقة لي لاثبت لك فحوى كلامي :

كان لعائلة صديقتي هذه برنامج يومي محدد لا يتغير ، فهم ينامون فى الثانية عشر ويبدأوا يومهم فى الساعة السابعة ، وكانت هذه الصديقة تتسلل بعد الساعة الواحدة سراً وفى الخفاء إلى خارج المنزل لتقابل صديق أخاها والذي

ينتظرها في سيارته أمام المنزل وتلقى بنفسها في السيارة وتطلق بها السيارة إلى مكان بعيد ، مكان هاديء تظل معه فيه حتى الرابعة فجراً ، ولك أن تتخيل وتسرح بخيالك ماذا يحدث في هذه اللقاءات ، ثم تعود قبل أن تستيقظ العائلة وكأن شيئاً لم يكن ، وهى بالمناسبة ملابسه غاية في الاحتشام وصوتها خفيض ويخيل لمن لا يعرفها أنها خجول . أما أنا فكما تراني ويرانى باقى زملائي وأصدقائي لست محتشمة ولا أرتدى حجاب ، وملابسي بها كثير من التحرر كما ترى ، ليس لأجذب بها الأنظار ، لكن فقط لمسايرة الموضه ، باختصار أنا مجنونة بأحدث صيحات بيوت الأزياء ، وأبحث عنها دائماً فى مجالات الموضه فقط لأنى لا أحب أن أكون موضه قديمه بين صديقاتى و زميلاتى ، إنها الغيرة يا عزيزى ، فقط الغيرة وليس قلة حياء كما يعتقد البعض ، أما عن حديثي مع الطلبة وفهقتنا العاليه التى تخلو من معنى الحياء كما يتردد عنا ، بل أود أن أضيف لك معلومه أخرى أن أغلب أصدقائي طلبه أكثر منهم طالبات ، وهذا ليس غريباً ، لقد أصبحنا فى عصر السموات المفتوحة ، سموات حرة ، لا مجال فيه للفتاة الخجول الضعيفه المغلوبه على أمرها ، لقد أصبحنا الأقوى ، أصبح القرار فى يدينا ، لا فى يد ولى الأمر ، لم يعد فرض الرأي على البنات كما كان فى العهد القديم ، إنها تفعل ما تريد وقتما تريد ، ألم تسمع عن مصطلح "المرأة المستقلة القويه " المتداول هذه الأيام بشده بين فئة من البنات ؟ ألم تسمع عن الفتاة التى أنشأت صفحة على الفيسبوك تدعوا فيها لشراء رجل ؟ تريد فيها هذه البذرة

الذى يزرعها الرجل داخل المرأة لتصبح أمًا ، هذه الفتاة أعلنت أنها تريد أن تصبح أمًا بدون أن تتزوج ؛ لأنها ببساطة لا تطيق الزواج ولا تطيق معاشرة الرجل فى بيت واحد ، ولكن نداء الأمومة دعاها فلبت ندائه بهذه الطريقة . ألم تسمع عن السنجل ماذر والتى لاقت ترحيب كبير من بعض الفتيات فى مجتمعنا ؟ وقاموا بإنشاء صفحات على مواقع التواصل الاجتماعي لمؤزارتها وتأييدها ودعمها ، إن التغيير قادم شاء المجتمع أم أبى ، حتى التقدم العلمي سهل لنا ما لم يكن فى الماضى البغيض ، فى الماضى كانت هناك جملة تتردد على مسامعنا دائماً ، شرف البنت كعود الثقاب لا يشتعل إلا مرة واحدة . أما الآن يا عزيزى بفضل التكنولوجيا أصبح شرف البنت كولاعة السجائر تشتعل ألف مرة بفضل عمليات الترقيع ، إنك لن تستطيع فى هذا الزمن أن تُجزم بعذريه الفتاة التى تزوجتها ، حتى لو بدت أمامك عذراء ، ولكني ومع كل ذلك أقول لك ، أنني لست فتاة سهلة تستسلم بسهولة تحت شعار الحب ، أى حب ، أنا فقط فتاة حرة ، تمتلك إرادتها فى النهاية، وأنا أرحب بأي صديق يعرض لي صداقته ، وأقبلها لأنني فتاة حرة ، حرة أرفض أو أقبل ، وأنا أقبل طالما فى إطار القانون الذى وضعته لنفسى وليس ما وضعه المجتمع لي ، ولكن يكفيني أنا أن قانوني يخاف الله .

انتهت لميس من حديثها وهى تنتظر لي بنفس حماسها مترقبة أن أعلق أو أجادلها فيما كانت تقول ، ولكنها رأتني

مبتسمًا، وعندما طال زمن الابتسامة قالت وهى توجه كلتا عينيها لي قائلة :

- فى الواقع لا أفهم سر ابتسامتك ، هل هى موافقة وإعجاب أم ابتسامه سخريه مما قلت .

دافعت عن نفسي تهمة السخرية، وأنا أقول مقتبسًا حماسها :

- حاشاني أسخر منك وقد تحدثت بمهارة وكأنك محامية تدافعي عن قضية جيل لا إشكالية مطروحة فى باب سيدتي الجميلة .

ندت ضحكة عنها وهى تقول:

- أنا فعلاً محامية ولكن لازلت تحت التمرين.

قلت مجاملًا:

- من الواضح أن ساحات المحاكم ستكسب فى الأيام القادمة مدافعة ماهرة عن الحقوق والحريات.

قالت فى ابتسامه وهى تمسك بحقيبة يدها الموضوعه على الكرسي أمامها:

- أراك تبالغ ، ثم إن القضاة يأخذون بالمظاهر أي بالدليل وكثير من الأبرياء فى بلدنا ضاع منهم الدليل ، عمومًا فرصة سعيدة ، ومدت يدها تصافحني وقبل أن تغادر المكتب قلت لها:

- هل تمنعين فى أن أنشر وجهة نظرك كاملة فى العدد القادم؟

قالت وابتسامه حلوة على شفتيها :

- بالتأكيد من دواعي سروري أن يصل ما حدثتك به إلى قرأ المجلة فهذا يرضي غروري .

وقلت مداعبًا:

- غرور المحامية طبعًا.
قالت في ثقة .
- غرور حواء يا أستاذ .
قلت ضاحكًا:
- آه من حواء !

"تمت"

ست قصص قصيرة جداً

القصة الأولى

الاختيار..

قضت كل عمرها تعيش بين الدموع والألم والبؤس ،دموع الحرمان ، وألم الفقر، وبؤس الحياة ، واكتفت من التعليم حتي المرحلة الابتدائية ، كان التعليم هو أن تتعلم القراءة والكتابة من وجهة نظر والديها ، وأخذتها أمها للعمل معها ، وكانت أمها تعمل مساعدة في المطاعم تذهب كل يوم في الصباح لمدة ساعة لأكثر من مطعم من مطاعم الأكلات الشعبية، تقوم بتجهيز وإعداد الطعام من غسل الخضار وتقطيعه وتجهيز السلطات وتسخين المياه اللازمة للطهو إلي أن يأتي العمال ويقوموا بعملية الطهو ، وذابت الابنة في عملها الجديد تشاهد أصناف الطعام ولكنها محرمة عليها ، تلمسها دون أن تتذوقها ، وكان لها حلم خاص أن تتدخل يوماً أحد هذه المطاعم مثل أي زبون وتجلس علي مائدة وحدها، ويأتيها النادل وتطلب منه قائمة طعام وتختار بنفسها ما تريد أن تأكله ، ولقد عاشت عمرها كله وهي تفتقد رفاهية الاختيار ، اختيار أي شيء في حياتها ، إنها لم تختار أن تتوقف عن التعليم ، ولم تختار أن تعمل مع أمها في مهنتها ، ولم تختار أن تكون

فقيرة ، ولم تختار اسمها "هنومه" إنها لا تحب هذا الاسم.

ومرت خمس شهور استطاعت أن تدخر مبلغاً من المال من عملها بعيداً عن ما تأخذه منها أمها ، وذهبت إلي أحد المطاعم الفاخرة التي تقع في وسط المدينة ، أعجبها صور الأطعمة التي يضعونها علي يافطته ، وجلست علي المائدة وشعور جديد يملأها ، شعور بأنها من الممكن أن تكون سيدة مهمة يأتيها نادل يرتدي حُلة كاملة ؛ ليعرض عليها قائمة الطعام، شعور

بأنها من الممكن أن تكون شيء في هذا العالم.

وطلبت قائمة الطعام من النادل فاخترت من أمامها وعاد بعد دقيقة واحدة وفي يده القائمة ، وأخذت تنفقد قائمة الطعام ولا يزال يملأها شعور بأنها مهمة ، إلى أن تغيرت ملامح وجهها فجأة من الصدمة صدمة الأسعار المكتوبة أمامها ، فافتعلت ابتسامة وهي تعيد القائمة للنادل وقالت له :

- اختر لي أنت علي ذوقك في ما لا يتجاوز العشرون جنيهاً.

فرد النادل بوجه متجهماً كأنه يحتقرها:

- يوجد ساندويتش هامبرجر ثمنه عشرون جنيه تقريباً.

فقالت وهي تشعر بالعار:

- حسناً ليكن هامبرجر .

واختفى النادل مرة أخرى من أمامها ، وعاد بعد نصف ساعة وكأنها أتفه من أن يكون حريصاً علي أن لا يتأخر عليها كأني زبون عادى وفي يده طبق صغير وحيد وضعه

أمامها ، فابتسمت للطبق في رثاء ، وقالت في نفسها وهي تضع يدها علي خدها :
- كان لابد أن انتظر عام كامل حتي أمتلك رفاهية الاختيار

القصة الثانية

ابن الثورة

قالوا له إنها ثورة ، والبعض الآخر قالوا له إنها مجرد مظاهرة كبيرة ، ولم يكن يهمه أن تكون ثورة أو مظاهرة ، كل ما كان يهمه وشاهده علي شاشات التلفزه أن هناك أناس كثيرون يتجمعون في حيز واحد ويصنعون بهذا الحيز زحام ، وهو من عشاق الزحام ، بل أن هوايته الأولى هي البحث عن التجمعات المزدحمة بالناس ، وبالأخص المزدحمة بالنساء والفتيات ليقترّب منهم وسط الزحام ويتلمس أجسادهن اللينة ، أجسادهن الملبى- كما يحب أن يصفهن -إنه متحرش خطير ، متحرش فنان جيد فن التحرش في الزحام دون أن تشعر به الضحية ، بل من قدراته الفنية أن يتحرش بفتاة ويتلمس أكثر المناطق حساسية في جسدها ويلصق التهمة بالرجل الذي يقف بالقرب منه ، بحيث إذا أدارت الفتاة وجهها لتبحث عن من

تلمس جسدها فتجد رجل آخر ويكون هو أصبح بعيداً عنها

،

إنه لص ، لص أجساد.

وفرح اللص بالثورة ليس كفرحة الثائرين والمؤيدين لها ،

ولكن فرحة بعالمه الأثيري وهوايته المفضلة

واستعد للقاء ، ارتدي أغلي ثيابه ، وذهب إلي الميدان ، إلي

الزحام ، ومن هناك ابتاع علم الوطن من أحد البائعين

الذين يفترون الأرض بالقرب من الميدان ، واتجه إلي

قلب الميدان ، قلب الأحداث ، قلب الزحام ، ومكث

ساعتين يتعرف علي الأجواء وكله حماس وخيالات تتطلق

من

رأسه وهو يشاهد الملبن يتحرك أمامه يميناً وشمالاً ، ولمح

فتيات لهن وجوه جميلة وأجساد يحبها يقفن في الخلف ،

فاتجه نحوهن في خطى سريعة وكله عزيمة علي إتمام

هوايته معهن .

وفجأة.

توقفت الخطى ، وهوى صاحبها علي الأرض من طلاقات

رصاص مجهولة استهدفت الميدان ، وسالت دماؤه علي

أرض الميدان ، وتوجه شباب الثورة إليه بعد أن توقفت

طلاقات الرصاص ، وحملوه علي أعناقهم وهم يهللون

بالتكبير ويصرخون) : شهيدك الأول يا ثورتنا (، وبحثوا

في ملابسه عن أي أوراق تدل علي شخصيته ، ووجدوا

بطاقة الهوية . الاسم: محمد سليمان عبد الكريم الشامي -

مواليد : السيدة زينب - العمر ٢٥ : سنة ، حاصل علي

بكالوريوس الخدمة الاجتماعية ، وتناقلت وسائل الإعلام

من صحافة وإذاعة وتلفزيون اسمه وصوره ، وذاع صيته

واشتهر اسمه بين الشعب " سليمان الشامي " رمز الثورة المجيدة وأيقونة الصمود لدى الثائرين ، وطُبعَت صورته علي جدران الجامعات ولقبوه الطلبة بـ" ابن الثورة "، وغني له مطرب مشهور " يا شهيد إنت مكانك في الجنة مش هنا " ، وبعد تخلي الحاكم عن السلطة ونجاح الثورة طالبوا الثوار بتغيير اسم الشارع الذي يقطنه سليمان أول شهيد للثورة ليكون باسمه ، واستجابت الحكومة إرضاء للثوار وأصبح اسم الشارع (شارع سليمان الشامي) وبخط أصغر كُتب تحتها " ابن الثورة " .

القصة الثالثة

وخز الضمير

كان يحلم بأن يمتلك ثروة كبيرة ، وعلي مر السنوات استطاع أن يجمع ثروة ضخمة ولكنها ثروة مشبوهة ، جمعها بالغش والتدليس والتجارة الممنوعة ، وكان يحلم بأن يكون له زوجة جميلة من عائلة كبيرة ، وتزوج امرأة جميلة من عائلة كبيرة ، ولكنها خائنة وهو يعرف أنها تخونه مع شاب أصغر منها أحببت فيه رومانسيته التي يفتقدها هو ، وكان يحلم بأولاد يحصلون علي أعلى

الدرجات العلمية وأرقى المناصب ، وتحقق له ما تمنى ، وأنجب ثلاث من الأبناء منهم الضابط والمهندس والمحامية ، ولكن جميع أخلاقهم أخلاق بلطجية ولصوص ، فلا يعرف لهم الشرف طريق ولا الأمانة باب تدقه عليهم ، وكان يخاف منهم . يخاف أن يضع نفوده في متناول أيديهم ، كان يخفيها عن عيونهم ويضعها في خزانة مغلقة بأرقام سرية مهما كان المبلغ الموضوع ضئيل أم كبير ، ولكنه كان دائماً ما يتذكر حياته الأولى عندما كان شاباً في أعمارهم ، كان أضل منهم سبيلاً ، كان لصاً ، سارقاً ، خائناً ، منافقاً كبيراً ، شريراً عظيماً ، وصل به الشر أن قتل أعز أصدقائه عندما شعر أنه سيقف حائلاً بينه وبين مبلغاً كبيراً من المال سيحصل عليه ، ولقد قتل في حياته مرتين ، ولم ينكشف أمره في المرتين ، والمرة الثانية كان حماه ، والد زوجته ، وكان عميد شرطة ، عندما أحس أنه بدأ يتشكك في أمر ثروته ويبحث وراءه ، ويضيق عليه الخناق ، قتله . وبعد ستة أشهر تزوج ابنته ، ليس كنوع من تأنيب الضمير تجاه والدها ، فلم يكن للضمير حساباً لديه ، ولكن لذكري والدها الضابط الشريف وتاريخه شفيعاً له عند الداخلية يجعلهم يغضون بصرهم عنه وعن تجارته المشبوهة ، هكذا كان يعتقد . وأيضاً لجمالها الفاتن ، وكانت من أحلامه أن تكون له زوجة جميلة فاتنة ذات حسب ونسب ، ومضي بحياته يحمل خطاياهم دون أن يكثرث بها أو تنتابه لحظات من وخز الضمير ، ولكنه منذ أيام وبعد أن أتم عامه الستين ، بدأ يشعر بهذا الوزر يقلقه في منامه ويقظاته ، يشعر بضحاياه يصرخون يمدون أياديهم إلى عنقه يخنقونه

، وكلما نظر إلى أبنائه ورأي أخلاقهم التي تفسد عليه حياته ، ازداد صراخ ضحاياه وازداد معهم وخز ضميره ، إن هؤلاء الأبناء بأخلاقهم الفاسدة هو الدين الذي تأجل أكثر من ثلاثين عامًا وهو يدفعه الآن ، وفكر في أن يتبرع بكل أمواله لأعمال الخير ربما بذلك يستطيع أن يكفر عن شيء من خطاياهم ، ولكنه خاف ، خاف من أولاده.

القصة الرابعة

أشياء لا تُرى

كنت أراهم مجموعة من الفلاحين جاء بهم القدر إلى قرية نائية بعيدة ، بعيدة عن كل شيء ، عن أضواء المدينة ، وزخم المدينة ، وتحضر المدينة ، وتمدين المدينة ، وهم أناس دائمًا يدعون هذا التمدين ، يرتدون أزياء غريبة ، وألوان ليس فيها نوع من التناسق ولا حد أدنى من الشياكة ، ولم يكن يخطر على بالي أبدًا أن يكون يومًا بيني وبين أحدًا منهم أي لغة حوار . إلى أن رأيته ، وكانت من هذه القرية ، جميلة ، كل مافيها جميل ، عينيها ، شفيتها ، صوتها ، خطواتها الرشيقة ، قوامها الذي كغصن البان ، رقتها ونعومتها التي كالحرير ، براءتها وشقاوتها ، كشقاوة طفلة لم تتجاوز الخمس سنوات ، وكانت متحضرة بمعنى

الكلمة ، وبعبدة كل البعد عن ادعاء التمدين ، هكذا رأيتها
وعرفتھا .
وتحادثنا كثيراً
وفى كل مرة كانت تُثبت لي أنها نوع آخر من النساء،
، إنها غير النساء اللائي
عبرن فى طريقي
، وبرغم أنها مثقفة وتعمل وطبيعة عملها يجعلها تقابل
أنماط كثيرة من البشر وهى أيضاً
اجتماعية تهوى الحديث مع الناس وتكوين صداقات بينهم
ومع ذلك سترها بريئة،
، نقية
لم تتلوث بهذه الصفات التى امتلأت بها نفوس الناس،
إنها لم تسمح لنفسها أن تكون مثلهم وكأنها فضلت أن
تكون فى درجة أعلى من الناس
درجة تقترب من الملائكة ،
، أندرون
إنها الآن زوجتي،

وبينى وبينها يوماً لغة حوار لا تنتهي،
أبداً لا تنتهي.

القصة الخامسة

الجسد . .

كانت تقف أمام كافثيريا الجامعة ترتدي تي شيرت ضيق جداً يلتصق بجسدها المشقوق فتبرز مفاتنه ، وجيب يرتفع كثيراً إلى أن يصل إلى ركبتيها فتظهر منه ساقها ، وكانت صاحبة سيقان جميلة ومرتوية أيضاً تدير بها الأعناق والعيون والأفئدة ، والحواس كلها إلى هذه السيقان ، وكانت وقتها تدير ظهرها وتتحدث مع عامل البوفيه ومن خلفها اكتظت الأعناق والعيون والأفئدة والحواس ، تقف ، تترقب ، تدعو السماء ، وتنتظر لفظة من صاحبة هذه السيقان الجميلة ، وهذا الجسد المشقوق . وأخيراً التفتت ، وأحدث التفاتها صمت ووجوم ساد لفترة قصيرة ، ثم انطلق بعدها صوت من بين الجموع الغفيرة التي انبهرت بساقها ، وجسدها وهو يقول : أعوذ بالله ، دى شبه واحد صاحبي ، هاهاها ها ، وانطلقت وراء ضحكته الساخرة ضحكات أخرى كثيرة لا ترحم ، أما هي فكانت تجري من أمامهم تبكي خجلاً .

القصة السادسة

فراشة تحترق

عندما تظهر أمامهم ، فلا يستطيعون أن يملكوا أنفسهم من الضحك ، ويتعجبون من هذا المخلوق وهذه الهيئة التي تشبه برميل يدب على الأرض ، فهي بدينة ، بل إنها بدينة جدًا ، أشبه بدبة تتبختر فوق الأرض ، ومن فرط بدانتها اختفت ملامح وجهها ، فلا تعرف إن كانت هي جميلة أم قبيحة أم عادية ، وفي كل مرة تظهر فيها للناس يتهاشمون عليها، ثم يضحكون بصوت عالٍ يصل إلى أذنيها ، ثم يتسلل إلى قلبها فيملؤه حزن ، ولم يكن يعرف أحدًا من هؤلاء الذين يضحكون عليها ، إنها صاحبة قلب يمتليء بالإحساس المرهف ، يمتليء بالحب لكل الناس ، بالحنان لكل الناس ، ولكن كل هذا يضيع أمام سميتها المفرطة ، وقررت أن تصبح رشيقة القوام حتى يكف عنها الضحك ، وتجد من يلمس بداخلها كل هذا الإحساس ، وكل هذا الحب ، وكل هذا الحنان . وقامت بعمل برنامج غذائي قاسي جدًا ، إلى أن أصبحت رشيقة كالفرشات ، ولكن الفرشات دائمة يموتن حرقًا ، ولقد احترقت بنار الحب عندما تعرفت عليه ، وكان واحدًا من الذين ضحكوا عليها في الماضي وانبهروا برشاقتها بعد أن أنقصت وزنها ، وكان يتباهى بأنه يسير مع فتاة رشيقة فقط ليس إلا ، وحاولت أن تظهر له إحساسها المرهف وحبها الجميل

وحنانها الدافيء ، ولكنه لم يكن يريد سوى شئ واحد ،
جسدها ، وعندما رفضت ، ألقاها من طريقه ، كأنها كومة
زبالة ، وذهب لفتاة أخرى أكثر رشاقة وجمالاً وتححرراً ،
وتركها ، وترك معها إحساس بالكره لكل الناس ،
والقسوة من كل الناس ، وإحساس آخر بالجنون ، نعم
الجنون ، لاتندهشوا ، إنها الآن مجنونة تمكث في مستشفى
الأمراض العقلية منذ خمس سنوات .

شروط المحبة

وقف عبد الوهاب بين يدي المرشد كأنه يقف بين يدي الله ، كله إعجاب به ومهابة منه واحترام عظيم لهذا الرجل ، حاشا لله ، إنه في منزلة أعلى من منزلة الرجال وأرقى وأسمى من الرجال ، إنه سفير الله ، خليفة الأنبياء ، حامل الراية ، راية الإسلام.

ولم يكن قد التقى به من قبل منذ دخوله جماعة الإخوان وهو في عمر السادسة عشر ، كان يسمع عنه،

، عن إيمانه وزهده وتواضعه وتفوقه العلمي ، إن المرشد حاصل علي شهادة دكتوراه من أمريكا في علم الأنثروبولوجيا ، وهو علم يهتم بالإنسان وأعماله وسلوكه ، وأيضاً الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها والحضارات والمجتمعات البشرية ، وهو علم نادر نشأ منذ القرن الثامن عشر ، وبدأ ينتشر في القرن العشرين . لم يلتحق في دراسته سوى قلة ربما لعدم شهرته وقتها ، ولكنه علم مهم ، إن دراسة الإنسان هي أعقد الدراسات ، فالإنسان ليس حالة واحدة نستطيع أن نضع لها نظريات، بل حالات كثيرة تتداخل وتتشابك فينتج عنها هذا المخلوق المُحير ، ولعل روح التحدي لدى المرشد هي التي جعلته يلتحق بدراسة هذا العلم ليفهم حقيقة الإنسان ، ولعل فهمه له هو الذي سعد به إلي منصب المرشد ، ومنذ دخول عبد الوهاب في جماعة الإخوان وهو يسمع حكايات عن تاريخ المرشد،

، عن نضاله من أجل الإسلام

، عن تحمله عذابات وسخافات السلطة الكافرة معه
ولصق التهم به وإلقائه فى السجون ، وخروجه منها واقفاً
شامخاً لا تنحني عقيدته ولا تتزعزع مبادئه ، بل يخرج
أكثر قوة وأكثر إصراراً وأكثر تحدياً ، وكان يسمع عنه
عبارة شهيرة يرددها فى اجتماعاته مع قيادات الإخوان :
(إن هذه الضربات تزيدني قوة عكس ما تتصوره السلطة
الغاشمة)

وعاش عبد الوهاب يحلم بلقاء المرشد ، واتخذة مثالا
يُحتذى به وقدوة ، وسار على خطاه ، حتى إنه عندما

أنهى مرحلة الثانوية العامة قرر أن يدرس علم
الأنثروبولوجيا أسوة بأستاذه ومعلمه وأباه الروحي ، كما
يسميه دائماً ، ومرت السنوات أنهى فيها دراسته ورسالة
الماجستير ، وهو يعيش فى نبض الجماعة كياناً وروحاً ،
يحفظ تعاليمها عن ظهر قلب وعقيدتها أصبحت منهجاً له
فى حياته ، فأطلق لحيته وأصبح الجلباب هو الرداء
المفضل لديه ، وتولد هذا الشعور العام الذي يتولد عند كل
إخواني بتكفير المجتمع ، ووصف الناس اللامنتمين
للجماعة بالكفرة ، إلي أن جاء أحد قيادات مكتب الإرشاد
وطلبه بالإسم وأخبره بأن المرشد يريد
أن يقابله بنفسه

، وسقط قلبه من الفرحه ، وعقله لا يصدق ، سيلتقي به
أخيراً ، سيراه

، سيرى سفير الله
خليفة الأنبياء،

حامل راية الإسلام،

. سيصافحه ويقبل يداه ويأخذ منه البركة
وذهب إليه وهو يحمل فى رأسه الحكايات التي سمعها
عنه ، عن نضاله مع الرفاق من أجل أن يكون الإسلام هو
الحل، ،

وطرق باب مكتب المرشد وفتح له نائبه الذى كان فى
اجتماع مغلق مع المرشد العام ، وفجأة رأى نفسه يقف
أمامه وجهها لوجه للمرة الأولى ومد المرشد يدا يصاحفه
فجري عبد الوهاب وإنحني علي اليد يُقبلها وقال له
المرشد فى ابتسامة بديعة

- علمت يا عبد الوهاب أنك درست الأنثروبولوجيا وإنك
خريج نفس الكلية ، طبعا تعلم أن شهادة الدكتوراه التي
أحملها فى هذا التخصص..

فرد عبد الوهاب وكله فخر

- أنشرف بذلك دائما فضيلة المرشد

و عاد المرشد يقول فى ابتسامته البديعة

- إنك من خيرة شباب الجماعة يا عبد الوهاب وما سمعته
عنك هو ما أهلك لتأتي إلي هنا، فليس كل شباب الإخوان
يأتون هنا ، ولكن مجيئك هنا ثقة من قيادات الجماعة فيك
،وكم نتمني أن تكون علي قدر هذه الثقة ،السمع والطاعة
يا عبد الوهاب وأن لا تجادل أو تناقش في أي الأمور التي
تُعرض عليك ،سُعزز هذه الثقة فيك ولا تنسي هي أيضًا
من شروط المحبة لدينا .

وقال عبد الوهاب وقد بدا يشعر بخطورة الموقف:

- أنا علي العهد دائما يا فضيلة المرشد.

واتسعت ابتسامة المرشد وقال :

- العبارة المشهورة تقول يا عبد الوهاب : " أهل مكة أدرى بشعابها " ، وأنت ممن كانوا يوماً طلبة في جامعة القاهرة وتجمعنا نفس الكلية وتعرف جيداً تصميم المبنى ، وقد وانتنا أخبار أن الطلبة يمارسون الفجور هذه الأيام داخل الكلية وأسأتذتها يعلمون ذلك ، ولا يلقون بالا وكأن الفجور أصبح مباحاً حتى في محراب العلم ، والحديث الشريف يقول (من رأي منكم منكرًا فليغيره بيده) ، بيده يا عبد الوهاب ، ونحن اخترناك لتكون يد الجماعة في تغيير المُنكر .

وقال عبد الوهاب في حماس:

- وأنا لها يا فضيلة المرشد.

ولاحقه المرشد قائلاً :

- غداً في الواحدة ظهراً ستذهب بحزام ناسف للكلية لا بد للفجور أن ينفجر ، أن ينتهي ، أن يصبح عدم ، وأن يعلم أهل الضلال أننا لهم بالمرصاد ، أما أنت فما أسعدك يا عبد الوهاب ستفوز بالشهادة والحياة الأخرى في رحاب الله ، وقام المرشد من خلف مكتبه كأنه ينهي حديثه ، ولم يعد لديه ما يقوله وصافح عبد الوهاب الذى بادله المصافحه بأن انحنى علي يده وقبلها ، وخرج عبد الوهاب وأحاسيس تختلط داخله من الفخر بالمهمة، التى كُلف بها والفرحة للقاء المرشد العام للجماعة لأول مرة وإحساسه بالشهادة ، سيجمل لقب شهيد فى سبيل الله ، وأقنع نفسه بأنه لا بد أن يسعد بهذه الشهادة ، يكفي أنه طلب المرشد نفسه ، ومن شروط المحبة السمع والطاعة .

وفى نفس التوقيت من داخل غرفة المرشد تعالت ضحكات بينه وبين نائبه وهو يقول فى خبث:

- يأتون بكافر لمجرد أنه مُنضم لحزبهم السياسي أقل مني
خبرة وعلماً ويجعلوه عميد للكلية ، وعلت ضحكته أكثر
وهو يقول:
- هذا إذا وجدوا الكلية .

أحلام قزم

كان كلما مر أمام أحد سمع ضحكات أو على الأقل ابتسامات خفية وكان يعلم أنها سخرية من هيئته ، إنه قزم قصير القامة ويحمل فوق أكتافه رأس كبير لا تتناسب مع حجمه ، إنه مضحك ، وكان من عادته أن يقف أمام المرأة كثيراً يتفحص شكله وهيئته ويقارنها بأبطال الرياضة وأبطال السينما، فيلعبن حظه ويلعن الدنيا ويلعن الناس ويلعن المرأة ، ودله ذكاءه أنه لكي يتعايش مع هذا المجتمع أن يتناسى ويتغاضى عن سخريتهم ، وحتى يكون محبوباً من الجميع كان لابد أن يكون لطيفاً طوال الوقت لا يعارض رأياً حتي لو لم يكن مقتنعاً به ، ولا يغضب حتى ولو مُست كرامته ، ولا يقاوم حتي ولو زاد الهجوم عليه ، وسار في الحياة بهذا المبدأ لا حباً واقتناعاً به ولكن للتعايش السلمي مع مجتمع مريض يري عيوب الآخرين ولا يري عيوبه ، وكانت أطيف أحلام تزحف إلى رأسه من وقت لآخر، فيري نفسه وقد أصبح بطلاً ، بطلاً تحترمه الناس وتهابه ، ويعيش أوقات جميلة في هذه الأحلام ، ثم ما يلبث أن ينساها وينشغل عنها بواقعه.

إلى أن حدث شيء جديد في حياته.

لقد أحب . . لأول مرة تتسلل هذه العاطفة إلى قلبه ، وعرف سهر الليل ومناجاة القمر ولوعة العشاق ، عرفها وحده ، لأنه كان حباً من طرف واحد ، لم يتجرأ أن يصارح حبيبته بهذا الحب ، كانت فتاة جميلة رشيقة القوام يتدلى خلف ظهرها شعر أسود طويل كأنه سحر الليل ،

وكانت عادية الطول ولكن بالنسبة له فهي طويلة ، طويلة جداً ، وكانت تعمل في أحد محال بيع الملابس بجانب الكافتيريا التى يعمل بها في منطقة وسط البلد ، ويراها كل يوم ، يري جمالها ورشاقة قوامها وشعرها الأسود الطويل ، يراها دون كلام ، وكان يسأل نفسه: هل من الممكن أن تحبه؟ أن تشعر به ، أن يكون فى يوم من الأيام زوجها . ويطيل النظر إليها كلما رآها كأنه يقيس مدي عاطفتها نحوه ، ولكنها لا تشعر بوجوده ، لا تنظر له ، وفى هذا التوقيت بدأت أحلامه القديمة تسيطر عليه ، أن يكون بطلاً ، أن تحترمه وتهابه الناس ، لعلها تحبه ، واحتار في الطريقة التي يصبح بها بطلاً في نظرها ، ولكن أي بطولة من الممكن أن تجعل الناس تحترمه وتهابه ولا تضحك عليه ساخرة عندما يرونها أمامهم ، وعرف أن الخوف هو الذي يجعل الناس تهابه ، قد لا تحترمه ولكنها ستهابه وتقوم بتمثيل الاحترام أمامه ، أن تخاف منه ، أن لا تراه صغيراً فى عيونهم ، ولعل حبيبته هي الأخرى تراه صغيراً في عيونها ، وقرر أن يحمل سلاح ، ويرسم صورة جديدة له في أذهان الناس ، صورة البلطجي صاحب القلب الميت الذى لا يكثرث ، وساعده جار له كان مُسجل خطر لدى الداخلية في شراء مسدس ، ووقف أمام المرأة ينظر لنفسه وهو يحمل المسدس ، وأحس بقوة غريبة تلف حواسه قوامها هذا المسدس الصغير الذي يحمله فى يده .إن هذا الشئ الذي في يده سيجعل أعتي الرجال وأكثرهن تجبراً يركع تحت قدميه ، إن ضغطة واحدة علي زناد هذا المسدس تحول الأحياء إلى أموات ، إلى جثث ،والناس تحب الحياة وتكره أن تكون جثث ،

وعلى استعداد أن تركع أمامه حتى لا يجعلهم جثث ،
وابتسم لنفسه في المرأة ودس المسدس تحت قميصه
وخرج إلى الشارع ، إلى منطقة وسط المدينة ، إلى
الكافتيريا التي يعمل بها ، إلى حبيبته ، وشعور القوة
يسيطر عليه ، يملأه غرورًا ، يجعله مختلًا بنفسه . وفجأة
وعند مدخل شارع رئيس يمر منه يوميًا ليصل إلى منطقة
وسط المدينة ، وهو في قمة نشوته ، أوقفه مُخبر وطلب
منه إظهار بطاقته ، فأخبره أنه يمر كل يوم من هذا
الشارع ليصل إلى وسط البلد حيث مقر عمله في الكافتيريا
، فرد عليه المُخبر في اقتضاب بأن وزير الداخلية موجودًا
حاليًا في هذا الشارع ؛ ليتفقد آثار عملية انفجار حدثت من
ساعات قليلة في أحد السفارات القريبة من هنا ، واعتذر له
قائلًا :

- إجراءات أمن يا مواطن.

ثم مد يده يتحسس جيوبه للتفتيش ، ورفع المخبر يده إلى
قميص المواطن يتحسسه فاصطدمت يده بشيء صلب ،
فأدخل ذراعه وتفحصه من تحت القميص ثم أخرج ذراعه
وفي يده المسدس ، والتفت إلى الضابط الجالس خلفه رافعًا
يده أمامه وقال:

- وجدنا هذا يا أفندم .

أنا وأنت .. وزخات المطر

استجمع قواي من جديد ، أندفع بعيدًا هناك ، وهالة من
الكآبة والخوف والمجهول تلاحقني ، تلفني ، تكسرني ،
تهزمني ، تطفيء نور الشمس ، أبدو حينها كطفلة تائهة
حائرة ، تبحث عن أشياءها الضائعة ، عن لعبتها المفضلة
، عن شريطها القرمزي ، عن ردائها ، تبحث عن أمها ،
عن الحنان ، عن الحزن الدافيء ، الحب المفقود ، تبحث
وسط كل هذة الهالة من الكآبة والخوف والمجهول ، الآن
لازال صوتك في أذني ، ملامحك مطبوعة على وجهي ،
رائحتك تملأ أنفي ، أنفاسك الملتهبة بحرارة الحب
تجتاحني كنسيم فصل الربيع ، ذراعك تبني من حولي
حدودًا منيعة داخل أحضانك ، ولكن الطريق مخيف ،
واليوم بارد كالثلج وكأنه إيذانًا بليلة ممطرة ، والمغيب
على وشك الهبوط ، ووحشة .. وحشة رهيبية تسيطر علي
الحواس ، وأجواء صامتة قاسية مترعة بالألم ، سرنا
وطريقنا مخيف ، ومن فوقنا مغيب وأشك الهبوط ، ومن
حولنا وحشة رهيبية ، وضعت يدي في يدك ، تعلقت بها
كالغريق لطوق النجاة ، نظرت لك في حب ، ولم تبالي ،
انتظرت حتى تجناز حاجز الصمت دون جدوي ، همست :

– ألا تتذكر ؟ هنا كان يومًا نجوانا ، أحلامنا الغضة ،
دعائنا للقمر أن يرعي حبنا ، ألا تتذكر وهو يبتسم لنا
وكانه يبارك حبنا ؟ ألا تتذكر هذه الصخرة ؟ كم مرة

جلسنا عليها ؟ وكتبنا اسمينا، هنا كان اللقاء ، أترضي أن يكون الوداع ؟ أترضي لذكرياتنا و أيامنا الحلوة أن تنسحق في طي النسيان ، أترضي الفراق ؟ أترضي دموعي ؟ عذابي و وحدتي بدونك ، فكر في الأمر مرة أخيرة ، بحق ما لدينا من ذكريات ، بحق نجوانا وأحلامنا ودعائنا للقمر ، بحق اسمينا المنقوش هنا .

ابتسمت في رقة ثم عانقتني وأنت تدلّني هذا التدليل الذي أحبه منك وهمست :

- لا فائدة الآن من الحديث ، كلها سويغات والطائرة تُحلق نحو الغرب ، دعي الابتسامة العذبة علي شفّيتكِ لتكون آخر زادي من هنا .

تواريت خلف صمتي وبادلتك العناق في يأس ، والمجهول يملئني ، إني تائهة ، ضائعة ، حائرة ، سألت دمعتين رغماً عني ، رأيّتك تجذب منديلك الوردي تحاول تجفيف دموعي ، صرخت بكل ما أوتيت من قوة :

- لا . أتركهم ، لعلك تتذكرني بهم في غربتك ، فيكونوا شفّعائي عندك ، وتعود ، أتركهم فهم آخر وسائلني الدفاعية ، ربما يُحرّكان شيئاً فيك ويفعلوا مالم أستطع فعله ، فتعود لهم ومن أجّلهم ، ويبقي أن تعطيني هذا المنديل أحتفظ به حتي يكون آخر ما لامسته يداك معي قبل السفر الطويل والعذاب الطويل .

ألمح في عينيك طبقة من الدموع ، ماذا ؟ بدأت تضعف ، تنهار مقاومتك ، تفكر في دمعائي التي لم يجفا بعد ، هل سري مفعولهما إلي قلبك ؟ أتنتحي عن الفكرة التي سلبت

عقلك وترد الحياة في قلبينا مرة أخرى ، ولكنها سويغات
والطائرة تحلق نحو الغرب ، خفتت طبقة الدموع ، حل
مكانها ابتسامة ملئت وجهك ، عانقتني بشدة ، بعنف وحب
والم ، بوغتنا بصوت البرق يمزق الصمت الرهيب ،
انهمرت السماء أمطاراً كما لو كانت تشاطرني البكاء
واللحظات الأليمة ، وضعت رأسي علي كتفك كطفلة
تنتظر أقدارها ، ولدت دمعين جديدين ، ثم دمعين ،
ودمعين ، تدفقت الدموع ، تلاحمت مع زخات المطر ،
حملتني علي ذراعيك وعدنا ، وحلقت الطائرة وحدها نحو
الغرب .

أين ذهبت صديقتي الصغيرة ؟

أجيد الحوار مع نفسي ، أتشاجر ، أتصالح ، أبكي وأضحك معها ، يأخذني الحنين إلى عمر البراءة ، عمر الابتسامة الصافية والأحلام التافهة والأمانى الساذجة ، أعود بذاكرتي للوراء (فلاش باك) ، تتراعى أمامي صورتنا أنا وهى عندما كنا صغار ، وكأنه شريط سينما أشاهده ، كانت معي دائماً ، نضحك ، نمرح ، نلعب سوياً ، كانت غاية أمانينا أن نشتري تويكس أو كيت كات أو سنكرس أو مارس ونشاهد توم وجيرى ، وتقترح هي كثيراً عندما يُقدم لها هدية تكون أعداداً من التويكس أو كيت كات أو السنكرس أو مارس ، تأتي لي فرحة وهى تحمل لي وحدات من تويكس وهى تقول :

- خذ لك ، جائتتنا بالأمس هدية منها علبة كاملة .

أنا سعيدة ، سعيدة جداً ، عندي الآن علبة كاملة ، لن أبكي لأمي كل يوم حتى تشتري لي تويكس ، عندي ما يكفي طوال الأسبوع ، نقضي يومنا معاً لا نفارق بعض إلا عند النوم ، نجتمع فى الليل فى أعلى المنزل نشاهد سوياً السماء المترامية الأطراف والقصر الكبير ، هذا القصر البعيد المضيء دائماً إضاءة صارخة وكأنه قطعة من لاس فيجاس سقطت أمامنا ، أتسلل بيدي فوق يدها ، أقول:

- أحبك يا ريم . يا ريم هل تسمعينى؟ تجيب : نعم وأنا أيضاً لكني أحب تويكس أكثر ، لاتزعل ، أحبك أكثر من سنكرس ، الفول السودانى أصبح كثير بداخلها وأنا لا أحبه . يالها من مجنونة ، مجنونة لا تقدر معنى كلامي ،

ولكني سعيد بجنانها ببرائتها ، وتمر أيام ، أكرر لها فى
همس ونحن نشاهد سوياً توم وجيري :
- أحبك يا ريم ، وأنتِ يا ريم هل تحبيني ؟ تضحك فى
فرح وهي تقول :

- انظر لقد سقط توم فى البحر واجتمع حوله السمك
وتنفجر ضحكاً كالمجانين ، إنها صغيرة ساذجة ، جميلة ،
هذا الجمال الذى لو وُزع على العالم لأصبحنا ملائكة
تمشي على الأرض ، جمال الروح ، براءة الروح ، نقاء
الروح . وتمر السنون ، تكبر ريم ، أسمع أنها ستتزوج ،
ريم الصغيرة تتزوج غير معقول ، وتتزوج ويأخذها
الزوج معه إلى بلد بعيد يُكمل دراسته فيها ، تختفي ريم
ولا يبقى منها إلا ذكريات ، ذكريات أتذكرها عندما أمر
وحدي فى طريق قد مشينا فيه معاً ، أتذكرها عندما
منزلها ولا أجد البهجة التى كانت داخله ، أتذكرها عندما
أرى الأرجوحة التى طالما جمعتنا سوياً فارغة ، حتى
القصر الذى كنا نراه مُضيئاً دائماً إضاءة صارخة وكأنه
قطعة من لاس فيجاس سقطت أمامنا ، انطفأت أضواؤه
وكانه حزين على ريم . لقد أصبح بعدها كل شيء أطلال ،
المنزل ، الشارع ، القصر ، العالم كله أصبح أطلالاً ، تمر
سنون فوق السنين ، تعود ريم ، أسمع أنها طُلفت وعادت
بأبنة معها ، أدخل المنزل فى زيارة ، أرى طفلة جميلة لا
تتعدى الثلاث سنوات ، تبتسم لي ابتسامة صافية ، أدعوها
لتقترب ، أرى فى يدها واحدة تويكس تمد يدها لي بها
وهي تقول :

- خذ لك . ألمح من خلف الباب المفتوح فى الغرفة
المقابلة سيدة بدينة ، تنظر لي فى لهفة ، إنها هي .. ريم ،

تتعلق العيون فى نظرات طويلة وكأنها تستعيد سنوات
كثيرة مضت ، لكن ليست هذه ريم التى أعرفها ، لقد
ذهبت البراءة التى كانت تُغلف وجهها دائماً ، وحلت
مكانها هم وحزن دفين ، أين ذهبت البراءة يا ريم ؟
هل ذهبت مع العمر ، مع السنوات الكثيرة ، أشعر بيد
صغيرة تلامس يدي ، أنظر أمامي ، إنها يد طفلتها
الصغيرة تداعبني ، لقد عرفت الآن أين ذهبت البراءة .

أناس أعرفهم

((١))

ثمة اشخاص يمرون علينا ، نتوقف عندهم ، نتأملهم ،
نُفكر فيهم ، يرحلون عنا ، وتبقى منهم ذكرى تضاف إلى
ذكرياتنا .

صداقة اليوم الواحد ، قد تمر علينا جميعًا ، وكثيرًا ما
تحدث في الأسفار ، أو تحدث في زيارة لمكان لن تأتي له
مرة ثانية ، أو ربما تأتي له ، بينما الآخر لن يعود له مرة
أخرى ، فهي صداقة مرتبطة بالوقت والمكان ، وعندما
ينتهي الوقت ويتبدل المكان ، تصبح هذه الصداقة وكأنها
لم تكن ، ويبقى عبير زكرياتها مترسبًا في أكارنا لا
ننساها ، وقد عرفت (ن) من خلال هذا النوع من الصداقة
، صداقة اليوم الواحد ، في أحد المطاعم المقترنة بأعلى
برج في العاصمة ، كان كنغمة شاذة وسط لحن متناسق ،
رث الثياب ، عيناه تظهر منها أيام كثيره ظلّمته فيها الدنيا
، لايدل مظهره أنه من هذا النوع رواد المطعم أو البرج
، وحدث أن اقتربنا من بعض ونحن واقفين أمام المنظار
الذي نرى فيه معالم المدينة البعيدة قريبة بثرائها وفقرها ،
وبطبيعية وتلقائية تحدث معي وكأنه يعرفني قبل ذلك ،
وكان من الناس التي تحمل ملامح وجهه وداعة ترتاح لها
، ولعلني أشفقت عليه من نظرات الناس القاسية إليه ،
فبادلته الحديث بحماس ، واستقبل حديثي معه بفرحة
وتلقائية شديدة، وتحدث . لا أعرف لماذا سردي تاريخ

حياته كاملاً ، ربما ارتاح لي ، وهذا ما قاله بالفعل فيما بعد ، كان واحداً من الناس ظلمته الأقدار والدنيا ، لقد وجد نفسه بعد أن انهارت عائلته فى بيت تحكمه زوجة أب ، وكان وقتها طالباً فى المرحلة الثانوية ، سرد لي أنواع من العذابات أذاقته له هذه الزوجة اللعينة ، حتى قرر أن يترك لها البيت وبلدتهما الصغيرة ، ليأتي إلى المدينة بكل الزخم الذى بها ، وقد وجد بعض المساعدة من الناس أعانوه على إيجاد عمل ليكسب به قوته ، وتنقل من عمل إلي عمل ، حتى استقرت أحواله واشترك فى إيجار غرفة متواضعة للنازحين من القرى والمدن الصغيرة طالبين الرزق ، وأصبح لديه أموالاً من عمله المتواضع ، حتى أنه أصبح يدخر منه ، ويأتي بين الحين والآخر لتلك الأماكن الراقية ، كنوع من التنزه ، وقال لي أنه يفكر فى بناء عائلة ، عائلة سعيدة ، إنه يريد الزواج ، وألح على أن أري الفتاة الذى يحبها ، وذهبت معه ، إنها تعمل نادله فى أحد المطاعم ، إنها من نفس الحياة التى يعيشها ، حتى إنها يبدو على وجهها أنها أيضاً واحدة من الناس ظلمتها الأقدار والدنيا ، فبرغم البؤس والعالم الذى أدار عنهم وجهه ، إلا إنهم يمتلكون القدرة على تحدي الصعاب والسير على الأم الحياة ليقوا فيها ؛ ليختلسوا منها لحظات سعادة ، وابتسمت له حبيبته من خلف الباب الزجاجي للمطعم ، بينما هنأتة أنا على ذوقه الرفيع ، وانتهت صداقة اليوم الواحد فى الخطوط الأولى من الفجر مع الوعد بقاء آخر ، ولكني لم أره بعد ذلك ، ولعلني خرجت من هذا اللقاء بموضوع قصة جديدة ، قصة من واقع الحياة .

((٢))

من ذا الذى يستطيع أن ينسى هذا اليوم ، هذا اليوم الذى اجترنا فيه أول كورس للدراسات الحرة فى تعليم فنون الموسيقى، وقد إخترت منذ أول إلتحاقى به آلة البيانو .. كم يسحرني صوته ورشاقة كبار العازفين عليه وهم يتنقلون بين الأصابع السوداء والبيضاء ، وهناك عزفت لأول مرة مقطوعة كاملة ، كانت بعنوان (the Anonymous ((venetian)) ، وهي أيضًا موسيقى لأحد الافلام البديعة ، وفي فناء الكلية تتعالى أصوات الآلات ، جيتار ، عود ، كمان ، أكورديون ، لتندمج مع زقزقة العصافير وصوت الأشجار ، وسمائنا صافية ، وجلساتنا المرحية ، وأحاديثنا الحلوة ، عن الفن ، عن الحب ، عن الجمال ، هي مثار الأشواق فى قلوبنا الغضة . وثمة أصوات بشرية تتغنى بتراث الغناء العربي ، ومنهم من يغني بأسلوب مبتكر قد يدعو للضحك أكثر منه للطرب ، نجتمع ، ندوب ، أحلامنا تعانق السماء ، وطموحات ليس لها مدى ، فهذا يؤلف الكلمات ، وهذا يلحنها ، وذاك يؤديها بصوته ، ثم تقتحمنا فتاة لتعلن لنا عن مقدرتها فى العزف على العود بمهارة ، وتنضم إلينا ، ويضمنا هذا الفناء الواسع ، لنملئه ضجيج ، ولكنه ضجيج جميل متناغم ومتناسق ، فدراستنا مختلفة ، وربما حياتنا مختلفة ، لكن حبنا للموسيقى جمعنا فى هذا الفناء ؛ ليستعرض كلا منا ما عنده ، وكأنه معرض للفنون ، وفى خضم أحاديثنا العشوائية قررنا أن نكون فرقة من بيننا ، وكل فى المجال الذى يبرز فيه أكثر ، فهذا يكتب الكلمات ، وهذا عازف ماهر على العود ، وهذا عازف

((٣))

م . غ ، فتاة جميلة صغيرة مجنونة ، لكن قلبها الصغير يحمل من الرقة ما يكفي لمليء قلوب أهل الأرض جميعاً ، عرفتُها فى ظروف شابهها الملل ، طلبتني للحديث ، فتحدثت معها، تحدثت لمجرد أنني كنت أحس بنوعاً من الملل وتحدثنا مرة ثانية وثالثة ، وأحببت حديثها، هذا الحديث الذى يغلفه نوعاً من سذاجة الاطفال فى كلامهم ، وتتكلم بسرعة ، تتكلم فى أحاديث كثيرة أكبر منها ، ولذا كنت أتعمد فى أن أخرجها أكثر من مرة، كنوعاً من المداعبة ، فأعرض عليها مواضيعاً عميقة و ضخمة أعرف جيداً أنها لن تستطيع أن تتحدث فيها ، ولكنها كانت تتحدث فيها ، وتتقمص دور المثقفة ، وتتكلم ، ويسقط الكلام منها كقطع الشيكولاتة ، فاتلقفه منها فى سعادة ، ونبدأ نقاشاً عبثياً لا ينتهي حول ما قالت ، كنت أراها طفلة تلهو فى البحر حافية القدمين وهي تتنائب ، لا تعرف لماذا جاء بها فى البحر أو لماذا هي تتنائب ، وأصبح الحديث معها أجمل ما فى هذا العالم ، وكبرت الطفلة التى كانت تتنائب وأصبحت فتاة تضج خطوط ملامحها بالجمال والأنوثة ، كبرت فى غفلة من الزمن ، لترتدي القميص الأبيض والمريلة الكحلي ، وتتنظر لي مبتسمة وكأنها تعلن عن تفق أنوثتها.

"تمت"

الفهرس

إهداء	٣
كلمة	٤
عبود الأول والأخير	٧
اليوم الأول :	١٠
الثامنة والنصف صباحاً ..	١٠
اليوم الثاني :	١٩
التاسعة صباحاً	١٩
اليوم الثالث :	٢٥
التاسعة والنصف صباحاً	٢٥
اليوم الرابع :	٣٤
العاشرة والنصف صباحاً	٣٤
اليوم الخامس :	٤١
الثانية عشر ظهرًا	٤١
اليوم السادس :	٤٩
الواحدة ظهرًا	٤٩
اليوم السابع :	٦٠

- الثنائية والنصف ظهراً ٦٠
- اليوم الثامن : ٨١
- الثالثة ظهراً ٨١
- اليوم التاسع : ١٠٢
- الثالثة والنصف ظهراً ١٠٢
- اليوم العاشر : ١١٠
- الخامسة مساءً ١١٠
- صديق من أفريقيا. ١١٨
- ربيع فى الخريف ١٢٤
- ابتسامة فوق شفاة ساخنة ١٣١
- وكان لصاً ١٤٠
- جعفر الجهنيني..... ١٥٠
- القلوب لا تعرف جنسيات. ١٧٤
- دماء في ليلة حب ١٧٩
- سيدتي الجميلة ١٨٣
- ست قصص قصيرة جداً ١٩٠
- القصة الأولى ١٩٠

١٩٢		القصة الثانية
١٩٤		القصة الثالثة
١٩٦		القصة الرابعة
١٩٨		القصة الخامسة
١٩٩		القصة السادسة
٢٠١		شروط المحبة
٢٠٦		أحلام قزم
٢٠٩		أنا وأنت .. وزخات المطر
٢١٢		أين ذهبت صديقتي الصغيرة ؟
٢١٥		أناس أعرفهم



دار فينكس للنشر والتوزيع بالتعاون مع دار الفراعنة

جميع إصدارات المؤلف متوافرة

لدى دار فينكس للطباعة والنشر والتوزيع
<https://www.facebook.com/itsphoenix2>

**ويوجد خدمة التوصيل و الشحن فى مصر
وجميع أنحاء العالم**

**العنوان : ١ شارع فاروق محمود من شارع ترسا – المحولات –
المطبعة – الهرم
التليفون : ٠١٠٣٣٣٤٤٨٨١ – ٠٢٣٥٩٢٢٣٢٩**

Email : info@its-phoenix.com

صفحتنا على الفيس بوك فينكس للنشر والتوزيع

<https://www.facebook.com/itsphoenix2>

